الجزء الاول من كتاب
قناطر الخيرات تاليف الامام
شيخ الاسلام العالم
العلامه الشيخ اسماعيل
ابن موسى الجيطالى
النفوسى رحمه
الله ونفعنا
به
امين
م

فهرست الجزء الاول من كتاب قناطر الخيرات

بفسر

الاصل

البحث

تمت

الفهرست

الجزء الاول من كتاب
قناطر الخيرات تاليف الامام
شيخ الاسلام العالم
العلامة الشيخ اسماعيل
ابن موسى الجيطالي
النفوسي رحمه
الله ونفعنا
به
امين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالالوهية والكبرياء المنفرد بالديمومية والبقاء
المتقدس عن نقائص العاهات تعالى عن العيوب والآفات
خلق كل شئ فقدره واخترع الانسان وصوره خضع كل شئ
لهيبته وتواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته واستسلم
كل شئ لجبروته لم يزل عالما بجميع المحدثات على ما هي عليه من
الصفات من تفاصيل اجناسها ومجاري انفاسها قبل وجود
اعيانها وجريان ازمانها شاءها الحكيم في ازليته فظهرت على
وفق مشيئته ليس له شريك في انشائها ولا ظهير في ايجادها انشاها
لا من شئ معه موجود واتقنها على غير مثال معهود اخترعها
دلالة على قدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته وما خلق الجن
والانس الا لعبادته عالم في الازل بما هم عاملون وباجالهم التي
اليها ينتهون وبارزاقهم التي هم لها اكلون فهم لما علم منهم
منقادون وعلى ما سطر في كتابه المكنون ماضون بجميع ما وجد

بعد العدم من جميع الاشياء والامم فقد سبق به من الله القضا
وجف به القلم فالاجال محدوده والانفاس معدوده والارزاق
مقسومه والاعمال مختومه والاثار محسوبة في اللوح مكتوبه
لا يستاخر شئ عن اجله ولا يسبقه قبل حلول محله ولا يفوت احدا
رزقه المقسوم ولا يتعدى ما قدر له من امره المحتوم فقد سبقت
كلمته الحسنى لعباده المرسلين واوليائه المخلصين كما حق القول منه
لاعدائه الغاوين كل ميسر لما خلق له ولا يتجاوز ما وقت له يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
احمده حمد من اخلص له الانابه وادعوه دعاء مؤمل منه الاجابه
واشهد ان لا اله الا الله الملك المحمود الذي ليس بوالد ولا مولود
واشهد ان محمدا عبده المرتضى ورسوله المصطفى ارسله الى
الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ
رسالة ربه ناصحا لامته حتى اتاه من ربه اليقين بعد كمال الدين
صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الاخيار واصحابه المهاجرين
والانصار والتابعين لهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار
(اما بعد) فقد انكشف لارباب القلوب بحقائق
الايمان واوضح محكمات القرآن ان لا وصول للعبد الى السعادة
الابديه الا بالعلم وامتثال العبادة الدينيه وهما بضاعة الاوليا
ومنهاج الاقويا وهما دين الله القويم وصراطه المستقيم لاجله
خلق الموت والحياة وبسببه تنال عنده النجاه ولكنه طريق
صعبة المسالك مخيفة المهالك كثيرة العوايق والموانع غزيرة
الاعدا والقواطع بعيدة المسافات كثيرة الآفات ذات شعاب
واوديه وعقبات واهويه محفوفة باللصوص والقطاع مشحونة

بالافاعي والسباع تتبعث فيها الشياطين الموسوسة والعقبان
المختلسة قد تشبكت بالاشراك الخاتلة ومزجت بالسموم القاتلة
وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الى الجنة ذات الحور والجوهر المكنون
تصديقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات ومع ذلك ان الله سبحانه خلق الانسان
ضعيفا فحمله ثقل الامانة تكليفا واوجب عليه اتقان حمل تلك
الامانة بالعلم والعمل والتشمير في اداء حقها بالجد لا بالكسل فعمر
الانسان قصير والناقد لاعماله بصير والجهل مع اتباع الهوى
عليه غالب والآفات محدقة به من كل جانب والاجل قريب غير
مديد والسفر بعيد صعب شديد والطاعة هي الزاد فلا بد منها والدنيا
منصرمة فلا مرد لها فمن ظفر بالزاد منها سهل عليه على الصراط الجواز
ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومن حرم من الطاعة نصيبه
طال عليه في سفره النصب والتعب ودام عليه في النار الوصب
واللهب فلهذا الخطب الفظيع والهول الشنيع قل السالكون للطريق
بالجد والتحقيق ومنهم من يذل في بدء امره من النفس بعض المجهود فطال
عليه التعب فانقطع ولم يصل الى المقصود الا الاصفياء المخلصين الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قلت
فلما كان الطريق على ما وصفنا من المشقة والمخافة وكثرة العوايق
وبعد المسافة من الآفات المانعة والمفازات الشاسعة والشعاب
والاودية والعقبان المؤذية راينا ان نرتب عليها قناطر لكي يمكن
للسالكين عليها العبور حتى تفضي بهم ان شاء الله تعالى الى درجات
السرور وذلك ان الله سبحانه نقل بني آدم من اصلاب الرجال الى بطون
الامهات فخلقهم فيها خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فاخرجهم

الى

الى الدنيا جهالا فاحياهم بالعقول بلغا ورجالا فامتازوا بالعقول
عن البهائم فصاروا من جملة العقلاء وهم الملائكة الفضلاء فالزمهم
عند كمال العقول طريقة التكليف وتقدم اليهم على السنة رسله
بالانذار والتخويف وجعل لهم الارض ذلولا وفراشا ونباتها معاشا
ليستقروا فيها بل ليتخذوها منزلا ويتزودوا منها زادا وعملا متحرزين
من مصايدها ومعاطبها ويتحققوا ان الاعمار تسير بهم سير السفن
بركابها فهم فى الدنيا سفار وباعمالهم تجار فاول منازلهم المهد وآخرها
اللحد والوطن الجنة او النار والعمر مسافة السفر والسنون مراحله والشهور
قطاع طريقه والايام امياله والانفاس خطواته والطاعة بضاعته
والاوقات رؤس امواله والشهوات قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله
فى دار النعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى فى دركات الجحيم
والعذاب الاليم وان ما دون الجنة من قناطر جهنم والفزع الاكبر
الى القبر الذى فيه هول المطلع مفازة محفوفة بالاهوال الفظيعة
والافزاع الهايلة الشنيعة من صحف تنشر ونار تزفر واعمال توزن
فترجح او تخف وقلوب تفزع وترجف وعقارب فى القبر تلدغ
وحيات تلسع وملائكة تختبر وجوارح تنشر فتحقق بهذا الترتيب
العجيب ان البطون للخلق مغارات والدنيا لهم مفازات وما بعد الموت
الى الفراغ من الحساب اخطار مهولات ثم ان الله سبحانه شرع ملة
الاسلام طريقة سهلة حنيفية سمحة ورتب فيها فرائض من التوحيد
والصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك فكانها قناطر مقنطرة
وحرم فيها اشيا من الشرك والظلم والفواحش والربا والقذف وغير
ذلك مما يطول ذكره فكأنها للعبد صواعق مهلكة وامر عباده بجمع
الشهوات ودفع العلائق الشاغلة عن طاعته من اصناف الخلق والهوى

والنفس والدنيا فكأنها عقبات واودية وشعاب متلفة عائقة
للعبد عن سلوك الطريق الى الله تعالى قاطعة له عن المسير وامرهم
بالاستعاذة به تعالى من الشياطين الموسوسة من الجن والانس
فكأنها لصوص مسترقة وعقبان مختلسة واوجب عليهم تطهير
القلوب من مغارس الفواحش والذنوب من الشك والشرك وسخط
المقدور والغل والحسد والكبر والريا والغضب والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء
والاستهانة بالفقراء والمكر والخداع والغش وسوء الظن
والخيانة والفخر والخيلا والتنافس والمباهات والاستكبار عن
الخلق والانفة عن قبول الحق والعصبية والمداهنة والعجب وحب
الرياسة والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن
من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها
اذلال وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة
السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطوا والاتكال على الطاعة
وطول الامل والقساوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على
فراقها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش
والعجلة وقلة الرحمة والاصرار على المعصية الى غير ذلك فهذه
وامثالها كأنها سموم قاتلة واشراك لابليس خاتلة وامر بحفظ
اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والهمز والغمز واللمز والطعن
في الدين واللعن لمن لا يستحق والشتم والازرا والقذف وبهتان
البرى والحكم بغير ما انزل الله وقول الزور والنطق بالفحشا والتغني
والنياحة والخوض فيما لا يعني واشباه ذلك مما كان للاعمال
نيران مشتعلة ونبه عن التيقظ واخذ الحذر من مكايد

النفس وغرور الشيطان وتزكية النفس والرضا عنها الى غير
ذلك مما كانها حبايل غائلة للانسان وامر بغض البصر عن الحرام
وحفظ الفروج عن الزنا وصيانة النفس عن جميع ما لا يجوز التكلم به
وحفظ البطن عن جميع ما لا يحل اكله ولا شربه الى غير ذلك من المناهى
وامر بعمارة القلب واللسان بذكره عز وجل والصبر والشكر والخوف
والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة ومعرفة منّته تعالى فى جميع
الاحوال والاحسان وحسن الظن واليقين والمعرفة وحسن المعاشرة
والصدق والاخلاص والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول
بالحق واشباه ذلك من جميع اضداد الآفات المتقدمة وذكر الله
تعالى فرائض الاسلام فقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى
الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم ذكر
المحارم فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم
من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده
واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فاوجب على العبد امتثال اوامره الاول فالاول واجتناب محارمه

والسؤال عنها حتى تعرف وتجتنب ولا تمتثل وحرضهم على كف
الالسنة وتطهير الافئدة لكي تصح الاعمال ولا تبطل فقال تعالى اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم الآية وقال ولا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
وقال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الآية وقال ان الله يأمر
بالعدل والاحسان الآية وقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال
لنبيه عليه الصلاة والسلام قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما
بطن الى قوله ما لا تعلمون فلما كان الامر على ما وصفنا كان ينبغي لنا
ان نرتب على طريق الاسلام قناطر كما قدمنا ليسلك المسترشدون
عليها ونهيئ لهم سلاحا من العلم ليقاتلوا بها وندلهم على عقاقير من
الصبر ونظام النفس والحلم والقناعة الى غير ذلك حتى يتجرعوا
مرارة الدنيا بالزهد فيها ونوقظ قلوبهم بهيجان الخوف والحذر
والاشفاق حتى يتمكنوا من الهروب من النار وزقومها ونزعجهم بازعاج
الرجاء والشوق الى الجنة ونعيمها الى غير ذلك مما يطول به الكتاب
ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل الجسيم شمر الموفقون عن
ساق الجد والاجتهاد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا
بقايا الاعمار قبل ان يزعجوا عن هذه الدار جعلنا الله واياكم من
الموفقين لعلم دينه العالمين به انه ارحم الراحمين *

(فصل في ترتيب قناطر الاسلام) اعلم انه سبحانه
خلق ابن آدم اطوارا في الارحام ونفخ فيه الروح والنسم فمكث هناك
مدة ليس له علم بشيء من الامور الا الحس به يستلذ وبه يتالم
فلما خرج من بطن امه وجرت الحركة في مفاصله ابصر وذاق وشم
وسمع وذلك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم

لا تعلمون شيئاً فقرن الله تعالى به الملك صاحب اليمين فيرشده ويسدده ويقويه ويؤيده فعند تمام سبع سنين قرن به الملك صاحب الشمال يلهمه ويلقنه ويعلمه ويلبسه الحتم تمام اربعة عشر سنة فلما ظهر على الكلام استقبلته القياسات الخيالية واختلطت له بالعقليه فاذا نظر الى السماء توهمها بساطا اخضر نثرت عليه دنانير صفر فلما قويت نفسيه وبلغ حسه ذهب الخيال هباء منثورا وبقى العقل اميرا مامورا وهو قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فتعين حينئذ عليه التكليف ووجب عليه معرفة خالقه الرحيم اللطيف نظر بعقله الذى هو من حجج الله تعالى على المكلفين مع سائر حججه من الانبياء والمرسلين واصناف الخلق اجمعين فتامل فاذا الدنيا بين يديه كانها مفازة مظلمة وبالجهالة مدلهمة فاذا اصناف الحيوانات المؤذية قد استقبلته فقال لا يصح لى سلوك هذه المفازة الظلماء الا بمصباح نور يكون لى دليلا لا عرف ما آتى وما اتقى فتستقبله هاهنا قنطرة العلم بخالقه وهى القنطرة الاولى ولن يصل الى ذلك الا بتنبيه مخبر او الهام ملهم يبعث عقله على التفكر والبحث والنظر فيتفكر فى الدليل من خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما من خفض ورفع وجوهر وعرض ويتفكر فى اختلاف الليل والنهار وما يجرى به الدهر من الاكوان والاحداث من الخير والشر والنفع والضر والشدة والرخاء وغير ذلك ويستدل بالصنعة على الصانع فيعلم يقيناً ان الصنعة لابد لها من صانع وان الخلق لابد له من خالق ثم يمعن النظر فى خلقة نفسه وتسوية جوارحه وما افاض عليه الرب سبحانه من اصناف النعم من الحياة والعقل والفهم والسمع والبصر والشم وغير

ذلك مما لا يحصى كثرة من المعاني الشريفة واللذات العجيبة
وما صرف عنه من اصناف المضار والآفات فاذا امعن النظر
بعين البصيرة لا عين البصر علم ان لهذه الصنعة صانعا ولهذه
النعمة منعما حيا رازقا عالما باسراره وما يختلج في افكاره
قد وعد على شكر النعمة ثوابا وعلى كفرانها عقابا وانه ان غفل
عن شكره وخدمته ازال عنه تلك النعمة واذاقه الباس والنقمة
عاجلا وآجلا فيهتاج حينئذ لا محالة في قلبه خاطر الفزع
الذي ينبهه عليه في عقله وتلزمه الحجة وينقطع له العذر
من اجله مع سائر الحجج من كتاب الله ورسوله **فعند** ذلك
تستقبله القنطرة الثانية وهي قنطرة الايمان بهذا الصانع
الخالق المنعم الرازق انه خالقه ورازقه طلبه فوجده وعرفه
بعد ما جهله فيؤمن به ايمانا يقينا بالقلب واللسان ويدوم
على ذلك الى الممات ويوحده توحيدا خالصا يرى به الامور
كلها من الخير والشر والنفع والضر رؤية يقطع بها التفاته
الى الوسايط والاسباب وهذا التوحيد والايمان والعلم
هي العصا التي يضرب بها سيد السباع التي استقبلته
حين اشرف على مفازة الدنيا المظلمة بالجهل فيقتله فتفرق
عنه سائر الدواب المؤذية التي هي ما دون الشرك من الذنوب
تحقيقا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف فلما عرف العبد سيده ووحده وآمن به وعلمه
بعد ما جهله تيقن انه قد اوجب عليه خدمته وكلفه
شكر نعمته ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من
خدمته بظاهره وباطنه بعد حصول هذه المعرفة به

استقبلته

استقبلته القنطرة **الثالثة** وهى قنطرة الصلاة مقدم
فرضها على الصيام فى نزول الوحى اول الاسلام لا فى حالة التكليف
والالزام لان العبد مامور بجميع الفرائض منهى عن جميع المعاصى
فى حالة البلوغ فوجب عليه عند دخول وقتها الاتيان بجميع
وظايفها علما وعملا لانه لما عرف سيده وجب عليه ان
يخضع له ويخشع ويذعن له بجميع العبودية فلا
عبادة تجمع الخضوع والخشوع والابتهال الى الله سبحانه والتضرع
اليه مثلها فيجب على العبد الوقوف بين يدى سيده للخدمة بالطهارة
الكاملة والخشوع التام فبذلك يحظا عنده ويرضى عنه فاذا
واظب على الصلاة اورث ذلك لين الفؤاد وتمرين الجسد وتذلل
النفس اجلا لا لمخالفتها وانذلالا لالزامها فاذا اتى بالصلاة راغبا
راهبا استقبلته القنطرة **الرابعة** وهى قنطرة الصوم
عند حلول شهره ووجوب فرضه مقدما فرضه فى النزول على الزكاة
ايضا لان النفوس على الاموال اشح وفيما يتعلق بالابدان اسمح
وذلك الصلاة والصيام لان فى ايجاب فرض الصيام حثا
على رحمة الفقراء ليواطعامهم وسد جوعاتهم بما قد عاناه العبد
وقاساه من شدة المجاعة ولان الصوم يقهر النفس ويكسر
شهوتها المستولية عليها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام معاشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع
فليصم فان الصوم له وجاء فوجب على العبد احكام الصوم
بجميع شروطه وكف جوارحه عن المحرم عليه ظاهرا وباطنا
لان المقصود من الصوم عند اهل التحقيق التخلق بخلق من اخلاق
الملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان لانهم منزهون

عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم بقدرته
بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء
الشهوات عليه وكونه مبتلا بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات
انحط في اسفل سافلين والتحق باغمار البهائم وكلما قمع
الشهوات ارتفع الى اعلا عليين والتحق بافق الملائكة
المقربين الى الله تعالى قرب صفات لا قرب مكان والذى يتشبه
باخلاقهم يقرب من الله بقربهم فهذه حقيقة الصوم عند اهل
التحقيق فاذا اتى العبد بفريضة الصوم على الكمال استقبلته القنطرة
الخامسة وهى قنطرة الزكاة كما ورد في الخبر الزكاة قنطرة
الاسلام قدم الله تعالى فرضها على فرض الحج لان في الحج مع انفاق
المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى الحج
فكان في ايجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوى الحاجة تكفهم
عن البغضاء والتقاطع وتبعثهم على التوادد والتواصل مع ما في
ادائها من تمرين النفس على السماحة ومجانبة الشح المذموم
لان السماحة تبعث على اداء الحقوق والشح يصد عنها لان الله تعالى
امتحن عباده حين ادعوا محبته ان ينفقوا اموالهم المحبوبة عندهم
فيكون ذلك تصديقا لدعواهم ولذلك قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون فاستنزلهم عن المال الذى هو معشوقهم وعن النفس
التى هى غاية محبوبهم فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة
النفس بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون
فاذا اخرج العبد من ماله فريضة الزكاة بكمال حقوقها الى
المستحقين لها استقبلته القنطرة السادسة وهى قنطرة

الحج اخر الله سبحانه فرضه على العباد لانه يجمع عملا على بدن وحقا فى المال جعل فرضه بعد استقرار فرائض الابدان وفرائض الاموال ليكون استئناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل الجهاد عليهم لانه يجمع النفس والمال كالحج وكان فى ايجاب الحج تذكيرا لسفر الآخرة فى مفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل فى الوقوف بالمحشر بين يديه واجتماع المطيع والعاصى فى الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع اهل المعاصى عما اجترحوه وندم المذنبين على ما قدموه لانه قل من حج الا واحدث توبة من ذنب واقلاعا من معصية فاذا ادى العبد فريضة الحج على الكمال خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه

فهذه الخمس قناطر قواعد الاسلام كما صح فى الخبر بنى الاسلام على خمس الحديث وهى اصل العبادة والاتيان بهن على الكمال علامة السعادة فلسنا نتعرض هاهنا الذكر قنطرة الجهاد لانه من فروض الكفاية داخل فى فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على قدر درجات الثلاث وهذه الفرائض الخمس اصلها واساسها الذى تبنى عليه هو التوحيد والايمان والاخلاص لانه لا تصح العبادة الا بالايمان ولا يصح الايمان الا بالعلم ولا يصح العلم الا بالطلب ولا يصح الطلب الا بالارادة ولا تصح الارادة الا بباعث يبعث عليها والباعث هو الرغبة فى ثواب الله والرهبة من عذابه ولا يصح ذلك الا بالوعد والوعيد ولا يصحان الا بالشرع ولا يصح الشرع الا بصدق الرسول عليه السلام وصدق الرسول يصح بالمعجزة لان ظهور المعجزة انما هو باذن الله سبحانه وتعالى مالك الخلق والامر تبارك الله رب العالمين * (**فصل**) * فلما استكمل العبد هذه الفرائض وتحقق له الطريق كما وصفنا انبعث قلبه ليتجرد للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب وتبعات فيقول

كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المخالفة والمعاندة فيجب علي
اولا ان اتوب الى الله تعالى ليطهرني من اقذار الذنوب فاصلح
لخدمة علام الغيوب فتستقبله هاهنا قنطرة التوبة
وهي القنطرة السابعة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى المقصود
من العبادة فياخذ في ذلك باقامة التوبة في حقوقها وشروطها
الى ان قطعها بجميع وظايفها كما سياتي ان شاء الله تعالى فلما
فرغ من هذه القنطرة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا
حوله عوايق محدقة به كل واحد منهن تعوقه عما قصد من
العبادة وتشغله بضرب من الشواغل فتستقبله هاهنا قنطرة
العوايق فتامل فاذا هي اربع احداهن قنطرة الدنيا المتعلقة
به فيحتاج الى قطعها بالتجرد عنها والزهد فيها لان الدنيا والآخرة
ضرتان ان سخط احداهما ارضى الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب
بقدر ما يميل احداهما يعرض عن الاخرى ويبعد عنها فاحتاج الى
قطعها بالزهد فيها والتجرد عنها الا قدر الزاد فلابد له منه كما
سياتي ان شاء الله تعالى الثانية قنطرة الخلق اهل الرغبة والبطالة
واهل الشر والجهالة فيحتاج الى قطعها بالتفرد عنهم والهرب من لقائهم
ان عم البلاء او خشي هلاك دينه او يعتزل عنا لهم بقلبه وفعله
ويحضر الجماعة والجمعة معهم ويوفيهم حقوقهم من صلة وزيارة
وحضور ميت كما سياتي ان شاء الله تعالى الثالثة قنطرة
الشيطان فيحتاج الى قطعها بالقهر والمحاربة والاستعاذة بالله
منه والمخالفة له لانه عدو ولا مطمع فيه لمصالحة وابقا لانه
لا يقنعه الا هلاك العبد اصلا فلا وجه الى الامن من هذا
العدو والغفلة عنه الرابعة قنطرة النفس وهي اعدا

الاعداء واشدها على العبد اذ هي بين جنبيه لا يمكنه التجرد عنها
بمرة لانها المطية ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصده من
من الاقبال على العبادة اذ هي مجبولة على ضد الخير امارة بالسوء والشر
فاحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له
فلا تطغى فيستعملها في المصالح والرشاد ويمنعها عن المهالك والفساد
فياخذ في قطع هذه القنطرة بالسياسة والاعتدال فيقمع من
شهوات النفس ما خرج عن طاعة الشرع والعقل ويترك
لها ما لا يخرج من الشرع والعقل فلا يترك كل شهوة ولا يتبع
كل شهوة فلما فرغ من هذه القنطرة وقطعها بحسن عونه وتوفيقه
رجع الى العبادة فنظر فاذا عوارض تعترضه عن العبادة وتشغله
عنها كما ينبغي فتستقبله هاهنا قنطرة **العوارض** فتامل
فاذا هي اربعة **احدها** الرزق تطلبه النفس به ويقول لا بد
لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق
فمن اين يكون قوامي ورزقي **الثاني** الاخطار من شيء تخافه
وترجوه او تريده او تكرهه ولا يدري الصلاح في ذلك من الفساد
فان عواقب الامور مبهمة لانه ربما يقع في فساد او مهلكة **الثالث**
الشدايد والمصايب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد
انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومجاهدة النفس
فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم
وحزن يتعرضه وكم من مصيبة تتلقاه **الرابع** القضاء من
الله سبحانه بالخلق والامر يرد عليه حالا فحالا والنفس تسارع
السخط وتبادر الفتنة فيحتاج الى قطع قنطرة هذه العوارض الاربعة
باربعة اشياء بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق وبتفويض

الامور اليه في موضع الاخطار وبالصبر عند نزول الشدايد
وبالرضا عند نزول القضا فلما قطع هذه القنطرة بما ذكرنا
باذن الله وحسن عونه رجع الى العبادة فنظر فاذا النفس فاترة
كسلا لا تنشط ولا تنبعث للخير والعبادة كما يجب وينبغي
وانما ميلها ابدا الى غفلة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول
وبلية وجهالة فاحتاج معها هاهنا الى سايق يسوقها الى
الخير والطاعة وينشطها له والى زاجر يزجرها عن الشر والمعصية
ويفترها عنه وهما الرجا في ثواب الله تعالى والخوف من عذابه
مع توابعهما من الحذر والاشفاق والشوق والمحبة فتستقبله هاهنا
قنطرة **البواعث** فاحتاج الى قطعها بالخوف والرجا كما قلنا بهما
فلما قطعها بحسن عون الله تعالى وتاييده رجع الى العبادة فتستقبله
قنطرة **العبادة** بالكمال فيعانيها بالشوق والاجتهاد اذ لم ير
شيئا شاغلا ولا عايقا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة
واقامها بتمام الرغبة فنظر فاذا تبدو لهذه العبادة التي احتمل فيها
كل ذلك آفتان عظيمتان وهما الريا والعجب تارة يرائي الناس
بطاعة الله فيفسدها وتارة يمتنع من ذلك ويلزم من نفسه
فيعجب بها ويحبط العبادة عليها ويتلفها فاستقبلته هاهنا
قنطرة **القوادح** في الاعمال المبطلة لها فاحتاج الى قطعها
بذكر المنة والاخلاص ونحو ذلك ليسلم له ما يعمل من خير وعبادة
فلما قطعها بجد واحتياط وحسن عصمة الله وتاييده فلما فرغ
من هذا كله حصلت العبادة وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا
هو غريق في بحور منن الله تعالى وكثرة اياديه من امداد التوفيق
والعصمة وانواع التاييد والحراسة فخاف ان يكون منه اغفال

الشكر فيقع في الكفران فتزول عنه تلك النعم الكريمة من انواع الطاف الله تعالى وحسن نظره فتستقبله ها هنا قنطرة الحمد والشكر على كثير نعمه تعالى فلما فرغ من هذه القنطرة نزل فاذا هو بمقصوده من العبادة بين يديه فلم يسر الا قليلا حتى وقع بميدان الانس والرضى وبساتين المحبة واللقا وصحراء الشوق وعرصات المعرفة ومجلس المناجاة فارتفع ها هنا على بساط قنطرة المناجاة فهو يتنعم في لذة العبادات وبساط المجاهدات ايام حياته وبقية عمره تارة يتنعم بلذة الشوق والمحبة ويتلذذ بحلاوة الرجا والطمع وتارة ينقبض بخوف الخاتمة فبينما هو يبادر الموت راغبا راهبا ويتوقع القدوم على الله تعالى آمنا مطمئنا فيكابده ها هنا قنطرة خوف الخاتمة قال فبينما العبد يجتهد في الدعاء والتضرع ويتنعم في المجاهدة والتخشع ويبادر الخاتمة بالخوف والقلق خائفا من حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة وقد خلف جملة القناطر وانشرح له القلب بالعلوم والبصائر وقد طهره الله سبحانه من الاوزار والكبائر وسبق العوايق الشاغلة ودفع عن نفسه العوارض المانعة وظفر بالبواعث والزواجر وسلم من القوادح المبطلة فبينما هو كذلك اذا شرف على قنطرة الموت بشخص في الدنيا ا رضي قلب في العقبى سماوي وقد استقذر الدنيا وحن الى الملك الاعلى واستبطا البريد واشتاق الى اللقا فبينما هو كذلك اذا برسل رب العالمين قد وردوا عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فتلقاه

في طيبة النفس وتمام البشري والانس من هذه الدار الفانية المفنية الى الحضرة الالهية والجنة العالية فيكون القبر له روضة من رياض الجنة ويوفق للصواب عند امتحان الملكين اياه بالسؤال والفتنة ويعرض روحه على مقعده من الجنة في كل غدوة وعشية فاذا بعث من قبره حمل على نجائب الكرامة آمنا من الفزع الاكبر واهوال يوم القيامة ويكون وجهه كالقمر ليلة التمام مع ما يلقى من البر والاكرام ويأخذ بيمينه صحيفة العمل ويكسى من فاخر الحلي والحلل ويحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ويجوز قنا طرجهنم بنور ساطع على ذلك الظلام المدلهم ويساق الى الجنة محبورا ويسقيه الرب سبحانه شرابا طهورا في ملك كبير ونعيم خطير مجاورا للرحمن في رياض تلك الجنان مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فيالها من سعادة ما اعظمها وكرامة ما ادومها فنسأل الله البر الرحيم المنعم الكريم ان يمن علينا وعليكم معشر الاخوان بهذه الطريقة المستقيمة حتى يوصلنا بها الى الكرامة العظيمة والنعمة الجسيمة وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم في هذا السعي المشكور والجزاء الموفور الا وصفا وسماعا وتمنيا لا اتفاعا واليه نرغب ان لا يجعل ما تعلمنا حجة علينا واياه نسأل ان يوفقنا جميعا للعلم والعمل كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين * (فصل) * ثم اعلم بالتحقيق انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره وقنا طره المرتبة عليه مثل المسافات التي تسلكها الانفس فتقطعها

باقدام الاجسام فيقع قطعها على حسب قوة الاجسام وضعفها وانما هو طريق روحانى تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب العقائد والبصائر اصله نور سماوى ونظر الهى يقع فى قلب من سبقت له من الله العناية الازلية فينظر العبد به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ويبقى فى المنطقة الواحدة سبعين سنة ولا يقطعها فكم نصيح ويصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واعسر هذا الامر واعظمه وذلك لخطائه فى الطلب وتقصيره فى الاجتهاد وجهله للطريق وآخر يجده فى خمسين وآخر فى عشرين وآخر فى يوم واحد وآخر فى ساعة ولحظة على ما قسم له من عناية رب العزة وتوفيقه الا ترى اصحاب الكهف كان مدتهم فى هذا الطريق خطوة اذ رأوا التغير فى وجه ملكهم دقيانوس على ما حكى فى الخبر فقالوا ربنا رب السموات والارض وكذلك سحرة فرعون ما كانت مدتهم الا لحظة حين رأوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون الآية فابصروا الطريق فى ساعة او اقل فصاروا من العارفين بالله الراضين بقضائه الصابرين على بلائه فان قلت فلم اختص هؤلاء بالتوفيق وحرم غيرهم وهم جميعا مشتركون فى ربقة العبودية فاعلم انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لكن العبد مأمور بالاجتهاد والامر مقسوم والحكم العدل يفعل ما يشاء فنسئل الله تعالى ان لا يحرمنا ذلك بمنه وكرمه

(فصل) ومثال هذا الطريق فى الدنيا قناطر الصراط فى الآخرة فى عقباتها

ومقاطعها وهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط
الدنيا للقلوب يرى احوالها اهل البصائر وصراط الآخرة للانفس
يرى احوالها اهل الابصار فاختلفت احوال السالكين في الآخرة
لاختلاف احوالهم في الدنيا وبالله التوفيق * (فصل) *
ثم اعلم يقينا ان من سبق له من الله تعالى التوفيق واودع قلبه
نور الهداية على التحقيق حتى عرف فضيلة ارض نفسه ورزقه
العناية لخدمتها حتى ينظر اليها فيراها ارضا اريضة ذات مياه
نابعة واشجار فارعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل
ويفتش في غياض شعارها فيجدها ماوى لاسد الغضب
ونمور الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص
وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فاذا تحقق
ذلك منها فليبتهل الى الله تعالى بقلب منيب ان يرزقه
مجاهدة هذه الآفات المؤذية حتى ينقي ارض نفسه منها
بالمجاهدة الحقيقية ويزرع فيها اصناف رياحين الاخلاق
المرضية فان الله سبحانه مرجو ان يهب له مطية التوفيق
حتى يقطع بها الطريق وهذه المطية لها اربعة قوائم من غير
لحم ولا عظم فان قلت اشرح لي قوائم المطية فهل ينبعث
الاشتياق وانت غير مسارع الى اللحاق ولكن ساشرحها لك
فالقائمة الاولى ذكر الله تعالى على الدوام بلا ملل والثانية
تعلق القلب به في كل حين وزمان والثالثة صرف الهمة اليه
اشتياقا والرابعة اشتغال القلب به عن كل شيء سواه واعلم
ان بصر المطية من العلم والمعرفة واذنها من المراقبة وظهرها
من التوكل وعنقها من الوفا وقلبها من الصدق مكلل

بالاخلاص ولجامها من الهيبة وروحها من اليقين وطعامها
من الانس وقائدها التوفيق وسايقها العون والتاييد
تصديقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وطرق التوفيق الى الله تعالى كثيرة لا تحصى والمطايا كذلك
ولكن هذه مطية من سلك اقرب طرق التوفيق الى الله تعالى
فيقطعها فى لحظة وذلك بان يجعل ما فى الوجود فى خطوة
واحدة وهذه المطية هى الغاية القصوى وما سواها من
المطايا تبع لها اليها ينتهى عمل العاملين وبفنائها تناخ مطايا
العارفين وحواليها يكون طواف الروحانيين وبادبها يتادب
الصديقون وما سواها من مطايا الاولياء وطرقهم تبع لهذه
المطية ولهذا الطريق واعلم ان هذه المطية فى طرق مفازة
القناطر المعمورة باللصوص والعاهات وفيها تقع معارك
الحروب فيكثر فيها ملاحم القتال فسلوا ايها الاخوان
الموفون للطريق رحمكم الله تعالى سيوف المجاهدة وانشروا الوية
المراقبة واركزوا رايات التفقد والمحاسبة ولكن لا يقطع
هذه المفازة بالكمال حتى يصل الى هذه المطية الا من رزقه الله
تعالى من التوفيق ما يخلص به اثير الهباء من الهوا ولطيف
الهوا من الماء مع عصمة الله تعالى وامداده اياه بقوة اليقين
حتى لا يرى فى الوجود الا الله تعالى وافعاله من ابطال العارفين
وشجعان الروحانيين وسياس الصديقين ولكن من كان التوفيق
قائده والتيسير دليله فما اسرع الى كل خير وصوله فاجتهدوا
رحمكم الله تعالى فى اخذ حظكم من مولاكم عسى ان يهديكم لركوب
هذه المطايا الحسان ويوصلكم عليها بلطفه دار الامان والرضوان

وتناصحوا فيما بينكم ولا تتركوا حب الدنيا يغلق اقفال قلوبكم فانه شر محبوب واخطر مطلوب جعلنا الله تعالى واياكم ممن يستمع القول فيتبع احسنه *(فصل)* دعانى رحمكم الله تعالى الى تمثيل الدنيا بالمفازة وتمثيل الشريعة بالطريق فيها وتمثيل الفرائض بالقناطر المبنية الموضوعة عليها وتمثيل اعمالها بالمطايا لانى وجدت ضرب الامثال يرشق القلوب بسهام الموعظة رشقا لايليق بغيرها ولان ذلك ابلغ فى تقريب المعانى الى العقول كقوله عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده وقال بعض السلف سالت راهبا فقلت صف لى الدنيا قال خلق كخلق المراة راسها الكبر ووجهها الفرح وعينها السهو ولسانها الغدر وادناها النسيان ونفسها العلو وقلبها الطمع وبطنها الحرص ورجلها الحسد وعنقها الحزن وظهرها الاياس من الله تعالى وزينتها الشهوات فهذه صفة دنياكم التى عليها تتشاجرون فاحذروها وقال الله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون وفى كتاب الله تعالى من الامثال مايستغرق الوصف والله المستعان *(فصل)* فان قال قائل اذا كان الامر على ما وصفت والطريق على مامثلت لقد قل من الناس العابد لهذا الرب المعبود والواصل الى هذا المقصود فمن ذا الذى يقوى على هذه المؤن ويحصل هذه الشرائط فاعلم ان الله سبحانه يقول ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقال وقليل من عبادى الشكور وقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ثم قال ولكن اكثر

الناس

الناس لا يعلمون ولا يشكرون ولا يعقلون ولا يتفكرون في امثال
هذه الآيات ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وصفا
قلبه ونوره فعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال
الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا كان العبد
الضعيف يقوم بما عليه من التكاليف فما ظنك بالرب القادر العلي
الكبير اللطيف والشان كله يرجع الى اصل واحد وهو الكلمة السابقة
في الازل بالتوفيق والسعادة ولا يدرك ذلك باجتهاد وتكليف
ولكن بقسمة ازلية وهبة واهب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وليست هذه الهبة بالانساب ولا بالاحساب الا ترى الى لقمان
الحكيم قيل انه عبد مملوك نوبي اعطاه الله من الحكمة ما طبق الآفاق
واشتهر في الاقطار حتى انزل ذلك في القرآن وكذلك غيره ممن يطول
ذكره رجالا ونساء مثل تجينة المعتوقة وغزالة الامة المجلوبة
من السودان اما تجينة فانها كانت تصلي في مصلى ابي عبيدة الجناوني
رحمه الله تعالى فقصدها ابو الخير الزواغي فرآى ضوءا ساطعا
واشباه رجال خلفها او دائرين بها فشرب عندها من اناء لبنا
توضأ من ذلك الاناء ما في حالته تلك واما غزالة فهي صاحبة
م وادي الزير فكانت فيما قيل اذا نومت مواليها في بلد ويغوا
حضرت المجلس في تونزيرف فتاتي كهفها آخر الليل فتجد فيه
مصباحين يقدان فلما اعتقت انطفى مصباح واحد وبقي آخر
والله تعالى اعلم فنسال الله البر الرحيم ان يمن علينا وعليكم بالتوفيق

(فصل) اعلموا رحمكم الله تعالى اني تفكرت في احوال
اسلافنا رحمهم الله تعالى فوجدتهم اهل بصائر ومعرفة بالدين
واهل تواضع وخشية في قوة يقين مع ما منحهم الله من سلامة الصدور

من كل غائلة واجتهاد في العبادة بتصديق الورع عن كل شبهة فبذلوا في احياء دين الله تعالى اموالهم واهرقوا فيه دماءهم فاصبحوا وقد اقفرت منهم الديار ولم يبق الا ذكرهم في المجالس والاقطار فآثارهم مذكورة وسيرهم في الاسفار مشهورة فخلف من بعدهم خلف رضوا بالدنيا عوضا عن الآخرة عليها يتكالبون وبها يتواصلون ومن اجلها يتوالون ويتعادون استعبدتهم الدنيا فاذلتهم والاماني فاضلتهم فياليتهم اكتسبوها من ابوابها واكلوها من اسبابها ولكنهم اخذوها عوضا عن الدين وثمنا بخسا لسير اشياخنا الاولين استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فاصبح كل بعاجل حظه مشغوفا فصار المنكر من اجل ذلك عندهم معروفا حتى ضاعت حدود الدين وامحت آثار السلف الصالحين فاصبح منار الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا للخلق الا علم الا فتوى لحكومة يستدرج بها العوام اذ لم يروا ما سواها مصيدة للحرام وشبكة للحطام واما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه علما وفقها وحكمة ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ثم اني نظرت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وما دونه السلف الصالح رحمهم الله تعالى من الآثار والسير في الدفاتر والاسفار فوجدت في ذلك علما اتضح عندي برهانه وحقيقته وايقنت بالفوز والنجاة لمن انتحله وعمل به وهو العلم بحدود التقوى من الورع عن محارم الله عز وجل والقيام بحدوده وتصفية القوت والقلوب من مكارهه فرايت انتحال ذلك والعمل بحدوده واجبا علي وعلى الجميع والحجة العظمى قائمة من اجله على الجميع من فهمه اذا كان ذلك

دين الله القوي والحق المبين وعليه مضى اسلافنا وسائر المتقين ثم اني نظرت في احوال دهرنا فرايته دهرا مستصعبا تبدلت فيه شرائع الايمان وانتقضت فيه عرا الاسلام واندرست فيه حدود الدين بالكلية ورايت فتنا متراكبة يحار فيها اللبيب ودينا مندرسا لا داع اليه ولا مجيب وقد عميت عن الآخرة بصائرنا وامتلات بحب الدنيا ضمائرنا فخشيت الانسلاخ من الامر كله فرايت التمسك بالقليل خيرا من ذهاب الجميع وان كان لا عذر لاحد في تضييع شئ من اوامر الله تعالى ولا ارتكاب شئ من مناهيه ولكن سداد من عوز لانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه سياتي بعدكم قوم ان تمسكوا بعشر ما انتم عليه نجوا فدعاني ما ذكرت الى تاليف كتاب اشرح فيه ان شاء الله تعالى بعض شرائع الدين وابين فيه بعض مناهيه لعل الله تعالى يجعله تذكرة لنفسي ولمن نظر فيه من ابناء جنسي وغيرهم من الناس وسميته كتاب قناطر الخيرات فالله سبحانه وتعالى اساله التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطاء والزلل وهذا الكتاب يحتوي على سبعة عشر قنطرة اشرحها ان شاء الله تعالى بالتمام الاولى قنطرة العلم وهي تحتوي على مقدمة في بيان العقل وعشرة ابواب في تفصيل العلم الاول في بيان فضله الثاني في فضل التعلم والتعليم الثالث في فرض العين الرابع في فرض الكفاية الخامس في بيان حد الفقه والكلام في علم الدين وبيان علم الآخرة من علم الدنيا السادس في طرق العلم وتقاسيمه السابع في ادب المتعلم والعالم الثامن في آفات العلم والعلماء السوء التاسع في بيان جنس العلم المذموم واسماء

العلم المجهود العاشر في العلامات المميزة بين علماء الدنيا والآخرة وسائر المناظرات على الترتيب المتقدم ان شاء الله تعالى الى قنطرة فيكون آخرها صفة الجنة والنار وهذه الابواب تشتمل على فصول ستاتي فيما بعد ان شاء الله تعالى ونحن الآن مبتدئون ان شاء الله تعالى في ابواب العلم وتفاصيلها اعلم انه قد قدمنا اولا انا سنشرع في بيان مقدمة العقل قبل ابواب العلم

(فصل) في فضل العقل وشرفه وحقيقته واقسامه وانما قدمنا بيان العقل على تفصيل ابواب العلم لان العقل آلة لدرك العلوم واس للفضائل ويـنبوع للآداب واصل للتكليف وعماد للدنيا فالعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وشرف العقل مدرك بالضرورة وكيف لا يشرف ما هو وسيلة الى السعادة في الدنيا والآخرة وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن انس قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه فقال ايها الناس ان لكل شئ مطية واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان كان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال عليه السلام انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل فكانت نصرتهم ونياتهم

على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا
كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اصل الرجل عقله وحسبه
دينه وعن الحسن البصري قال ما استودع الله احدا عقلا الا
استنقذه به يوما ما وعن البرا بن عازب عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل
وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله عز
وجل اوفرهم عقلا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت
يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة
قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم
يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله عز وجل من العقل
فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون
وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو والجهل انكا عدو وقال
بعض الادباء صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض
البلغاء خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل وانشد الماوردي
لابراهيم بن حسان

يزين الفتى في الناس صحة عقله * وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله * وان كرمت اعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس انه * على العقل يجري علمه وتجاربه
وافضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الاشياء شئ يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت اخلاقه ومآربه

وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ آلة
وعدة وآلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المؤمن العقل

ولكل شئ دعامة ودعامة المؤمن العقل ولكل قوم غاية وغاية
العباد العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين
العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب
ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه
ويذكرون به العقل ولكل شئ فسطاط وفسطاط المؤمن
العقل وعنه صلى الله عليه وسلم قال ان احب المؤمنين الى الله عز
وجل من نصف في طاعته تعالى ونصح لعباده وكمل عقله ونصح
نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وعنه عليه الصلاة
والسلام قال اتمكم عقلا اشدكم لله عز وجل خوفا واحسنكم فيما
امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا واعلم ان بالعقل
تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وهو ينقسم
قسمين غريزي ومكتسبي فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق
به التكليف لا يتجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه
يمتاز الانسان من سائر الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا
وخرج به الى حد الكمال كما قيل عن صالح بن عبد القدوس انه قال
اذا تم عقل المرء تمت اموره * وتم اياديه وتم بناؤه وروى عن
الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف
الناس فيه وفي صفته على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر
لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات واختلف من قال
بهذا في محله فقالت طائفة محله الدماغ لان الدماغ محل
الحس وقال آخرون محله القلب لان القلب معدن الحياة
ومادة الحواس وفي آثار رويناها عن علي بن ابي طالب يرفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله سبحانه العقل

من نور مكنون في غامض علمه بحيث لا يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل فجعل الزهد راسه والخير سمعه والحياء عينه
والرافة قلبه والعلم فهمه والبصر طبعه ثم قواه بعشرة اشياء
بالايمان واليقين والسكينة والصدق والاخلاص والقنوع والخشوع
والشكر والتسليم والصبر ثم قال له اقبل فاقبل فكان اقباله اقبالا
ثم قال له ادبر فادبر فكان ادباره ادبارا فقال له عز وجل فوعزتي وجلالي
ما خلقت خلقا قط اكرم علي منك ولا احسن منك ولا احب الي
منك بك آخذ وبك اعطي وبك اعبد وبك اعرف ولك الثواب وعليك
العقاب قال فخر العقل ساجدا فمكث في سجوده الفي عام فقال له
عز وجل ارفع راسك واسال تعط واشفع تشفع فقال اللهم سيدي
بحقك على خلقك الا شفعتني فيمن خلقتني فيه قال فذلك لك
وقال صلى الله عليه وسلم من اوتي العقل فقد اوتي خيرا كثيرا وانما
العاقل من عقل عن الله تعالى امره ونهيه ومن لم يكن كذلك فليس
بعاقل حتى قال بعض العلماء فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس
ان يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل وعنه
عليه السلام قال اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته
فلا يعجبنكم اسلام رجل حتى تعلموا عقله وقال امرنا معشر الانبياء
ان نكلم الناس على قدر عقولهم فان قيل ان كان العقل عرضا
فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر
قائم بنفسه لا يتحيز قيل له ان هذا من العلم الغامض الذي
لا يطلع عليه الا الانبياء والروحانيون وقد ابطل الماوردي في
كتابه هذا القول بهذه العلة وقال قوم العقل غريزة يتهيأ بها
درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية حكى هذا عن

الحارث المحاسبي فكانه اشار الى ان العقل نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في انكشاف العلوم لها نسبة نور الشمس الى البصر وهذا الوصف هو الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وقال الآخرون العقل بعض العلوم الضرورية ارادوا العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل الصغير المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وقالت طائفة العقل هو جملة العلوم الضرورية من وجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وقال بعضهم العقل هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك الحواس الخمس كالمرئيات المدركة بالبصر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان ممن يدرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم وكان عاقلا لان خروجه في حال تغميض عينيه من ان يدرك بها ويعلم لا يخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك لعلم والنوع الثاني ما كان مبتدئ في النفوس كالعلم بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم وكالعلم بان من المحال اجتماع ضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله فاذا كان عالما بالمدركات الضرورية فهو كامل العقل والى هذا القول ذهب الماوردي في كتابه وقال فكل من نفى ان يكون العقل جوهرا اثبت محله القلب لان القلب محل العلوم كما قال تعالى

افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه
الاية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب وفى
قوله يعقلون بها تاويلان احدهما معناه يعلمون بها والثانى يعتبرون
فهذه جملة القول فى العقل الغريزى واما العقل المكتسب فهو نتيجة
العقل الغريزى وذلك علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال
فان من حنكته التجارب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف به
يقال انه غمر جاهل وهذا العقل ينمى ان استعمل وينقص ان اهمل
لانه من قوة نهاية المعرفة واصابة الفكرة ما لم يمنعه مانع من هوى
ولا صاد من شهوة لانه يحصل ذلك بكثرة التجارب وممارسة الامور
ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ فقالوا عليكم بآراء الشيوخ فانهم
ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت
لاسماعهم اثار الغير وقال التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل
وقيل فى منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله
وقال بعض البلغاء كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة وينشد

الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا وقد يكون هذا ايضا لفرط الذكاء
وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس واذا امتزج بالعقل الغريزى
صارت نتيجتهما هو العقل المكتسب كالذى يكون فى الاحداث من
وفور العقل وجودة الراى ولذلك قالوا عليك بالحديث السن الحديد
الذهن وقالت العرب عليكم بمشاورة الاحداث فانهم ينتجون
رايا لم يفله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم
وانشد الماوردى لبعض الشعراء *

رايت العقل لم يكن انتهابا * ولم يقسم على عدد السنينا

ولو ان السنين تقاسمته * حوى الآباء انصبت البنينا

وروى عن الاصمعى انه قال قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحادثنى فامتنعنى بفصاحته وملاحته ايسرك ان تكون لك مائة الف درهم وانك احمق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى على حمقى فانظر الى هذا الصبى كيف استخرج بفرط ذكائه ما لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة وحكى عن ثمامة بن اشرس انه اخبر ان المامون تفرد يوما فى بعض تصيده فانتهى الى بعض بيوت اهل البادية فرأى صبيا يضبط قربة وقد غلبه وكاؤها وهو يقول يا ابت اشدد فاها فقد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها قال فوقف عليه المامون فقال ممن تكن فقال من قضاعة قال من ايها قال من كلب قال وانك لمن الكلاب قال لسنا هم ولكن قبيل يدعا كلبا قال فمن ايهم انت قال من بنى عامر قال من ايها قال من الاجداد ثم من بنى كنانة قال فمن انت يا خالى فقد سالتنى عن نسبى فقال ممن تبغضه العرب كلها قال فانت اذا من نزار قال انا ممن تبغضه نزار كلها قال فانت اذا من قريش قال انا ممن تبغضه قريش كلها قال فانت اذا من بنى هاشم قال انا ممن تحسده بنو هاشم كلها قال فارسل فم القربة فقام اليه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته وضرب بيده الى شكيمة الدابة وهو يقول *

مامون يا ذا المنن الشريفه * وصاحب الكتيبة الكثيفه

هل لك فى ارجوزة ظريفه * اظرف من فقه ابى حنيفه

لا والذى انت له خليفه * ما ظلمت بارضنا ضعيفه

عاملنا مؤنته خفيفه * ويوجبا فضلا على الوظيفه
فالنشب والنجبة في السقيفه * واللص والتاجر في القطيفه
قد سار فينا سيرة الخليفه * فقال له المامون احسنت ايما
احب اليك عشرة آلاف درهم معجلة او مائة الف مؤجلة فقال
بل ادخرك يا امير المؤمنين في خبر آخر لانك انت الغني الوفي قال فما
لبث ان اقبلت الفرسان فقال احملوه فمضى به حتى كان احد سماره
انظر الى جودة قريحة هذا الغلام ومجاوبته فسبحان الفعال لما
يشاء واحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكي ابن قتيبة ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن
الزبير فهربوا منه الا عبد الله فقال له عمر مالك لم تهرب مع اصحابك
فقال يا امير المؤمنين لم اكن على ريبة فاخافك ولم يكن بالطريق
ضيق فاوسع لك انظر الى ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة وقوة
المنة وحسن البديهة فليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية
ولمثل هذا قالت الحكماء غاية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة
الوهم وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر يعجز عن
جواب وان اعضل كما قيل لعلي بن ابي طالب كيف يحاسب
الله العباد على كثرة عددهم فقال كما يرزقهم على كثرة عددهم
وقيل له كم بين السماء والارض فقال دعوة مستجابة وقيل
لابن عباس اين تذهب هذه الارواح اذا فارقت الاجساد فقال اين
تذهب نار المصابيح عند فناء الادهان وهذان الجوابان جوابا
اسكات تضمنا دليل اذعان وحجة قهر وقيل لعلي ايضا كم بين
المشرق والمغرب قال يوم طراد الشمس ومن غير هذا الفن وان
كان مسكتا ما حكي ان ابليس لعنه الله حين ظهر لعيسى بن مريم

عليه الصلاة والسلام فقال الست تقول لن يصيبك الا ما كتب
الله لك قال نعم قال فارم نفسك اذا من ذروة هذا الجبل فانه
ان قدرت لك السلامة تسلم فقال له يا ملعون ان الله يختبر عبده
وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا الجواب لا يستغرب من انبياء
الله الذين امدهم بوحيه وايدهم بنصره وانما يستغرب ممن يلجأ
الى خاطره ويعول على بديهته فاذا اجتمع هذان الوجهان في العقل
المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بجودة الحدس وصحة القريحة
بحسن البديهة مع ما ينميه الاستعمال بطرق التجارب ومرور
الزمان بكثرة الاختبار فهو العقل الكامل على الاطلاق من الرجل
الفاضل بالاستحقاق وذلك ان تنتهي قوة الغريزة الى ان يعرف
عواقب الامور ويقمع الشهوات الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها
فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث انه اقدامه
واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة
العاجلة فهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز من الحيوان
فالاول هو الاصل اعني الغريزة والثاني هو فرع اعني العلوم الضرورية
والثالث هو فرع الاول والثاني اعني علوم التجارب اذ بقوة الغريزة
والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب
وحكي عن سابور بن ازدشير انه قال العقل عقلان احدهما مطبوع
والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فنظم ذلك
علي بن ابي طالب فيما حكي عنه فقال *

رأيت العقل نوعين * فمسموع ومطبوع
فلا ينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام اول ما خلق الله
العقل الحديث والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن
ابي طالب اذا تقرب الناس الى الله عز وجل بابواب البر فتقرب
اليه بعقلك وقوله لابي الدردا ازدد عقلا تزدد من الله تعالى
قربا فقال بابي انت وامي كيف لي بذلك فقال عليه الصلاة
والسلام اجتنب محارم الله تعالى وادي فرائض الله سبحانه
تكن عاقلا وتنفل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا
رفعة وكرامة وتنل من ربك بها القرب والعز وقال عليه الصلاة
والسلام ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده
عن ردا وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب رضي الله
تعالى عنهما واباهريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال عليه السلام العاقل
فقالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس
قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته
وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه الصلاة والسلام
ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين
انما العاقل هو المتقي وان كان خسيسا دنيا في الدنيا وعن انس بن مالك
قال اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال
كيف عقله فقالوا يا رسول الله انه من عبادته انه من فضله
فقال كيف نثني عليه بالعبادة واصناف البر وتسئلنا عن عقله
فقال عليه الصلاة والسلام ان الاحمق يصيب العابد بجهله اعظم من
فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقلهم

وبالجملة من لم تكن بصيرة عقله ثاقبة لم يعقل به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناها وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون فضيلة لان الفضائل هيات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج من حد الاعتدال لقوله عليه الصلاة والسلام خير الامور اوساطها وقال ان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدها والمكر وذلك مذموم وصاحبه مذموم وقد امر عمر بن الخطاب رضى الله عنه اباموسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد يا امير المؤمنين اعن موجدة ام خيانة فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان احمل على الناس فضل عقلك وقالت الحكماء للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما دلك على سبيل رشدك وقال آخرون وهو اصح القولين زيادة العقل فضيلة لانه زيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الوفا ما الوف وقال القاسم بن محمد كانت العرب تقول من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر عليه وقد قيل في منثور الحكم كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا واما الدها والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو صرفه الى الخير لكان محمودا وقد ذكر المغيرة عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال كان والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

لست بالخب ولا يخدعني الخب والله اعلم * (فصل)
واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة
منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون
صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالانوك الذي لا توجد
منه فضيلة والاحمق الذي قل ما تخلو منه رذيلة وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه
اذ حرمه اعز الاشياء اليه وعنه عليه الصلاة والسلام قال الاحمق
كالفخار لا يرقع ولا يشعب وروي عطاء عن جابر قال كان
في بني اسرائيل رجل له حمار فقال يا رب لو كان لك حمار لعلفته
مع حماري هذا فهم به نبي من الانبياء فاوحى الله تعالى اليه انما
اثيب كل انسان على قدر عقله قال وكانت ملوك الفرس اذا
غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ويقولون ان الاحمق يحتفظ
من كل شئ الا من نفسه ولذلك قال بعض الحكماء الحاجة الى العقل
اكثر من الحاجة الى المال وقال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة
العاقل وقال انوشروان لبزرجمهر اي شئ للمرء خير قال عقل
يعيش به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون عليه قال فان لم
يكن قال فمال يتحبب به الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت
قال فان لم يكن قال فموت جارف وفي كتاب العقد قال خطب
وكيع بن ابي سويد وهو والي خراسان فقال ان الله خلق السموات
والارض في ستة اشهر قيل انما هي ستة ايام فقال والله لقد
قلتها وانا استقلها قال وخطب والي اليمامة فقال ان الله لا
يغار عباده على المعاصي وقد اهلك امة عظيمة في ناقة تساوي
مائتي درهم فسمي مقوم الناقة قال ودخل قوم على ترديم

الدوسي فقالوا له ابن القبلة في دارك هذه فقال اعاد خلفنا اليها منذ ستة اشهر قال وحدثني عامر بن عبد الله بن الزبير عطاه في المسجد وكان قد اوتي بر هناك فلما صار الى بيته قال يا غلام ايتني بعطائي الذي نسيت في المسجد فقال واين يوجد وقد دخل في المسجد بعدك جماعة قال او بقي احد يأخذ ما ليس له قال وسرق نعله فلم يلبس بعد ذلك نعلا حتى مات وقال اكره ان يجيء من يسرقه فيأثم قال وفي هذا الضرب من الناس يقول ايوب السختياني من اصحابي من ارجو بركة دعائه ولا اقبل شهادته الاصمعي قال كان الشعبي يحدث انه كان بين بني اسرائيل عابد جاهل قد ترهب في صومعته وكان له حمار يرعى حولها فاطلع من الصومعة فرآه يرعى فرفع الى السماء فقال يا رب لو كان لك حمار كنت ارعاه مع حماري وما كان يشق علي فهم به نبي في ذلك الزمان فاوحى الله تعالى اليه دعه فانما سال وانما اثيب كل انسان على قدر عقله هشام بن حسان قال اقبل رجل الى محمد بن سيرين فقال ما تقول في رؤيا رايتها قال وما رايت قال كنت رايت ان لي غنما فاعطيت بها ثمانية دراهم فابيت من البيع ففتحت عيني ولم ار شيئا فاغلقتها ومددت يدي فقلت هاتوا اربعة فلم اعط شيئا قال ابن سيرين لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال يمكن الذي قلت وفي كتاب الماوردي قال وولي الربيع العامري وكان من النوكا منابر اليمامة فاقاد كلبا بكلب فقال فيه الشاعر *

شهدت بان الله حق قضاؤه * وان ربيع العامري رقيع
اقاد لنا كلبا بكلب فلم يدع * دما كلاب المسلمين تضيع

ومثل هذا من رذائل النوكا ما لا يحصى كثرة اذ لا معنى للاكثار منها الا بحسب ما ينتشر من فضائل العاقل كذلك يظهر من رذائل الجاهل حتى يصير مثلا فى الغابرين وحديثا فى الآخرين وقد وصف بعض البلغاء العاقل بما فيه من الفضائل فقال العاقل اذا والى بذل فى المودة نصره واذا عادا رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله ان احسن الواحد ترك المطالبة بشكره وان اساء اليه مسيء سبب له اسباب العذر ومنح له الصفح والعفو والاحمق ضال مضل ان اونس تكبر وان اوحش تكدر وان استنطق تخلف وان ترك تكلف مجالسته مهنة ومعاينته محنة ومحاورته غم وموالاته ضرر ومقاربته عما ومفارقته شفا وقال بعض البلغاء ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق وادبرت على العاقل بالاستحقاق فان اتتك منها سهمة مع جهل او فاتتك بغية مع عقل فلا يحملنك ذلك على الرغبة فى الجهل والزهد فى العقل فدولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل من الموجبات وليس من امكنه شيء من ذاته كمن استوجبه بالاته وادواته وبعد فدولة الجاهل كالغريب الذى يحن الى النقلة ودولة العاقل كالنسيب الذى يحن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة حلها بغير فضل فان الجهل يزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا واما العاقل فهو ابدا من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد فالعقل ينبوع

الاخلاق الفضيلة واس الفضائل الكاملة وانشد بعض
اهل الادب وذكرانها لعلي بن ابي طالب *

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والصدق سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الاحين اعصيها
والعين تعلم في عين محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

(فصل) وفي كتاب الغزالي قال اختلف الناس في تفاوت
العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قد قل تحصيله بل
المبادرة الى التصريح بالحق قال والحق الصريح ان التفاوت يتطرق
الى الاقسام الاربعة المتقدمة سوى القسم الثاني وهو العلوم
الضرورية من جواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من
عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم
في مكانين في امثالها من النظائر التي تدرك ادراكا محققا من غير
شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها والى هذا
اشار عمروس بن فتح رحمه الله تعالى في كتابه وزعم احمد بن
الحسين مع من وافقه هم الذين ذهبوا الى ان العقول متساوية
وعلتهم في ذلك تساويهم في التكليف ولا معنى للاشتغال
باحتجاجهم في ذلك اذ من انكر التفاوت في غريزة العقل فكانه
منخلع من ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم
مثل عقل بعض الجهال فهو اخس حالا من اولئك الجهال
وكيف ينكر تفاوت الغريزة العقلية ولولا ذلك لما اختلف
الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم

الابعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ تتضح لهم فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم ولا سماع ويعبر عن ذلك بالالهام وكمثل المحدثين والمروعين كقوله عليه الصلاة والسلام ان لكل امة محدثا ومروعا فان يكن فيكم فعمر والمحدث والمروع هو الذى يلقى فى روعه وقلبه كانه يحدث وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وقوله ان روح القدس نفث فى روعى احبب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وقوله عليه الصلاة والسلام احذروا فراسة المؤمن فانه بنور الله يبصر والفراسة معناها الظن الصادق وفى مثل ذلك يقول الشاعر *

الالمعى الذى يظن بك الظن * كان قد رآى وقد سمعا * آخر

بصير باعقاب الامور كانما * يرى بصواب الراى ما هو واقع

وهذا امر ظاهر لا يخفى عن ذوى عقل وذكر الغزالى فى كتابه ان غريزة العقل فى اول مباديها مثل نور يشرق على النفس عند سن التمييز فلا يزال ينمو ويزداد الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج فى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس قال وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق فى ذلك مدرك بين الاعمى وبين الحاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع ما خلق بالتدريج فى الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تركز فى الصبى دفعة بل تظهر شيئا فشيئا

[illegible]

على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات قال ويدل على
تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان ابن سلام سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فيه وصف
عظم العرش وان الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت شيأ اعظم
من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ قدره قال هيهات لا يحاط
بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فانى خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حبة ومنهم
من اعطى حبتين ومنهم من اعطى الثلاث والاربع ومنهم من
اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم اكثر من ذلك وبالله
التوفيق وقد ذكرنا العقل واقسامه وحقيقته فلنرجع الى ذكر
العلم وتفاصيل ابوابه ان شاء الله تعالى ذكر قطرة العلم
وتفصيل ابوابها العشرة *(الباب الاول)* فى بيان
فضل العلم فاما بيان فضله فعلى خمسة اقسام من الكتاب
والسنة والآثار والمعانى والحس اما الكتاب فآى كثيرة
منها قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط فبدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث باولى
العلم من عباده فساواهم بنفسه وملائكته بوا والتشريك
تشريفا وتعظيما فناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا
وقوله تعالى شهد الله الآية والشهادة لا تكون الا بالعلم دون
الجهل والشك والظن قال الله تعالى الا من شهد بالحق وهم
يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فقال اهل العلم لحن الخطاب يرفع الله الذين امنوا منكم
درجة والذين اوتوا العلم درجات وروى عن ابن عباس رضى الله

تعالى

تعالى عنه انه قال للعلماء درجات فوق المؤمنين سبعمائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى يؤتى الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقوله تعالى
من يشاء تخصيص ولم يكتف بقوله خيرا حتى قال كثيرا
وهذا نهاية فى الفضل والتعظيم وقال سبحانه هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فمنع من المساواة ما بين العالم والجاهل
لما خص به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فنفى ان يكون غير
العالم يعقل عنه امرا ويفهم عنه زجرا وقال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء فاخبر سبحانه انما يحصل له الخوف فى قلوب
العلماء خاصة لانهم اعلم به دون الجهال وقال تعالى قل كفى
بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال جل
وعلا قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه
اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله بين تعالى ان عظم قدر الآخرة انما يعلم بالعلم وقوله
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم رد تعالى حكمه فى الوقائع الى استنباط
اهل العلم وألحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله تعالى
وقيل فى قوله تعالى يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى
سوآتكم وريشا (يعنى العلم) ولباس التقوى (يعنى اليقين) يعنى الحياء وقال تعالى
فلنقصن عليهم بعلم وقال بل هو آيات بينات فى صدور الذين
اوتوا العلم وقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان
وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة

والسلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال فى الدنيا تحقيرا وتزهيدا فيها قل متاع الدنيا قليل
وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا ارادا صنا فا
من المال منهم زهرة الحياة الدنيا اى زينتها نهى نبيه عليه
الصلاة والسلام ان ينظر الى الدنيا بعين الرغبة وقال له
فى العلم آمرا بالرغبة فيه والزيادة منه وقال رب زدنى علما
فلو كان معنى افضل من العلم لامره بالرغبة فيه والزيادة منه
فلما كان النبي عليه الصلاة والسلام اكرم الخلق عليه وافضلهم
لديه اختار له افضل المعانى واعزها واشرفها وهو العلم
وقال تعالى فى فضل العلم فى قصة موسى والخضر عليهما السلام
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى
حقبا مع ما انطوت عليه القصة من قطع البلاد فى طلبه
وركوب المشاق ولقا النصب فى سفره الى علم يتعلمه بعد
ان قال انا اعلم اهل الارض فلما بلغ مجمع البحرين وجد الخضر
عليه السلام فقال له موسى مستلطفا مستعطفا هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فكان من قصتهما ما ذكره الله تعالى
فى كتابه وقال ايضا فى فضله فى قصة سليمان عليه السلام مع
الهدهد وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد الى قوله
لاعذبنه عذابا شديدا اولاذبحنه الخ القصة توعده لما تفقده
بالعذاب الشديد او بالذبح فلما اتاه قال احطت بما لم تحط به
الى قوله من الكاذبين فلا معنى اعز واشرف من العلم فلا يختاره الله
لاحب الخلق اليه واكرمهم عليه وغير ذلك من الآى كثيرا فى
كتاب الله تعالى تركناها مخافة التطويل *(فصل)*

واما من السنة فاحاديث كثيرة منها مارواه جابر بن زيد
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب العلم
عند الله افضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد
في سبيل الله وقال عليه الصلاة والسلام اذا حضرت الجنازة
وحضر مجلس العلم فاذا كان للجنازة من يحضرها ويدفنها
فان حضور مجلس العلم افضل من حضور الف جنازة وعيادة
الف مريض ومن صلاة الف ركعة ومن صيام الف يوم
وصدقة الف درهم ومن الف حجة سوى حجة الفريضة ومن
الف غزوة سوى الغزوة الواجبة تغزوها في سبيل الله تعالى
بمالك ونفسك فانفع من هذه المشاهد من شهد مجلس العلم
اما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم فخير الدنيا والآخرة
مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل فقال رجل وقرات القرآن
يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ويحك ماقرات القرآن
بغير علم وما الحج بغير علم وما الجهاد بغير علم اما بلغك ان السنة تقضي
على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة وعنه عليه الصلاة والسلام
قال العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده وعنه صلى الله عليه وسلم قال
العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا
شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وعنه عليه الصلاة
والسلام من طريق جابر بن زيد انه قال ليوم واحد من العالم
الذي يعلم الناس العلم افضل عند الله من عبادة العابد مائة سنة وان
العالم الذي يعلم الناس العلم يستغفر له اربعة اشياء الملائكة
في السماء والطير في الهواء والهوام في البر والحيتان في البحر وان

العالم الواحد اشد على ابليس من الف مؤمن عابد واى شرف
يزيد على شرف من تشتغل ملائكة السماء ودواب الارض به
فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له ومن
طريق ابي هريرة ان النبي عليه الصلاة والسلام قال للانبياء على
العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وروى
انس عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال ان الحكمة تزيد
الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التفقه
في الدين حق على كل مسلم الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا
جهالا وروى سلمان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما عُبد الله بشئ افضل من فقه في دين ولفقيه
واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد
الدين الفقه وروى ابو امامة قال سئل النبي عليه الصلاة والسلام
عن رجلين احدهما عالم والآخر عابد فقال عليه الصلاة والسلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا ابو ايوب الانصاري
قال قال النبي عليه الصلاة والسلام باب واحد يتعلمه المؤمن خير له
من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل عليه
السلام وان طالب العلم والمراة المطيعة لزوجها والولد البار
لوالديه يدخلون الجنة مع الانبياء بغير حساب وعن الوضاح بن
عقبة قال حفظ مسئلة خير من عبادة مائة سنة وقال ابو محمد
حفظ مسئلة تعدل عبادة ستين سنة وهي التي على الانسان
فرض مثل التوحيد وما لا يسع جهله قال ومن نسخ العلم ليتعلمه
ويحفظه فهو افضل من الصوم والصلاة بعد اداء الفرض وتعليم

وفي كتاب الفضائل قال حفظ مسئلة من مسائل العلم خير من عبادة سنين

باب افضل من مائة ركعة ومن كتاب حياة القلوب قال وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال باب من العلم يتعلمه الرجل
خير له من الدنيا لو كانت لقمة في كفه فوضعها في الآخرة وعنه
عليه الصلاة والسلام انه قال خير دينكم ايسره وافضل عبادتكم
الفقه وعنه عليه الصلاة والسلام من طريق جابر بن زيد رضي
الله عنه انه قال خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت
وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان
فانه ما اراد به الفقه الذي ظننت وسياتي معنى الفقه ان
شاء الله تعالى ادنى درجات الفقه ان يعلم ان الآخرة خير من
الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برا ته من النفاق
والريا ان شاء الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام قال
افضل الناس المؤمن العالم الذي اذا احتيج اليه نفع وان استغنى
عنه اغنا نفسه وعنه عليه الصلاة والسلام قال الايمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا وثمرته العلم وقيل اوحى الله
عز وجل الى داود عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من
حديد واطلب العلم حتى تنكسر العصا وتنخرق النعلان وعنه صلى
الله عليه وسلم قال اقرب الناس من درجة النبوة اهل
العلم والجهاد فاما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل
واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وعنه
صلى الله عليه وسلم قال موت قبيلة ايسر من موت عالم وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد
بخسه حظه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها
حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال عليه الصلاة

والسلام فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان
العلم يبعث على فضل العبادة واما العبادة فقد لا تكون عبادة
مع خلوها من العلم وعنه عليه الصلاة والسلام قال الناس
معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا
وعنه عليه الصلاة والسلام قال يوزن يوم القيامة مداد العلماء
ودم الشهداء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال من حفظ
على من امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له
شفيعا وشهيدا يوم القيامة ومن حمل على امتى اربعين حديثا
لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وعنه عليه الصلاة
والسلام قال من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب وعنه عليه السلام قال يشفع يوم
القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة تتلو
النبوة وتعلو فوق الشهداء مع ما ورد فى فضل الشهادة وعنه
عليه الصلاة والسلام قال يبعث العباد يوم القيامة ثم
يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا
لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم
رواه الغزالى فى كتابه وعنه عليه الصلاة والسلام انه
قيل له يا رسول الله اى الاعمال افضل فقال العلم بالله سبحانه
قيل اى الاعمال تريد يا رسول الله قال العلم بالله سبحانه فقيل
نسئل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم
ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل
وقال عليه السلام عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل
وعنه عليه الصلاة والسلام قال اوحى الله الى ابراهيم

عليه السلام انى عليم احب كل عليم وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال العالم امين الله فى الارض وقال عليه الصلاة
والسلام صنفان من امتى اذا اصلحا صلح الناس الامراء والفقهاء
وعنه عليه السلام قال اذا اتى علىّ يوم لا ازداد فيه علما
يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك
اليوم وعنه عليه السلام قال فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفضل العالم على العابد
كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فانظر كيف جعل العلم مقارنا
لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العقل المجرد عن العلم وان
كان العابد لا يخلوا عن علم بالعبادة التى يواظب عليها
ولولاه لم تكن عبادة وعنه عليه السلام قال فضل المؤمن
العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وفى حديث آخر ما
بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد
المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام انه قال انكم
اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه
كثير معطوه وسياتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه
قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وروى الغزالى
عنه عليه السلام انه قال نظرة الى العالم احب الىّ من عبادة
سنة وعنه عليه السلام قال الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا
بلى يا رسول الله قال هم علماء امتى وامثال هذا من الاحاديث
كثيرة واما الآثار فروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال
عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه بان تهلك رواته فوالذى
نفسى بيده ليؤذن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء ان يبعثهم

الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وعن الحسن انه قال يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال الحسن في قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة قال هي الجنة وقال مصعب ابن الزبير لابنه تعلم العلم فان كان لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء يقتنى قال الشيء الذي اذا غرقت سفينتك سبح معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قديم له والادب مال لا خوف عليه وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسددك صغيرا ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيغك وفسادك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك ويصحح همتك وأملك وقال بعض العلماء من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء صغير فرح ومن دفع عنه حزن وقال كميل بن زياد اخذ بيدي علي ابن ابي طالب فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال لي يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير يا كميل احفظ مني ما اقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق وقال ان ههنا لعلما جما اي كثيرا واشار بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى قد اصبت لقنا غير مأمون ويستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله

وبكتابه وبنعمه على معاصيه اومنقادا لاهل الحق لا بصيرة له
في احنائه يقتدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لايدرى
اين الحق ان قال اخطأ وان اخطأ لم يدر مشغوف بكلام بدعته
بد له فيها بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن بعبادته وان
من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف
دينه وان من ابغض خلق الله اليه عبدا وكله الله الى نفسه الا
لاذا ولا ذاك اومن هو متهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات
اومغرما بجمع الاموال والادخار منقادا للهواه وليس من دعاة
الدين اقرب شبها به الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت
حامله ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله عزوجل بحجه اما
ظاهرا مشهورا واما خفيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وميثاقه بكم
واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه
حتى يؤديها في قلوب اشباههم ياكميل العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال المال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالانفاق
ياكميل صحبة العالم دين يدان الله به تكسبه الطاعة في حياته
وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم
حاكم والمال محكوم عليه ياكميل مات خزان الاموال وهم احياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب
موجودة هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعره منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
صحبوا الدنيا بادبار بل بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلا ياكميل
اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه هاه شوقا الى رؤيتهم
وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم

ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف مثله وقال ايضا نظما وغيره

الناس من قبل التمثيل اكفاء * ابوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة * واعظم خلقت فيهم واعضاء
وان يكن لهم في اصلهم نسب * يتفاخرون به فالطين والماء
لا فخر الا لاهل العلم انهم * هم الهداة لمن استهدى ادلاء
الناس موتى واهل العلم احياء * الناس مرضى وهم فيهم اطباء
الناس ارض واهل العلم فوقهم * سنا ونورا فاق النور ظلماء
قل للذي يدعي في العلم معرفة * علمت شيئا وغابت عنك اشياء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء
وضد كل امرئ ما كان يجهله * وللرجال على الافعال اسماء

وقال ابو الاسود الدؤلي ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال علي قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وقيل لبزرجمهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الاغنياء بفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال قال لعز الكمال وقال ابن المعتز في منثور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله انصرفوا عن العلم واهله انصراف الزاهدين وانحرفوا عنه انحراف المعاندين لان من جهل شيئا عاداه قال الله سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولذلك قال يحيى بن خالد لابنه يا بني عليك بكل نوع من العلم فان المرء عدو ما جهل وانا اكره

ان تكون عدوا الشيء من العلم وينشد *
تفنن وخذ من كل علم فانما * يفوق امرؤ في كل فن له علم
فانت عدو للذى انت جاهل * به وبلعلم انت تتقنه سلم
وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء فقيل من الملوك قال
الزهاد قيل من السفلة قال الذى ياكل بدينه ولم يجعل غير اهل
العلم من الناس وقال بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من
فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وقال فتح الموصلي أليس
المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال
كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة ثلاثة ايام يموت ولقد صدق
فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسد الطعام
ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به
اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبت الخوف
قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت
عنه اثقال الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك
كاحساس المفيق عن سكر بما اصابه من الجرحات في حالة السكر
او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا وانشد يقول *
وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرؤ لم يحي بالعلم ميت * فليس له حتى النشور نشور
وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال خير سليمان عليه السلام
بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه
وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال يا ايها الناس
عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من

العلم رداه الله عزوجل بردا ئه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب وعن الاحنف ابن قيس قال كاد العلماء ان يكونوا اربابا فكل عز لم يؤكده علم فالى ذل يصير وفي وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض العلماء اذا مات العالم بكى عليه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره قال ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا فاخرج له طعام ونفقة فقال فاقتي الى كلامكم اشد من حاجتي الى طعامكم اني طالب هدى لا سائل ندا فاذن له العالم وافاده من كل ما سال فخرج جذلان فرحا وهو يقول علما اوضح لبسا خير من مال اغنى نفسا * (فصل) * واما فضل العلم من جهة المعاني والعقل اما من جهة المعاني فوجوه كثيرة ايضا وذلك ان الله سبحانه قال في كتابه قل متاع الدنيا قليل فقللها وصغرها مع ان العقلاء والناس عليها يقتتلون كل القتال وفيها يتنافسون كل التنافس وعظم العلم وجعله خيرا كثيرا فاذا كان هذا القليل الفاني يتنافسون فيه الناس هذا التنافس ويقتتلون عليه هذا القتال ويطلبونه هذا الطلب فهذا المعنى الذي شرفه الله وعظمه وجعله خيرا كثيرا اولى بالتنافس فيه وشدة الحرص عليه والطلب له اذ فيه عز الدنيا والآخرة والحياة الابدية والنجاة في العاجل والآجل وايضا فانه سبب النجاة من المهلكات في الدنيا والآخرة لان المعاصي فيها الهلاك في الدنيا والآخرة والطاعة

فيها النجاة فى الدنيا والآخرة ولا يتوصل الى معرفة الطاعة
والمعصية الا بالعلم والدليل على فضل العلم من جهة العقل ايضا
ان العلم سبب سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا
فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع
حتى ان اغنياء جهال العرب والعجم يصادفون طباعهم مجبولة
على التوقير لمشايخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة
بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال
مجاوز لدرجتها واما فى الآخرة فمعلوم ان العلم هو وسيلة الى السعادة
الابدية وذريعة الى القرب من رب العالمين واعظم الاشياء فى
حق الآدمى ما هو وسيلة الى ذلك ولن يتوصل الى القرب منه عز
وجل الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى كيفية العمل الا بالعلم
فاصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال
وقد سئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء ولم يجعل غيرهم
من الناس لان الخاصية التى بها يتميز الانسان عن سائر البهائم
هو العلم فقيل للانسان انسان بما هو شريف من اجله وليس
ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم
منه ولا بشجاعة فان السبع اشجع منه ولا بكثرة الاكل فان
الجمل اوسع بطنا منه ولا بقوة شهوة الجماع فان اخس الطيور
اقوى سفادا منه بل لم يخلق الا للعلم وبالله التوفيق
واما من جهة المحسوس فان هذه الصنائع كلها التى جعل الله
فيها قوام النفوس والابدان من بناء وحراثة وخياطة
الى غير ذلك من اسباب المنافع لو جهل الناس ذلك كله
لاختل امرهم ومعاشهم وانعدمت المنافع وهلك الجميع

ثم راينا هذا الانسان العالم بالصنعة يكتسب منها الخير ويجلب بها منافع كثيرة والجاهل بالصنعة لايجلب منفعة قد تعطل من جميع المنافع وضاع واحتاج واختل امر عيشه ودينه فلا يستوى من علم شيئا مع من جهله قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وايض فان الكلب المعلم قتله للصيد ذكاة له واباحة لاكله وغير المعلم يجيف الصيد ويفسده فيحرم اكله وكذلك العالم العامل انما تصح عبادته بعلمه والجاهل لاتصح عبادته لانه عمل بالجهل فاجاف العبادة وافسدها كما ان الكلب غير المعلم اجاف الصيد وافسده فحرم اكله وغير ذلك من المعانى المحسوسة فى فضل العلم كثير وبالله التوفيق *

الباب الثانى فى فضل التعلم والتعليم

وفى هذا الباب فصلان الاول فى فضل التعلم اما الآيات فقد قال الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله ولينذروا قومهم الآية وذلك فيما وجدت فى الاثار ان الناس فى عهد النبى عليه السلام يخرجون جميعا فى الجهاد فنزلت هذه الآية حثا منه تعالى فى التعلم ان يقيم بعضهم بعضا ويغزوا بعضهم فتقدم الغزاة فيخبرهم القاعدون بما احدث الله على نبيه عليه السلام وذلك قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين الآية وقال تعالى ايض فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون واما الاحاديث الواردة فى التعلم فكثيرة كقوله عليه السلام من طريق جابر ابن زيد عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا العلم ولو بالصين والصين اقصى بلاد التوحيد فلما

اوجب طلب العلم بالصين دل ان طلبه فيما دون ذلك اكد
واوجب ومن طريقه عنه عليه السلام انه قال ان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا لما يطلب قال الربيع عن ابى عبيدة
رحمهم الله وضع الاجنحة من الملائكة يدل من رفع الايدى فى الدعاء
ومن طريق ابى هريرة عنه عليه السلام قال من سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وعنه عليه السلام من طريق
جابر بن زيد انه قال من تعلم العلم لله عز وجل وعمل به حشره الله يوم
القيامة آمنا ويرزقه الورود على الحوض وعنه عليه السلام قال لان
تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة وعنه عليه
السلام قال باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها
وعنه عليه السلام قال طلب العلم فريضة على كل مسلم بالغ وعنه عليه
السلام قال العلم خزائن ومفاتحه السؤال فاسئلوا فانه يؤجر
فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم
وعنه عليه السلام قال لا ينبغى للعالم ان يسكت عن علمه
وفى حديث ابى ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف
ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول
الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع
القرآن الا بالعلم وعنه عليه السلام قال من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة فى الجنة
واحدة واما الآثار فروى عن ابى الدرداء انه قال لان
اتعلم مسئلة احب الى من قيام ليلة وقال ايض العالم والمتعلم
شريكان فى الاجر وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايض كن
عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقيل لكسرى

انوشروان ما لكم لا تستفيدون من العلم شيئا الا زادكم عليه حرصا
فقال لانا لا نستفيد منه شيئا الا ازددنا بعظم منفعته علما
قيل ما بالكم لا تانفون من التعلم من كل احد قال لعلمنا ان العلم نافع
من حيث اخذ وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس
جالسا اذ اتاه اهل التفسير فسالوه واتاه اهل القرآن فقرؤوا
عليه فاخذ عليهم بالاعراب ثم جاءه اهل الحلال والحرام فسالوه
ثم جاءه اهل الشعر والعربية فسالوه فاخبرهم حتى جاءه قوم
من اهل فارس فسالوه عن رستم واسبنديار فاخبرهم بحديثهم
فقمت اليه فقبلت راسه فقلت يا ابن عم رسول الله عليه
السلام ما على الارض اعلم منك فتبسم وعن ابن عباس قال
ذللت طالبا فعززت مطلوبا وعن محمد بن كعب القرظي قال
سمعت ابن عباس يقول والله لربما مررت بالآية من كتاب الله
عز وجل في جوف الليل فلا اعرف فيمن انزلت فآخذ ثوبي ثم آتي
المسجد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واوقظ الرجل
منهم واساله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم اجد عند واحد منهم
اتيت آخر كذلك حتى امر عليهم جميعا وربما غدوت عليهم فاصير
بالمهاجرين فاسالهم فان لم اجد عندهم اتيت الانصار فاتبعهم
رجلا رجلا حتى اجد حاجتي وكان فيما بلغنا ينام على ابواب الصحابة
في الهواجر حتى تلفح وجهه التعلم منهم وكان له قلب عقول ولسان
سئول حتى فاق اهل زمانه علما وفقها ويسمونه البحر لما فيه
من كثرة فنون العلم ويقال انه قعد ذات يوم مع اصحابه فقال
لهم اسالوني ما دون السماء السابعة والارضين السفلى فاخبركم
به ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته

رايت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرف الناس لسانا واذا
افتى فاكثر الناس علما وما مات قال جابر بن زيد اليوم دفن
ربانى هذه الامة وقال بعض العلماء تعلموا فاذا تعلمتم فاعملوا
وعلموا وقال اذا تعلمتم علما فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك
ولا بباطل فتمجه القلوب وقال بعض الحكماء لبنيه تعلموا العلم
فان لم تنالوا به فى الدنيا حظا فلان يذم الزمان لكم خير من
ان يذم بكم وعن الاصمعى قال رآنى اعرابى فى البادية وانا اطلب
العلم فقال يا اخا الحضر عليك بلزوم ما انت فيه فان العلم زين
فى المجالس وصلة للاخوان وصاحب فى الغربة ودليل على المروءة
ثم انشأ يقول شعرا * * *

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

الابيات المشهورة قال ورآنى اعرابى اكتب كل ما اسمع فقال
ما انت الا الحفظة تكتب لفظ اللفظة قال ورآنى اعرابى
آخر وانا اكتب كل ما اسمع فقال انت حتف الكلمات الشاذة
قال بعضهم رأى اعرابى رجلا من قريش يطلب الادب فقال له
اطلب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصلة فى
المجلس وانشد شعرا * * *

من كان للدهر خدنا فى تصرفه * اهدت له صفوة الايام تجريبا
من كان خلوا من الآداب سربله * كر الليالى مع الايام تدريبا

ويقال الادب نوعان ادب درس وادب نفس وهو افضلهما وانشد

ادب المرء كلحم ودم * ما حواه جسد الا صلح
لو وزنتم تاديب واحد * الف الف من ذوى الجهل رجح

فصــل ويروى ان النبي عليه السلام جاءه رجل من مراد
يقال له صفوان بن غسان المرادى وهو متكئ على برد له احمر
في المسجد فقال له يا رسول الله جئت اطلب العلم فقال مرحبا
يا طالب العلم ان طالب العلم لتحف به الملائكة وتكنه باجنحتها
يركب بعضهم بعضا حتى يبلغ قوائم العرش يستغفرون له ويصلون
عليه ويترحمون عليه لفرحهم بما يطلب صلوات الله عليهم ابو
امامة الباهلى عنه عليه السلام قال يايها الناس عليكم بالعلم قبل
ان يرفع وقبل ان يقبض فالعالم والمتعلم كهذه وهذه وجمع بين
اصبعيه الوسطى والتي تليها شريكان في الاجر والخير معا ولا خير
في سائر الناس معهما بل بعدهما وعنه عليه السلام قال من خرج
من بيته يريد مسجدى هذا لا يريد الا ليتعلم خيرا او يعلمه كان
كمنزلة المجاهد في سبيل الله قال وسمعنا عنه عليه السلام انه
كان يقول ان الموت اذا جاء طالب العلم على هذه الحالة مات شهيدا
وعنه عليه السلام قال اذا جلس العالم على فراشه فنظر في علمه ساعة
كان افضل من عبادة المؤمن عاما واحدا وعنه عليه السلام قال
كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء
واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى وعن معاذ بن جبل
انه قال في التعلم والتعليم ويقال انه مرفوع الى النبي عليه السلام
انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عليه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل
على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء
ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير

قادة هداة يقتدى بهم ادلة فى الخير تقتفى آثارهم وترمق اعمالهم
ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رايهم وترغب الملائكة فى خلتهم
وباجنحتها تمسحهم كل رطب ويابس يستغفرون لهم حتى حيتان
البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان
العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلمات وقوة
الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار ومجالس
الملوك والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام به يطاع الله عزوجل وبه
يعبد وبه يوحد وبه يعمل له وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل
الارحام ويعرف الحلال والحرام هو امام والعمل تابعه يلهمه الله
تعالى السعداء ويحرمه الاشقياء * (الفصل الثانى فى التعلم) *
اما الآيات قال الله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد
بذلك هو التعليم والارشاد وقال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فى هذه الآية
ايجاب التعليم وقوله عزوجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ومن
يكتمها فانه آثم قلبه وقال سبحانه ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية
وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة واما الاحاديث فروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما اتى الله سبحانه عالما
علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذه من النبيين ان يبينه
للناس ولا يكتمه وعنه عليه السلام لما بعث معاذا رضى
الله تعالى عنه الى اليمن قال لأن يهدى الله سبحانه بك رجلا

واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام فيما حكى عنه
من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا
وعن عيسى عليه السلام انه قال من علم وعمل او علم فذلك
الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات والارض وعن النبى عليه
السلام انه قال اذا كان يوم القيامة يقول الله عزوجل للعابدين
والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا
وجاهدوا فيقول الله عزوجل انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا
فيشفعوا ويشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم
المتصدى للتعليم لا اللازم الذى لا يتصدى وعنه عليه السلام
انه قال ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من الناس بعد ان
يؤتيهم اياه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فكلما ذهب عالم
ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء
جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وعنه عليه
السلام قال من كتم علما علمه الله اياه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيامة وعنه عليه السلام نعم العطية ونعم الهدية
كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم
تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وعنه عليه السلام انه قال
ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها
وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير وعنه عليه
السلام انما افاد المسلم اخاه فائدة احسن من حديث حسن
بلغه فبلغه اياه وعنه عليه السلام قال كلمة من الخير يسمعها
المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وروى انه عليه
السلام خرج ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله عزوجل

ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء يسئلون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هـؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم فجلس معهم وعنه عليه السلام انه قال مثل ما بلغنى بل بعثنى الله عزوجل به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله سبحانه به الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعانا لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى للنافع والثالث للمحروم منه وعنه عليه السلام قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث وعنه عليه السلام قال الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله وعنه عليه السلام انه قال لا تمنعوا العلم اهله فان فى ذلك فساد دينكم والتباس بصائركم ثم قرا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الآية وعنه عليه السلام قال اذا ظهرت البدع فى امتى فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وينشد *

النطق ينهض بالفتى * مالم يكن عىّ يشينه

والعلم اجمل بالفتى * من كل منفعة تزينه

واما الآثار فروى عن عمر بن الخطاب انه قال من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وعن ابن عباس رضى الله عنه معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وقال بعض

العلماء العالم يدخل بين الله تعالى وبين خلقه فينظر كيف يدخل وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت له ما ابكاك قال ليس احد يسئلني عن شئ وقال بعض السلف العلماء سرج الازمنة كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيئ به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم يعني يخرجون الناس بالتعليم من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من مشى الى العالم فانه يوزن له سبعة اميال من ستة جهات فان مات في ذلك مات شهيدا قال والنفقة في طلب العلم افضل من النفقة في الجهاد وقال والنظر في الكتاب عبادة قال وان وقف له حرف فكان في ترديده فانه في ذلك الوقت كالمتشحط بدمه في سبيل الله ونفسه في ذلك الوقت تسبيح وتقليبه الورقات كالمتقلب من نزعة الى نزعة في سبيل الله وحكى عن عكرمة قال ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وعن يحيى بن معاذ قال العلماء ارحم بامة محمد عليه السلام من آبائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وبالله التوفيق * (فصل) * وينبغي للانسان بل يجب عليه فرضا ان يتعلم دينه والعمل به لان بمعرفة دينه يستوجب الرضوان من ربه وبجهله يستوجب النيران من خالقه اذ لا تصح عبادة وفاعلها يجهل صفة ادائها ولم يعلم شروط اجزائها ولذلك قال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل ويقال ركعتان من عالم افضل من

عبادة الجاهل سنة ومسئلة من عالم خير من عبادة الجاهل سنة
وذكر عن ابى محمد خصيب بن ابراهيم رحمه الله انه اجتاز على
معلم فى بلد تنومات وهو يريد التعلم عند ابى الربيع سليمان
اللالوتى رحمه الله فقال له المعلم اين تريد فاخبره فقال له جيد
يا بنى جيد الدنيا كلها ظلمة الا العلم والعالم فيها دليل ركعتان من
عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة وعبادة الجاهل كحمار
الطاحونة يدور ولا يبرح وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من لم
تكن فيه خصلة من خصال ثلاث فحياته كسائر الناس والبهائم
توطين النفس على الحج كفعل جابر بن زيد رحمه الله واظب عليه
حتى حج اربعين حجة وتوطين النفس على الشراء فى سبيل الله
كفعل ابى بلال مرداس بن جدير رحمه الله والثالثة توطين النفس
على طلب العلم وافادته كفعل ابى عبيدة مسلم بن ابى كريمة رحمه الله
مكث فى التعلم اربعين سنة ثم مكث بعد ذلك فى تعليمه اربعين
سنة اخرى وروى عن ابى يوسف بجدول النزعنى انه مكث فى
التعلم بعدما ولد خليل ابنه ثمان عشرة سنة ويقال انه قعد فى
طلب العلم اثنين وثلاثين سنة خمسة عشر سنة عند ابى محمد
الكباوى وسبعة عشر سنة عند ابى محمد الدرفى وان ابا زكرياء
الجناونى رحمه الله مكث فى التعلم اثنين وثلاثين سنة والله اعلم
وقال بعض الحكماء الناس ثلاثة قدوة ومقتد والثالث لا يفلح
وقال الازدى الناس ثلاثة عالم مرتفع ومتعلم منتفع وما سواهما
منتفع وعن علي عن النبى عليه السلام قال ما انتعل عبد قط ولا تخفف
ولا لبس ثوبا ليغدو فى طلب علم الا غفر له حيث يخطو عتبة باب
بيته ويقال اطلبوا العلم فان نعمة الجاهل كروضة على مزبلة وقال

بعض العلماء كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا وقال اطلبوا العلم من مظانها اى من مواضعها التى يظن بها ويقال اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقال علم علمك من يجهله وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال عطاء مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله تعالى عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال بعض العلماء طلب العلم افضل من النافلة وقال ابو الدرداء من رأى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رايه وعقله وقال النبى عليه الصلاة والسلام لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق واما الدليل على فضيلة التعلم والتعليم من شواهد العقل ومن كتاب الغزالى فانه لما كان العلم افضل الاشياء كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه للغير افادة الافضل لغيره وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا انتظام فى الدين الا بانتظام الدنيا لان الدنيا مزرعة للآخرة وهى المطية والآلة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومطية ومنزلا لمن اتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للخلق الا بها وهى اربعة احدها الزراعة للمطعم والثانى الحياكة وهى للملبس والثالث البنا وهو للمسكن والرابع السياسة وهى

التالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها
الثاني ماهي مهيات لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة
لها كالحدادة تخدم الزراعة وجملة من الصناعة وكالحلاجة
والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها الثالث ماهي متممة
للاصول ومزينة كالطحانة والخبز للزراعة وكالقصارة وكالخياطة
للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام الحيوان الارضي مثل اجزاء
الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اما اصول كالقلب والكبد
والدماغ واما خادمة له كالمعدة والعروق والشريانات
والاعصاب واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين
واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة
بالتاليف والاستصلاح ولذلك يستخدم لامحالة صاحب
صناعة السياسة سائر الصناع والسياسة في استصلاح
الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة
تنقسم على اربعة مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين وحكمهم على الخاصة والعامة في
ظاهرهم وباطنهم الثانية سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين
على الخاصة والعامة جميعا لكن على ظاهرهم لا على باطنهم الثالثة
سياسة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة
منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع
الرابع سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف
هذه السياسات الاربع بعد سياسة النبوة افادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى

الاخلاق المحمودة السعيدة المنجية وهو المراد بالعلم قال وانما
قلنا ان هذا اشرف من سائر الصناعات لان شرف الصناعات
يدرك بثلاثة امور اما بالالتفات الى غريزة العقل التى بها يتوصل
الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة
بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم
النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه
التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب
ومحل الآخر الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية ٧ وصفاء
الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما تقدم اذ به
تقبل العبد امانة الله عز وجل وبه يصل الى جوار الله سبحانه
واما عموم النفع فلا يستراب فيه اذ ثمرة منفعته سعادة الآخرة
واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر
ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانسان واشرف جزء
من شخص الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره
وسياقته الى القرب من جوار الله سبحانه فتعليم العلم من وجه
عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله عز وجل وهو اجل خلافة
لان الله سبحانه قد فتح على قلب العالم خزانة العلم الذى هو اخص
صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون فى الانفاق
على كل محتاج اليه فاى رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه
سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله عز وجل وسياقتهم الى
جنة المأوى وبالله التوفيق

*

(الباب الثالث فى فرض العين) اعلم ان كل
العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال

٧ وهى فقه طريق الآخرة انما يدرك بكمال العقل

ولذلك قال النبي عليه السلام من ظن ان للعلم غاية فقد بخسه حظه ووضعه في غير منزلته التي وصفه الله تعالى بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال سبحانه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى قوله ما نفدت كلمات الله وقال بعض الحكماء ولو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدانا العلم بالنقيصة ولكنا نطلبه لننتقص كل يوم من الجهل ونزداد كل يوم من العلم وقال بعض البلغاء المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا وينشد *

يا نفس خوضي بحار العلم او غوصي * والناس ما بين معموم ومخصوص
لا شئ في هذه الدنيا تحيط به * الا الاحاطة منقوص بمنقوص

فاذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها واولى العلوم واوجبها على الانسان علم دينه لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل محتلم وفي حديث آخر على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفي كتاب الغزالي قال اختلف الناس في العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة قال ولا نطول بذكر التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصددها فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وتعلم ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم القرآن والسنة اذ بهما

يتوصل الى العلوم كلها وقال بعض المتصوفة هو علم العبد بحاله
ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص
وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال
بعضهم هو علم الباطن وذلك على اقوام مخصوصين هم اهل
ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكى هو العلم
بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله
صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس لان الواجب هذه
الخمسة فيجب العلم بكيفية العمل فيها وكيفية الوجوب والحق
فى هذا ان العلم المفروض على الانسان الذى هو القطب وعليه
المدار هو فى الجملة ينقسم ثلاثة اقسام اعتقاد وفعل وترك
اما علم الاعتقاد فهو علم التوحيد وجميع ما لا يسع جهله
كل عاقل عند حال بلوغه بالاحتلام او بالسنين ومعرفة
فرائض القلب من الاخلاص والنية والتوبة والخوف والرجاء
والتوكل والتفويض والرضا والصبر وما يسلم به العمل على ما
سيأتى ان شاء الله ومعرفة الشرك وما ينفى به عن الله تعالى
ما لا يليق به من صفات خلقه اذا ورد ذلك على قلبه او سئل
عنه وكذلك يجب عليه معرفة دواعى الشر من الرياء والحسد
والعجب والكبر وغير ذلك من مذموم احوال القلب فازالتها
فرض عين ولا يمكن ذلك الا بمعرفة حدودها واسبابها ومعرفة
علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه واما الفعل فنعنى به فعل
الفرائض البدنية كالطهارة والصلاة والصوم والفرائض المالية
من الزكاة والكفارات والنفقات وغيرها وما لا يمكن فعله منها
الا بالبدن والمال كالحج والجهاد فهذه الفرائض اذا تعين فعلها

على العبد بدخول اوقاتها والتمكن لادائها وجب عليه معرفة كيفية الاتيان بها مثل ان يعيش من ضحوة النهار الى دخول وقت الظهر فيتجدد عليه معرفة الطهارة والصلاة وهكذا بقيت الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بدخول وقته تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن جميع ما ينقض الصوم واستكمال طرفي المفترض عنه وهو ان يصام لرؤية الشهر ويفطر لرؤيته فان كان له مال عند بلوغه او دخل في ملكه مما تجب فيه الزكاة لزمه معرفة ما يجب عليه عند تمام الحول واداءه الى اهله وكذلك الحج اذا وجب عليه بشروطه لكن لا تجب عليه المبادرة عند دخول اشهر الحج لانه على التراخي في قول بعضهم فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي للعلماء ان ينبهوه على ان الحج فرض على من ملك الزاد والراحلة وحصلت له الاستطاعة بالكمال وانه على التراخي في قول بعضهم حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج واركانه وواجبه دون نوافله فان تعلم ذلك وتعلم النفل نفل وكذلك الجهاد اذا تعين عليه وذلك بان يكون اماما او منظورا اليه لا يقوم فرض الجهاد الا به وهكذا التدريج في تعلم سائر الافعال التي هي فرض عين واما الترك فنعني به ترك المعاصي بجميعها ظاهرا وباطنا فيجب عليه تركها ولا تضييق عليه معرفتها ما خلا الشرك فانه مضيق عليه علمه ولا يسعه جهله واما غير الشرك من جميع الحرام فانه يسعه جهله ما لم يرتكبه ا ويتولى من ركبه او يتبرا ممن تبرا منه او وقف فيه وهذا معنى قول اصحابنا رحمهم الله العلوم ثلاثة علم لا يسع جهله طرفة عين كالتوحيد والشرك وعلم يسع جهله الى الورود مثل صفة من

صفات الله تعالى اذا وردت عليه او نبي او ملك قامت به الحجة عليه ومثل الفرائض الموسومات الاوقات كالصلاة والصوم وما قدمنا ذكره والثالث علم ما يسع جهله ابدا كقسمة المواريث ودقائق الربا وارش الجراحات وما اشبه ذلك يسع جهل ذلك ما لم يبتلا بالعمل او يتقول على الله فيه الكذب وبالله التوفيق واما اذا اتى بالتوحيد فمات قبل ان يجب عليه فرض او يرتكب محرما او يعتقد بدعة فقد مات على الاسلام اجماعا فتبين بما قلنا ان قوله عليه السلام اطلبوا العلم ان المراد به العلم بالله والايمان به وملائكته وكتبه ورسله والحشر والجنة والنار وفي سائر ذلك من وظائف التوحيد والعلم بالعبادات والفرائض حتى تؤدى بالكمال والعلم بالمعاصي حتى لا تمتثل لان الانسان في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عبادته ومعاملاته فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوازل والمبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله عليه السلام طلب العلم فريضة انه علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المكلف لا غير وقد اتضح وقت التدريج في وقت وجوبه وبالله التوفيق *(فصل)* اعلم ان العلم والعمل جوهران لاجلهما كان جميع ما ترى وما تسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق بل لاجلهما خلقت الدنيا والآخرة قال الله سبحانه الذى خلق سبع سموات الى قوله لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما فكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لاسيما علم التوحيد وقال عز من قائل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكفى بهذه الآية

دليلا على شرف العبادة ولزومها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق العبد الا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وعنه عليه السلام قال الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي وعنه عليه السلام انه قال نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها روى هذا الحديث الغزالي في كتابه وقد ذكرنا في فضل العلم ما فيه كفاية فبان لك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يكون بالثمرة فاذا لا بد للعبد من كلا الامرين يكون له منهما حظ ونصيب كما قيل عن الحسن البصري انه قال اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه الاصل والدليل ولذلك قال عليه السلام العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانه لا حق من يجب ان تعرفه اولا المعبود عز وجل ثم تعبده فكيف تعبد من لا تعرفه باسمه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل عليه في صفاته عز وجل لانه ربما تعتقد فيه شيئا مما خالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا ثم يجب عليك ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية لتفعل ذلك على ما امرت به وتعلم ما يلزمك تركه من المناهي

لئلا تقع فى شئ من ذلك وانت جاهل بتحريمه فتكون غير معذور
لانه كيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هى وكيف هى وكيف يجب
ان تفعل وكيف تجتنب المعاصى وانت لا تعلم انها معاصى حتى
لا توقع نفسك فيها ولذلك قال عليه السلام عمل قليل فى علم خير من
عمل كثير فى جهل فاعلم ان بناء امر العبادة كلها على العلم ولاسيما علم
التوحيد والعبادة الباطنة وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهى وما العلم النافع
قال ان تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شئ فان
هذا هو الذى يقربك الى واعلم ان الخطر العظيم فيمن طلب العلم ليصرف
به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهى به النظراء ويتصيد
به الحطام فمن كان كذلك فتجارته بائرة وصفقته خاسرة وقال
بعض السلف عملت بالمجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد
من العلم وخطره واياك أن يزين لك الشيطان فتقول اذا كان
العلم بهذه الحالة من الشدة والخطر فتركه اولى واياك ان
تظن ذلك فقد ذكر الغزالى فى كتابه عن النبى عليه السلام
قال اطلعت ليلة المعراج عن النار فرايت أكثر اهلها الفقراء
قالوا يا رسول الله من المال قال لا بل من العلم فمن لم يتعلم العلم
لا يأتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله
تعالى بعبادة الملائكة بغير علم لكان من الخاسرين هكذا ذكرت
العلماء وقد قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وقال سبحانه ويحسبون انهم على شئ الا
انهم هم الكاذبون الآية ثم ايها المسترشد ايدك الله فى طلب العلم

بالبحث والجد والاجتهاد واجتنب الكسل والملال والاقامة على
خطر الضلال وفقنا الله سبحانه واياك للعلم النافع والعمل بروبالله
التوفيق * (الباب الرابع) * في العلم الذى هو فرض كفاية
ذكر الغزالى فى كتابه فقال اعلم ان الفرض لا يتميز من غيره الا
بذكر اقسام العلم ثم قال والعلوم بالاضافة الى الفرض الذى
نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية قال واعنى
بالشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا
يرشد العقل اليه وذلك مثل الحساب ولا ترشد التجربة اليه
مثل الطب ولا السماع مثل اللغة قال والعلوم التى ليست
بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح
فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب قال
وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس
بفريضة قال اما فرض كفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى امر
قوام الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الانسان وكالحساب
فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها
فهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عن من يقوم بها خرج اهل البلد
واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين قال ولا تتعجب
من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية كالفلاحة والخياطة
والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام لسارع الهلاك
اليهم وخرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض
للهلاك باهماله قال واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى
دقائق الحساب ودقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه

ولكنه يفيد زيادة قيمة في القدر المحتاج اليه قال واما المذمومة فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات قال واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها قال واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها قال ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة وتنقسم الى المحمودة والمذمومة قال فاما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة نبيه واجماع الامة وآثار الصحابة رضي الله عنهم فالاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة وهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانا فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متألما بمرض وهذا على ضربين احدهما ان يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وكنحو العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها الضرب الثالث المقدمات

وهو الذي يجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله سبحانه وسنة نبيه عليه السلام وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية ولكن لزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم الكتابة والخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان النبي اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن تنقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايض على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والباطن والظاهر في امثال ذلك وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايض واما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واسمائهم ولاسيما في الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمالهم ليتميز المرسل من المسند وكذلك ما يتعلق به قال فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفاية قال فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة والنار فهذا مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للميعاد ليتناول منها

ما يصلح للتزود فلو تناولها بالعدل لانقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها
الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج
السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون
السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات
فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق
وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري
هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا
مزرعة للآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان
فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا
حارس له فضايع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان
وطريق الضبط في فصل الخصومات الفقه فكما ان سياسة
الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو
معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة
فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن
الحج شئ وسلوك الطريق الى الحج شئ ثان والقيام بالحراسة التي لا
يتم الحج الا بها شئ ثالث ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها
شئ رابع وحاصل فن الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة ويدل
على ذلك ما روى مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير ومأمور او متكلف
فالامير هو الامام وكانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما
وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة فقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على
صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة ولم ينصب بنفسه للفتوى منهم الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذى تقلد امور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى ان الفتوى فى القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المراءى فان من يتقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طالب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك فى الاحكام والحدود والجراحات والغرامات فلا يستقيم لك فى العبادات من الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم فيه الفقيه من اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والحلال والحرام واذا تاملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة فاذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنها حيث قال هلا شققت عن قلبه فى الذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف لا يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه ميسر على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال عليه السلام أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله جعل اثر ذلك فى الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال بل انوار

القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك في فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان خائضا في غير فنه كما لو خاض في الكلام او الطب كان خارجا عن فنه واما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اى ما يفعله المصلى يحصل به امتثال صيغة الامر بالصلاة وينقطع به عنه القتل والتعزير اذا اتى بصورة الاعمال مع الشروط الظاهرة وان كان غافلا في جميع صلاته الا عند تكبيرة الاحرام وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة واما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر فلا يتعرض له الفقيه ولو تعرض لكان خارجا عن فنه واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذها السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته كما حكى ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكاة فحكى ذلك لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل خيانة ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهود وهو الذي يخرج بعدمه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر البين الثانية ورع الصالحين وهو التوقي في الشبهات التي فيها الاحتمالات قال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه ان يؤدى الى الحرام قال عليه السلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما فيه الباس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من ان يجر ذلك الى

الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر
وكالتورع عن النظر المؤدى الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع
الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله عزوجل خوفا من صرف ساعة
من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم
ويتحقق ان ذلك لا يفضى الى حرام فهذه درجات الورع وهى كلها
خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود
والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى
الآخرة وقال عليه السلام لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان
افتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازة القلوب وكيفية العمل بها
بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا
التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى الاثم وصفات القلب
واحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد
يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب والنحو وعلم الكلام
وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر قال وكان سفيان الثورى
وهو امام فى علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة
وقد اتفقوا على ان الشرف فى العلم ليعمل به فكيف تظن انه علم
اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه
الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل
بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو علم تلك الاعمال
ومع هذا فلا ينبغى ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم
اعنى علم الفتاوى وعلم اللغة والنحو المتعلقين بالكتاب والسنة
وغير ذلك مما تقدم ذكره من انواع العلوم التى هى فرض كفاية
ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجينا لهذه العلوم

فالمتكلفون بالعلوم كالمتكلفين بالثغور والمرابطين بها والغزاة
مجاهدون فى سبيل الله عز وجل فمنهم الردء المعاونة ومنهم
الذى يحفظ دوابهم ويتعاهدهم ولا ينفك واحد منهم عن الاجر
اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك
العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وقال هم درجات عند الله ولا تظنن ان من نزل عن
الرتبة القصوى فساقط القدر بل الرتبة العليا الانبياء ثم الاولياء ثم العلماء
الراسخون فى العلم ثم الصالحون على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره اذا كان قصده بعمله الله تبارك وتعالى واما
من تجرد لعلم الخصومات والجدال وتفريعات الفتاوى والنحو واللغة
وتواريخ الاخبار من غير ان يمزج ذلك بشئ من العلوم الدينية فلا
يزيد المتجرد لها مع الاعراض عن سواها الا قسوة فى القلب وغفلة
عن الله سبحانه ولا برهان على ذلك كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر
واستبصر تشاهد ذلك فى البلاد والعباد وبالله التوفيق *
مسئلة وبالجملة ان كل فرض يتعلق فعله على الكفاية فتعلم ذلك الفرض
متعلق على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين وان تركه الجميع
من الناس هلكوا وذلك كعلم القضايا والاحكام وقسمة المواريث
وقصاص الجراحات وعلم اداء حقوق الموتى من الغسل والكفن والصلاة
عليهم ومواراتهم وعلم الجهاد وتعلم القرآن ما خلا ما لا تجوز الصلاة الا به
وتعلم الرد على اهل البدع ونقل الشريعة وبالله التوفيق *

* (الباب الخامس) * فى بيان حد الفقه والكلام فى علم الدين

وطريق الآخرة وحد الكلام والفلسفة وهذا الباب يتوزع منه ثلاث
فصول الاول فى حد الفقه وقد تقدم الكلام فى انه مرتبط بمصالح

الدنيا لسياسة الخلق كما ان علم الطب موضوع لاعتدال صحة الجسد في الدنيا فان قيل قد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وذلك يتعلق به صلاح الدين ايضا وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق والفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اى هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فليس هو من علم الشرع هكذا ذكر الغزالي في كتابه والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فليس يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في عمل الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأها صفات القلب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشأهما صفاء المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الآخرة وبالله التوفيق

*(الفصل الثاني) * في علم الدين والطريق الآخرة فاعلم انه قد ذكر الغزالي في كتابه ان علم طريق الآخرة قسمان احدهما علم معاملة وهو علم باحوال القلب وهو نوعان محمود ومذموم فالمحمود منها كالصبر والشكر والخوف والرجا والتوبة والرضا والتوكل والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والخشوع والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص وما اشبه ذلك من محمود احوال القلب وصفاته ومعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود فذلك كله من علم الآخرة

واما المذموم منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ لخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطوا والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقساوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة المعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا وبالله التوفيق * (القسم الثاني) * علم مكاشفة وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عن تطهيره وتزكيته عن صفاته المذمومة فتنكشف

فى ذلك النور امور كان يسمع بها من قبل اسمائها ويتوهم لها
معانى مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة
الحقيقية بذات الله تعالى او بصفاته التامات وبافعاله وبحكمته
فى خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة
بمعنى النبى والنبوة وبمعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين
وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء
وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين
فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة
الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب
ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى
قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله
سبحانه ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول
السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى
الكوكب الدرى فى جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ
الناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات
فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذى اعده الله لعباده الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس
مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها
امثلة وبعضها يوافق حقايقها المفهوم من الفاظها ولهذا يرى
بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم
يدعى امورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة

الله مما انتهى اليه اعتقاد العوام وهو انه موجود قادر عالم سميع بصير متكلم فالمراد بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لاشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداؤه وخبثه بقذورات الدنيا وانما معنى طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالنبيين فى جميع احوالهم فبقدر صفاء مرآة القلب من الخبائث وتحليته بانوار الطاعات تظهر فيه صور الحقائق وتتلألأ فيه لوايح الصدق ولا سبيل الى ذلك الا بالمجاهدة ورياضة النفس وبالعلم والتعلم تحقيقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهذا العلم هو الغاية القصوى اعنى علم الباطن وهو المراد بعلم المكاشفة وقد روى عن بعض العارفين انه قال من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كانت فيه خصلتان لم يفتح له شئ من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا ومصرا على هواه لم يتحقق به وقد تحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه وهو علم الصديقين والمقربين كما قدمنا وهذه هى العلوم التى يقولون انها لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله سبحانه عليه بشئ منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وعلى طريق الاسرار وهذا العلم الخفى الذى اراده النبى عليه السلام

بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله
عز وجل فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا
عالما اتاه الله علما فان الله تعالى لم يحقره اذ اتاه اياه وبالله
التوفيق *(فصل)* فعليك ايدك الله وارشدك
وايانا بالبحث والطلب عن هذه العلوم التى هى احوال القلب
واخلاقه المحمودة والمذمومة حتى تعرفها اولا ثم تطهير القلب
من المذموم منها وتحليته بالمحمود منها ثانيا حتى يتضح لك الحق بحقائقه
وتنظر بنور الله بين اصناف خلقه فمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه كمن هو اعمى عنه وقد تراكم رين الذنوب
على بصيرة قلبه فهو يمشى مكبا على وجهه فلا تظنن اصلحك
الله ان من تجرد لعلم الجدال والمماراة وافنى عمره بتعلم فقه
المعاش والخصومات يتصف بشئ من هذه العلوم المتقدمة
ولو سئل اكثر من يدعى الفقه ويتجرد لاحياء الدين بزعمه عن
معنى من معانى هذه العلوم حتى عن الاخلاص مثلا او عن
التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه
فرض عينه الذى فى اهماله هلاكه فى الآخرة ولو سئل عن مسائل
الفتوى واللعان والظهار والسلم والشفعة والاجارات وما
اشبه ذلك من مسائل الفروع التى تنقضى الدهور ولا يحتاج
الى شئ منها وان احتيج لم يخل البلد عن من يقوم بها ويكفيه
مؤنة التعب فيها ولو سئل عن شئ من هذا لاجاب سريعا
وما توقف فتراه يتعب فى حفظه ودرسه ليلا ونهارا
ويغفل عن ما هو فرض عليه فى نفسه واذا روجع فيه قال
اشتغلت به لانه علم الدين وهو فرض كفاية ويلبس على نفسه

وعلى غيره فى تعليله والفطن يعلم انه لوكان غرضه اداء حق
الامر واحياء علم الدين لقدم على ذلك فرض نفسه فليت شعري
كيف يجوز فى الدين ان يهمل الانسان فرض نفسه ويشتغل
بفرض كفاية قد قام به جماعة هل لهذا سبب الا ان علم الآخرة
ليس يتوصل به الى جمع الحطام واستدراج العوام بكثرة الاتباع
والطغام هيهات هيهات قد اندرس علم الآخرة بتلبيس العلماء السوء
والله المستعان واياه نسال ان يعيذنا من هذا الغرور الذى
يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وبالله التوفيق وعليه التكلان
وهو حسبنا ونعم الوكيل *(الفصل الثالث)* فى حد
الكلام وعلوم الفلسفة اما الكلام فهو علم المتكلمين الذين يتكلمون
فى تحرير الادلة لاثبات التوحيد والصفات وتفصيل السكون
والحركات والجواهر والاعراض والحدوث والقدم واشباه ذلك
ويضعون الادلة فى الرد على اهل البدع ونقضها عليهم وليس
كتابنا هذا موضوعا لذلك واما الفلسفة فهي من علوم حكماء
الاوائل المنكرين لشريعة الاسلام وهم الفلاسفة وذكر
الغزالى فى كتابه انهم يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي عليه
السلام ولكن يعتقدون امورا تخالف نصوص الشرع ويقولون النبي
محق فما قصد بما ذكره لاصلاح الخلق ولكن لم يقدر على التصريح
بالحق لكلال افهام الخلق عن دركه قال ويجب القطع بتكفيرهم
فى ثلاث مسائل الاول انكارهم لحشر الاجساد والتعذيب
بالنار والتنعيم فى الجنة بالحور العين والماكول والملبوس
قال والثانية قولهم ان الله سبحانه لا يعلم الجزئيات وتفصيل
الحوادث وانما يعلم الكليات وانما الجزئيات تعلمها الملائكة

السماوية

السماوية والثالثة قولهم ان العالم قديم وان الله سبحانه
متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم العلة على المعلول وانه لا
فلم يزلا في الوجود متساويين قال فهؤلاء اذا اوردت
عليهم آيات القرآن زعموا ان اللذات العقلية تقصر الافهام
عن دركها فمثل لهم ذلك باللذات الحسية وهذا الذى
قالوه شرك صريح فلا معنى للاشتغال بهم قال واما
الفلسفة فليست علما بذاتها بل هي على اربعة اجزاء احدها
الهندسة والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما الا من
يخاف عليه ان يتجاوزهما الى البدع فالهندسة فعل المهندس
وهي فيما وجدت في كتاب العلوم نوعان احدهما هندسة عملية
وهو ان ينظر المهندس في خطوط وسطوح اما في جسم
خشب ان كان نجارا او جسم حديد ان كان حدادا او في
جسم حائط ان كان بناء او في سطوح ارضين
او مزرعات ان كان ماسحا وكذلك كل صاحب هندسة
عملية فانه انما يتصور في نفسه خطوطا او سطوحا وتربيعا
وتثليثا في جسم المادة التى هي الموضوعة لتلك الصناعات
العملية والنوع الثاني هندسة نظرية وهو ان ينظر
المهندس في خطوط وسطوح في الاجسام على الاطلاق
والعموم ويتصور في نفسه الخطوط والسطوح والتربيع
والتثليث والتدوير في الوجه الذى لا يبالي في اي جسم
كانت وفي اي محسوس كان بل على الاطلاق من غير ان يقيم
في نفسه مجسما هو من خشب او من حديد او من حائط
قال وهذا العلم هو الذى يدخل في جملة العلوم وهو

يفحص في الخطوط والسطوح والمجسمات على الاطلاق عن اشكالها
ومقاديرها وتساويها وتفاصيلها وعن اصنافها واوضاعها وعن
جميع ما يلحقها مثل النقط والزوايا وغير ذلك قال وكتاب
اقليدش الفيثاغوري المعروف بكتاب الاستقصات وهو
الذي يحتوي على اصول الهندسة وعددها وهي داخلة في علم
الكلام والله اعلم الجزء الثاني من الفلسفة المنطق وهو يبحث
عن وجه الدليل وشروطه ووجوه الحد وشروطه فصناعة
المنطق تعطي بالجملة القوانين التي من شانها ان تقوم العقل
وتسدد الانسان نحو الصواب والحق في كل ما يمكن الغلط
فيه من جميع المعقولات وذلك ان في المعقولات اشياء لا
يغلط العقل فيها اصلا وهي التي يجد الانسان نفسه كانها
فطرت على معرفتها مثل ان الكل اعظم من الجزء وان كل ثلاث
فهو عدد فرد واشباه ذلك واشياء يمكن الغلط فيها وهي التي
يحتاج الانسان في ادراكها الى تفكر وقياس واستدلال
وفي هذه دون تلك يضطر الانسان الذي يلتمس الوقوف
على الحق اليقين في مطلوباته كلها الى قوانين المنطق وهذه الصناعة
تناسب صناعة النحو وذلك ان نسبة صناعة المنطق الى
العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو الى الالفاظ وهو
يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين الالفاظ
ويفارقه في ان النحو انما يعطي قوانين تخص الفاظ امة ما وعلم
المنطق انما يعطي قوانين مشتركة تعم الفاظ الامم كلها
٢ مثل ان الالفاظ منها مفردة ومركبة والمفردة اسم وكلمة
وادوات وان منها ما هي موزونة وغير موزونة واشباه ذلك

٢ فان في الالفاظ احوالا تشترك فيها جميع احوال الامم صح

وها هنا احوال تخص لسانا دون لسان مثل ان الفاعل
مرفوع والمفعول منصوب والمضاف لا يدخل فيه الف ولام
التعريف فان هذا يخص بلسان العرب وما وقع في علم النحو
من اشياء مشتركة لالفاظ الامم كلها فانما ياخذ اهل النحو
من حيث هو موجود في ذلك اللسان الذي عمل النحو له كقول
النحويين من العرب اقسام الكلام ثلاثة اسم وفعل وادات
وكقول نحوي اليونانيين اجزاء القول في اليونانية اسم وكلمة
وادات وهذه القسمة ليست انها توجد في العربية فقط او
في اليونانية فقط بل في جميع الالسنة واجزاء المنطق ثمانية
تركتها لئلا يطول الكتاب بلا فائدة وبالله التوفيق وانما
ذكرت هذا ارشدكم الله لتعرفوا معنى الهندسة والمنطق
وها دا خلان في علم الكلام فقط والله اعلم الجزء الثالث
الالهيات وهي بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وهو داخل
في علم الكلام والفلسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم
بل انفردوا بمذاهب بعضها شرك وبعضها بدعة كما ان
الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين
واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة وكذلك
الفلسفة الجزء الرابع الطبيعيات فبعضها تخالف الشرع
ودين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم
وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية
استحالتها وتغيرها وهو اشبه بنظر الاطباء الا ان الطبيب
ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح
وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك

ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وبالله التوفيق فان قيل ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجتهم عن درجة علماء الدين فاعلم انه من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل فلا تغفل عن الصحابة وفضلهم ولم يكن تقدمهم بالفقه والكلام بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله تعالى شئ وما تنال به الشهرة شئ آخر ولقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالشئ الذي وقر في صدره لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشئ وقر في صدره ولقد كان من المكاشفين فيما قيل فليكن حرصك في طلب ذلك الشئ فهو الجوهر النفيس والدر المكنون وكانت شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة والعدل وكان فضله بالعلم بالله تعالى كما روي انه لما مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا اجلة الصحابة قال لست اريد العلم بالفتوى والاحكام وانما اريد العلم بالله تعالى فكان فضله بهذا العلم وبقصده التقرب الى الله تعالى في ولايته

وشفقته على خلقه وهو امر باطن فى سره واما افعاله الظاهرة
فقد يتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة
والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل
فيما هو سر لا يطلع عليه احد من الناس فالفقهاء والمتكلمون
مثل الخلفاء والقضاة انقسموا فمنهم من اراد الله تعالى
بعلمه وفتواه وذب به عن دينه ولم يرد به رياء ولا سمعة اولئك هم
اهل رضوان الله لعلمهم بعلمهم ولارادتهم بفتواهم وجه الله
تعالى فان كل علم عمل لانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما
فالطبيب يقدر ان يتقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا
عليه من حيث انه عامل لله تعالى به والسلطان يتوسط
بالعدل بين الخلق فيكون مرضيا عند الله سبحانه لا من حيث
انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد عملا يقصد به التقرب الى
الله تعالى واقسام ما يتقرب به الى الله مجرد كعدل السلطان
مثلا وضبطه الناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق
الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر فى نفسك
لتكون فى حزب علماء الله عز وجل وعمال الله او فى حزبهما وتضرب
بسهمك مع كل فريق منهما وهذا اهم لك من التقليد بمجرد
الاشتهار وينشد بيت شعر *

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وبالله التوفيق * (الباب السادس فى طرق العلم) *
وتقاسيمه قسمة اخرى اعلم انا قد ذكرنا اقسام العلوم قبل
هذا مجملة وسنشيرها هنا ان شاء الله تعالى الى قسمتها
موجزة وفى طرقها مختصرة فنقول ان طرق العلم محصورة

فى ثلاثة طرق وقيل فى اربعة احدها الحس والثانى العقل والثالث السمع والرابع قيل انه طريق البديهة فهذه قسمة منحصرة تدور على ابن آدم فى الدنيا والآخرة فلا يسئل العبد فى الآخرة الا عنها لانها منحصرة فيما يسئل عنه فما شاهده ببصره او سمعه بسمعه او ادركه بعقله فكل علم داخل فيها وعنها يكون فالبصر هو ما يدرك به جميع المبصرات والسمع هو ما يسمع به جميع المسموعات من الشرع وغيره والفؤاد راجع الى القلب كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد اى حاضر القلب والفؤاد والقلب واحد والمراد به العقل كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وقال سبحانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فجمع فى هاتين الآيتين ما قدمناه من طرق العلم اما الحس فينقسم ثلاثة اقسام حس متصل وحس منفصل وحس بنية فالمتصل كالملموسات والمذوقات والمشمومات فان حاسة اللمس وحاسة الذوق لا تدركان الا متصلتين بمحسوسهما والمنفصل كالمسموعات والمبصرات لان حاسة السمع تدرك الكلام من غير اتصال بالمسموع وحاسة البصر تدرك الاشخاص والالوان بغير اتصال وحس بنية هو ما يجده الانسان فى نفسه من غير طريق الحواس كالجوع والعطش والفرح والحزن واشباه ذلك واما العقل فعلى ثلاثة اقسام واجب وجائز ومستحيل فالواجب على ثلاثة اقسام وجوب انحصار الحقائق ووجوب اطرادها ووجوب اختصاصها باحكامها والمستحيل على ثلاثة اقسام قلب الحقائق

ونقض الحقائق وبطلان الحصر والجائز متردد بين الواجب
والمستحيل وهو جائز في حقنا وعند الله تعالى واجب
او مستحيل واما السمع فعلى ثلاثة اقسام الكتاب والسنة
والاجماع واما البديهة فكعلمنا ان الاكل مشبع والشراب
مروي في امثال ذلك فهذه طرق العلم ثم نرجع الى تقاسيمه
فنقول ايضا ان العلم على ثلاثة اقسام العلم بالدين والعلم
بالدنيا والعلم بما يتوصل به اليهما ما جاءت به الرسل عليهم
السلام فالعلم بالدين على ثلاثة اقسام العلم بالله تعالى والعلم
بالرسل عليهم السلام والعلم بما جاءت به الرسل فالعلم بالله
على ثلاثة اقسام العلم بما يجب له والعلم بما يجوز عليه والعلم
بما يستحيل عليه فاما العلم بما يجب له فهو على ثلاثة
الوجود والوحدانية والكمال والذي يجوز عليه ثلاثة ايجاد
العالم واعدامه بعد وجوده واعادته بعد اعدامه والذي
يستحيل عليه ثلاثة التشبيه والتشريك والنقائص فاما
العلم بوجوده فينبني على نفي التشبيه والتشبيه على ثلاثة
التقييد بالزمان والتقييد بالمكان والتقييد بالجنس
وفي لفظ آخر على ثلاثة التغير والتحيز والتأليف والعلم
بالوحدانية ينبني على نفي التشريك والتشريك على ثلاثة
الاتصال والانفصال والحلول والكمال ينبني على نفي النقائص
والنقائص على ثلاثة منها ما يمنع الافعال ومنها ما يمنع
الادراك ومنها ما يمنع الكلام فالموانع من الافعال كالعجز
والجهل وغير ذلك والموانع من الادراك كالعمى والصمم
وغير ذلك والموانع من الكلام كالخرس والبكم وغير ذلك

من الآفات وفي لفظ آخر في النقائص والنقائص على ثلاثة
منها ما يدل على الحدوث ومنها ما يمنع الافعال ومنها ما
يمنع الادراك واما العلم بالرسول عليه السلام فعلى ثلاثة
ايضا العلم بما يجب اثباته للرسول والعلم بما يجب نفيه عنه
والعلم بما يجوز عليه فالذي يجب اثباته للرسول عليه
السلام الصدق والامانة واتباع الحق في افعاله
واقواله والذي يجب نفيه عنه الكذب والخيانة
واتباع الباطل في اقواله وافعاله والذي يجوز عليه
هو ما يجوز على البشر من الانتفاع والاستضرار وفي
لفظ آخر والذي يجوز عليه السراء والضراء والسهو الذي
لا ينافي التكليف واما العلم بما جاءت به الرسل عليهم
السلام فعلى ثلاثة الوحي والتكليف والجزاء على التكليف
والوحي على ثلاثة الامر والنهي والخبر والتكليف على ثلاثة
الايمان والتقوى والورع وهو الاحتياط في الدين والفرق
بين الوحي والتكليف ان الوحي هو الامر والنهي والتكليف هو
مقتضى الامر والنهي وهو امتثال الامر واجتناب النهي فحقيقة
التكليف هي افعالنا وتناولنا والامر والنهي راجعان الى الخطاب
الذي هو بالوحي والخبر هو ما اخبر به من الغيوب وهو جل
الكتاب واكثر ما فيه والجزاء على التكليف على ثلاثة ايضا الحساب
والثواب والعقاب * (فصل) * والعلم بالدنيا على
ثلاثة اقسام العلم بمنافعها والعلم بمضارها والعلم باسباب
المعيشة فيها وفي لفظ آخر في العلم بالدنيا اخبرنا ان عاقبة
نعيمها الى الزوال واخبرنا ان عاقبة عمرانها الى الخراب واخبرنا

ان

ان عاقبة عارها الى الملاك واما ما يتوصل به الى العلم بها فثلاثة
اللغة والاعراب والحساب فاللغة بها جاءت شريعتنا فاذا بطلت
اللغة بطلت الشريعة والاحكام والاعراب ايض به تتصلح
المعانى وتفهم فاذا بطل الاعراب بطلت المعانى واذا بطلت
المعانى بطل الشرع ايض وبطل جميع ما يدور عليه امر المعاملات
كلها من المخاطبات فى الاقوال واما الحساب ايض فهو مما يتوصل
به الى معرفة الدين والدنيا جميعا اما الدين فان هذه العبادات
الموقتة بالازمان لا تعرف الا بالحساب به عرفت الايام والجمع
والشهور والسنين فالعبادات مرتبة فيها كصلاة الجمعة فاذا
جهل يوم الجمعة بطلت الصلاة وكذلك الصيام اذا جهل الحساب
الذى به يعرف شهره بطل ايض وكذلك السنون ايض فى عبادة
الزكاة والحج فالحساب اصل كبير فى الدين واما الدنيا فيه تصح جميع
المعاملات الدائرة بين الناس من المعاوضات والاخذ والعطا
وجميع منافع المعيشة به تصح وبالله التوفيق *

(الباب السابع فى آداب المتعلم والمعلم) وهذا
الباب ينحصر فى فصلين الفصل الاول فى آداب المتعلم وتنحصر
آدابه فى عشرة اقسام الاول المبادرة الى التعلم فى اول وقت
الامكان ويرغب فيه رغبة متحقق لفضائله وواثق بما فعله
ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجدة ولا نفوذ امره وعلو منزلة
فان من ينفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته فهو بالعلم
احق وفى حديث انس عن النبى عليه السلام انه قال الحكمة تزيد الشريف
شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقال بعض
الادباء كل عز لا يؤكده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة

وقال بعض العلماء اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم
والملك في علمائهم وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه
يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحكم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم
على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويستنبطوا اهله القسم
الثاني ان يكون قصده في التعلم ارادة وجه الله تعالى وانفاء الجهل
عن نفسه وارشاد من قدر على ارشاده بنية خالصة وعزيمة
صادقة فاذا كان قصده ونيته ما ذكرنا فانه يرجى ان يستوجب
الفضل الذي جاء في الاحاديث المتقدمة وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من اكرم عالما فكانما اكرم سبعين نبيا
ومن اكرم متعلما فكانما اكرم سبعين شهيدا ومن احب العلم
والعلماء لم تكتب عليه خطيئة ايام حياته هكذا وجدت في بعض
آثار اصحابنا من المشرق وليحذر طالب العلم ان يطلبه لمراء او رياء
فان الممارى به مهجور لا ينتفع والمرائي به محقور لا يرتفع وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتعلموا العلم لتماروا به
السفهاء ولا تتعلموا العلم لتجادلوا به العلماء فمن فعل ذلك منكم
فالنار والممارى هو القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد وصحيح وفي
حديث آخر من تعلم العلم ليماري به السفهاء او ليباهي به العلماء
لقي الله وهو عليه غضبان فمن طلب العلم لمباهات العلماء او لممارات
السفهاء او لينتشر ذكره في الناس بحسن الثناء او ليعظم قدره عندهم
او لاكتساب مال او جاه فهو من الخاسرين وينشد *
اني رايت الناس في دهرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهات لاخوانهم * وحجة للخصم والظلم
وليس الممارى به هو المناظر فيه طلبا للصواب وقد بين ذلك

بعض العلماء فقال لصاحبه لا يمنعنك حذر المراء من حسن المناظرة
فان المماري هو الذي لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم
من احد القسم الثالث ينبغي لطالب العلم ان يقدم اولا طهارة
النفس من دناءة الاخلاق ومذموم الاوصاف لان العلم عمارة
القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى فكما لا تصح صلاة
الجوارح الظاهرة الا بطهارة الجوارح من جميع الاحداث والاخباث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد
طهارته من خبائث الاخلاق من الغل والكبر والرياء وغير ذلك
وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال بني الدين على النظافة
وهو لعمري كذلك باطنا وظاهرا وقد قال الله تعالى انما المشركون
نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة ليست مقصورة
على الظواهر فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول الجسد ولكنه
نجس الباطن بالشرك وقد قال تعالى وثيابك فطهر اي قلبك فنق
في بعض الاقوال فان قيل كم من طالب ردي الاخلاق قد حصل
العلوم قيل له فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة
فان من اوائله ان تظهر للعالم به ان المعاصي سموم مهلكة وهل
رايت من يتناول شيئا مع علمه بانه سم مهلك انما الذي تسمعه
من المتشبهين بالعلماء في التشدق روايات ومسائل تلقفوها
من غير معرفة بحقايقها وليس ذلك من العلم في شيء وعن ابن
مسعود رحمه الله انه قال ليس العلم بكثرة الروايات انما العلم
نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكانه اشار الى اخص ثمرات
العلم وبالله التوفيق القسم الرابع ان يقلل طالب العلم علايقه

من اشغال الدنيا ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا وفي كل زمان عذرا وينشد قول الشاعر *

نروح ونغدو بحاجتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
اذا الليلة هرمت يومها * اتى بعد ذلك يوم فتي

وقد روي عن عيسى عليه السلام انه قال يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي شهوته من الدنيا فمن اراد العلم بصحة الاجتهاد والجد فليبعد عن الوطن والاهل فان العلائق شاغلة عن المطلوب وصارفة عن درك المامول وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فمهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم والوطوطة لا يجتمعان وقال بعض العلماء العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على خطر ومثال الفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول نهر تفرق ماؤه فتنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرع وبالله التوفيق

القسم الخامس ان لا يتكبر عن العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق فبذلك ينال مطلوبه ويظفر بمأموله وقال بعض العلماء من لم يحتمل ذل التعلم ساعة احتمل ذل الجهل ابدا وينشد

بحا اذا ما مسست الذل قاهر * عزيز فان الذل للعز احرز
فلا تحملن يوما عليه تعززا * فقد يورث الذل الطويل تعزز

ولهذا قال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا وروي انه كان ينام على ابواب الصحابة في الهواجر للتعلم منهم حتى تلفح وجهه

المهاجر وينبغي له ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف
بخدمته وعن الشعبي انه قال صلى زيد بن ثابت على جنازة فقدمت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء
والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده فقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وروت عائشة عنه عليه
السلام انه قال من وقر عالما فقد وقر ربه عز وجل وقال علي بن
ابي طالب لا يعرف فضل اهل الفضل الا اهل الفضل قال الشاعر
ان المعلم والطبيب كليهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما
ثم ليعرف له فضل علمه وليشكر لجميل فعله ولا يمنعه من ذلك
علو منزلته ان كانت له وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم
استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال وينبغي له ان يتلطف به
ويتذلل ويتملق اليه بفعاله ولا يتجهل لان التملق للعالم يظهر
مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وقد روى عن
معاذ رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال ليس الملق
من اخلاق المؤمن الا في طلب العلم والملق معناه التودد واللطف
الشديد وقال حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير بحيث تحب
قعدت وانت كبير بحيث لا تحب وبالله التوفيق القسم السادس
ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة الا وينظر فيه نظرا
يطلع منه على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه
والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرق من البقية فان العلوم
متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك

عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا
ولذلك قيل عن يحيى بن خالد انه قال لابنه عليك بكل نوع من
العلم فان المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدوا لشئ من العلوم
وانشد الماوردي لابن دريد *

جهلت فعاديت العلوم واهلها * كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادري اصيبت مقاتله

ولا ينبغي له ان يتكبر على فن من العلوم المحمودة فان العلوم على
درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا
من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود ومن
تكبر الطالب للعلم ان يستنكف عن الاستفادة والتعلم الا من المشهورين
الكبرا وذلك عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة فمن طلب
مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور
وخامل وضراوة سباع النار بالجهل بالله تعالى اشد ضراوة من كل
سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن
ساقها اليه كائنا من كان نبيها كان او خاملا ولا يطلب الصيت وعلو
الذكر باتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان
يستوي النفعان فيكون الاخذ عن من اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى
لان الانتساب اليه اجمل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد * لعلمك انسانا من الناس يقبله
وان صانك العلم الذي قد حملته * اتاك له من يجتنيه ويحمله

فمهما تكبر المتعلم عن العلم انحرف العلم عنه وصعب عليه بعد ذلك
طلبه ولذلك قال بعضهم *

العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي

ولذلك قيل ان المتواضع من طلاب العلوم اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البقاع ماء القسم السابع ينبغى للمتعلم ان يحترز فى مبدء الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ذلك من علوم الدنيا او من علوم الآخرة لان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويويسه عن الادراك بل ينبغى له ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه اذا كان استاذه نقادا بصيرا بفنون العلم مستقلا باختيار راى واحد ومذهب واحد وان كان استاذه انما عادته نقل المذاهب وما فيها ولم يعتقد رايا واحدا فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم فمن حاله هذا فهو بعد فى عمى الحيرة ورتبة الجهل وان كان استاذه بصيرا بالعلم متخيرا لنفسه قولا واحدا يعتمد عليه ورعا فى دينه فليلق اليه المتعلم زمام امره بحسن الاصغاء والقبول وليكن فى ذلك لمعلمه كارض ميتة نالت مطرا غزيرا فشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق فى التعليم فليقلده وليدع رايه فان خطأ مرشده انفع له من صواب راى نفسه اذ التجربة تطلع الانسان على دقائق يستغرب سماعها مع انه قد يعظم نفعها وقد نبه الله تعالى على ذلك فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت فقال فان اتبعتنى فلا تسئلنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا ولم يزل فى مراودته الى ان كان ذلك سبب فراق ما بينهما وبالجملة فكل متعلم استغنا بنفسه

رايا لاختيار ادون اختيار المعلم فاحكم عليه بالخيبة والخسران وبالله التوفيق القسم الثامن ان يحذر المتعلم الاذلال على من يعلمه وان انسه وطالت صحبته معه لان الاذلال على العلماء من فعل الجهال وفيه فساد الاحوال وقيل لبعض الحكماء من اذل الناس قال عالم يجرى عليه حكم جاهل قال وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبى فقال لها من انت فقالت بنت الرجل الجواد حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارحموا عن ثلاثة غنيا افتقر وعزيزا ذل وعالما ضاع بين الجهال وليحذر المتعلم استهانة معلمه ولو وجد فى نفسه استغناء لان ذلك كفر لنعمته واستخفافا بحقه فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لابن البطحاء اعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رمانى * وهذه الحالة من مصايب العلماء ان يصير عند من علموه مستجهلين وعند من قدموه مسترذلين وقد قال صالح بن عبد القدوس * * *

وان عناء ان تعلم جاهلا * ويزعم جهلا انه منك اعلم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهى عن شىء من اتى به * اذا لم يكن منه عليه تندم

وقد رجح كثير من العلماء حق العالم على حق الوالد لان الوالد يحفظه من نار الدنيا والعالم يحفظه من نار الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له ان يحمله معرفة الحق له حتى يقبل كل شبهة اتت من جهة معلمه ولا يدعوه ترك الاعنات اه على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غلا بعض الاتباع فى عالمهم حتى يروا ان قوله دليل وان لم يستدل وليكن المتعلم معتدل الراى فيمن ياخذ عنه متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله الاعنات على اعتراض المبكتين

ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين فاذا فعل ذلك برئ من المتعنتين وسلم العالم من المحتنين فليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتا ولا قبول ما صح في النفس تقليدا وقد قيل لابن عباس بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وعن النبي عليه السلام انه قال حسن السؤال نصف العلم وانشد المبرد للعتبي

سل الفقيه تكن فقيها مثله * لا خير في علم بغير تدبر
واذا تعسرت الامور فارجها * وعليك بالامر الذى لم يعسر

وربما تتبعت نفس المتعلم من بعد عنه من العلماء استهانة بمن قرب منه وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها ان العالم كالكعبة يأتيها البعد ويزهد فيها القرب وانشد لما وردى عن بعض شيوخه للمسيح بن حاتم *

لا ترى عالما يحل بقوم * فيحلوه دار الهوان
قلما توجد السلامة * والصحة مجموعتين في انسان
فاذا حلتا مكانا سحيقا * فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة العزيزة بيت الله * يسعى لحجها الثقلان
وترى ازهد البرية في الحج لها * اهلها القرب المكان

وينبغي للمتعلم ان يكون في طلب العلم راغبا في ثواب الله راهبا من عقابه وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة فاذا اجتمعت فيه الرغبة في ثواب الله والرهبة من عقاب الله اديا به الى كنه حقيقة العلم وحقيقة الزهد فاذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وان افترقا فياويح مفترقين ما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام

انه قال من ازداد فى العلم رشدا ولم يزد د فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما اوتى من العلم لا ينفعه القسم التاسع ينبغى لطالب العلم الا يقصر فى طلبه وينتهز الفرصة ولا يشتغل بالفراغ فانه من الفراغ تكون الصبوة قال الشاعر *

لقد هاج الفراغ عليك شغلا * واسباب البلاء من الفراغ

وقال بعض العلماء من امضى يومه فى غير حق قضاه او فرض اداه او مجد اثله او حمد حصله او خير اسسه او علم اقتبسه فقد غبن يومه وظلم نفسه وقال بزرجمهر ان يكن الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة وينبغى له ان يبتدئ العلم من اوله ويأتيه من مدخله ولا يتشاغل بطلب ما لا يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك ما لا يسع جهله فان لكل علم فضولا مشغلة ان صرف اليها نفسه قطعته عما هو اهم فخذوا من كل شئ احسنه

وقد قال ابن عباس العلم اكثر من ان يحصى

وينبغى ان لا يغفل فى الصغر عن التعلم لانه احمد من التعلم فى الكبر وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الذى يتعلم العلم فى صغره كالنقش على الصخرة والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء وقال على قلب الحدث كالارض الخالية ما القى فيها من شئ قبلته وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا واقل شغلا وايسر تبذلا واكثر تواضعا واما ان يكون الصغير اضبط من الكبير اذا عرى من هذه الموانع واوعى منه اذا خلا من هذه القواطع فلا وحكى ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر وقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل قلبا ولكن تعلم الكبير اوجب لان الاولى به ان يكون شيخا متعلما لا شيخا جاهلا

لان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر ولذلك قيل في منثور
الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور واما الكبير فالجهل به
اقبح ونقصه عليه افضح وينبغي لمن زهد في العلم ان يكون فيه راغبا
ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا
ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا ولا يطلب لتركه احتجاجا
ولا للتقصير فيه عذرا قال الشاعر *

فلا تعذروني في الاساءة انه * شرار الرجال من يسيء فيعذر

اخر

فهيات والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره
فما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذره

وينبغي للمتعلم ان يشعر قلبه الصبر على معانات الحفظ ولا يشتغل
الدرس والحفظ ويتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب
والمطالعة فيها عند الحاجة اليها والعرب تقول في امثالها حرف
في قلبك خير من الف في كتبك قال الشاعر *

عليك بالحفظ بعد الكتب تجمعها * فان للكتب آفات تفرقها
فالفار يخرقها والنار تحرقها * والماء يغرقها والكف يسرقها

وفي المثل حرف في تامورك خير من الف في دستورك وقالت العرب
لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي قال الشاعر

اذا ما غدت طلابة العلم ما لها * من العلم الا ما تحصل في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * فمحبرتي اذني ودفترها قلبي

وانشد الشافعي

علمي معي حيثما يممت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * او كنت في السوق كان العلم في السوق

وينبغي للمتعلم ان يتفكر بعد الحفظ في معاني الالفاظ وقد روي عن

النبي عليه السلام انه قال همة السفهاء الرواية وهمة العلماء
الرعاية ومثل الذى يحفظ الالفاظ ولا يفهم معانيها كالكاتب
الذى لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وكالحمار يحمل اسفارا ولا
يدرى ما عليه قال الشاعر يهجو قوما *

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك مايدرى البعير اذا غدا * باوساقه اوراح مافى الغرائر

وقال ابن مسعود رحمه الله كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة
فقد يرعوى من لا يروى او يروى من لا يرعوى وحكى ان الحسن
البصرى حدث بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عمن فقال
ماتصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته
ومع هذا فلا ينبغى للمتعلم ان يعتمد على حفظه وتصوره ويغفل
عن تقييد العلم فى الكتب فان هذا منه خطأ وغلط لان التشكيك
معترض والنسيان طارى وقد روى انس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال قيدوا العلم بالكتابة وشكا اليه رجل النسيان فقال له
عليه السلام استعمل يدك اى اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما
كتبت وقال الخليل بن احمد اجعل ما فى الكتب راس المال وما فى
القلب النفقة وقال بعض السلف لولا ما عقدته الكتب من تجارب
الاولين لانحل مع النسيان عقود الآخرين وقال بعض البلغاء
ان هذه الآداب نوافر تند عن عقول الاذهان فاجعلوا الكتب عنها
حماة والاقلام لها رعاة وقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى او
اثارة من علم قال يعنى الخط وعن مجاهد فى قوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا يعنى الخط وقال حكيم الروم الخط
هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسدانية وقال حكيم العرب

الخط اصل في الروح وان ظهر بحواس الجسد واختلف في اول من كتب الخط بذكر عن الماوردي انه ذكر عن كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الارض في زمان نوح عليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي الى ان خص الله به اسماعيل عليه السلام فاصابها وتعلمها وحكى عن قتيبة ان اول من كتب ادريس عليه السلام واختلف في اول من كتب بالعربية فذكر كعب الاحبار انه آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسماعيل عليه السلام وحكى ابن عباس ان اول من كتبها ووضعها اسماعيل على لفظه ومنطقه وحكى عروة بن الزبير ان اول من كتب قوم من الاولين واسماؤهم ابجد وهوز وحطي وكلمن وصعفص وقرست وكانوا ملوك مدين وحكى ابن قتيبة في المعارف ان اول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت وحكى المدائني ان اول من كتب بها مرامر بن مروة واسلم بن سدرة وعامر ابن خذرة فمرامر وضع الصور واسلم وصل وفصل وعامر وضع الاعجام والله اعلم القسم العاشر في الشروط التي يتوفر بها علم الطالب بعد عون الله تعالى وحسن توفيقه وهي بالجملة عشرة احدها العقل الذي يدرك حقائق الامور لان معاني الاشياء التي يتوصل اليها مستودعة في كلام مترجم عنها وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما فاللفظ كلام يعقل بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالعقل الثاني الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم ولذلك قال بعض الحكماء العلوم مطالعها من ثلاثة وجه عقل مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل الكلام بسمعه فهم

معانيه بقلبه واذا فهم المعانى سقطت عنه كلفة استخراجها
وبقى عليه معاناة حفظها واستقرارها لان المعانى شوارد
تضل بالاغفال والعلوم وحشية تنفر بالارسال الثالث
الذكاء الذى به يستقر حفظ ما تصوره وفهم ما علمه فاذا
حفظ علمه بعد الفهم استقر وانس واذا ذكر به بعد القرار
رسا وثبت وقد قال بعض الحكماء من اكثر المذاكرة بالعلم لم
ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم قال الشاعر *

اذا لم يذاكر ذوى العلوم بعلمه * ولم يستفد علما نسى ما تعلما
فكم جامع للكتب فى كل مذهب * يزيد مع الايام فى جمعه عكما

الرابع الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل
لان من صدقت شهوته فى العلم وبعدت همته فى الطلب لابد
ان يشعر قلبه الصبر بقوة شهوته ويشعر جسده احتمال
التعب لبعد همته فيعقبه ذلك الحاح الملحين الاملين
ونشاط المدركين فقل عنده كل كثير وسهل عليه كل عسير
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لاتنالون
ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون الا
بترك ما تشتهون وقيل فى منثور الحكم اتعب قدمك فكم
تعب قدمك وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف هانت الكلف
الخامس الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلفة الطلب ولذلك قيل
لا يصح العلم لطالبه الا بوجود اربعة الكتب الصحاح وسعة
المؤنة وذهن حاضر وعالم نقاد بصير بفنون العلم وقال بعض
البلغاء من بلغ اشده لاقى من العيش اشده ويقال من اهتم
بمصلحة لم ينتفع بمسئلة وقال بعض مشايخنا رحمهم الله

بعكس هذا فقال انما يتعلم العلم مثل ابي عبيدة البغطوري
الذي يبل الشعير ويصره في طرفه ثم يفطر عليه وعلى الخبز
وهو صائم ولا يأكل العيش المطبوخ الا من ليلة الجمعة الى
ليلة الجمعة الاخرى والله اعلم السادس الفراغ من العلايق
ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وقد تقدم
هذا السابع عدم القواطع المذهلة من هموم واشغال وامراض
ولذلك قال بعض البلغاء القلب اذا علق كالرهن اذا غلق وقيل
في منثور الحكم الهم قيد الحواس فان كان ذا معيشة قطعته
وان كان ذا رياسة الهته ولذلك قيل تفقهوا قبل ان تسودوا
الثامن طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار الى مراتب
الكمال وقال الاسكندري يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة
وقريحة وشهوة وتمامها في الخامس معلم ناصح ولذلك قيل شعر

لابد للعلم من ست لطالبه * من فيلسوف ودود غير منان
ومن زمان ومن امن يشايعه * ومن مكان وامكان واخوان

وقال الاخر
خصال العلم اربعة * فاولها التجرد له * وحفظك ثم فهمك له * وحملكه
عن الحمله * خصال من تكون فيه * والا لم ينل امله

التاسع الظفر بعالم سمح بعلمه متأت في تعليمه صادق في كل
كلامه بصير بفنون العلم ناصح للمتعلم ولذلك قيل عن ابي عبيدة
مسلم رحمه الله انه قال لا يؤخذ العلم من اربعة رجل كذاب
وان كان يصدق في فتواه ورجل مبتدع في الدين ورجل سفيه
مشهور السفه ورجل لا يفرز مذهبه من مذهب غيره فاذا
ظفر بمعلم ناصح ذي دين فعليه ان يوقره ويتذلل لديه بحسن
التادب فبذلك ينال بغيته منه ان شاء الله وقد قال انوشروان

قوله الثامن الخ لانه به يكون التوغل في الطلب وتحصيل الاستكثار من العلم

لبزرجمهر من ادبك قال قريحتي نظرت الى ما استحسنت من
غيري فاستعملته وما استقبحته اجتنبته ولقد استفدت من
كل شيء محاسنه واخذت من الخنزير قناعته ومن الكلب محافظته
ومن القرد مساعدته ومن الحمار صبره ومن الغراب بكوره ومن
السنور لطف المسئلة عند الخوان فقيل له بما ذا نلت ما نلت
من العلم فقال ببكور كبكور الغراب وحرص كحرص الخنزير وصبر
كصبر الحمار وتملق كتملق القط وقيل لبعض السلف بم ادركت
ما ادركت من العلم فقال بقلب ذكي واب غني فاذا امتثل المتعلم
ما ذكرنا كان جديرا بان ينال من العلم مقصوده وبالله التوفيق
العاشر تقوى الله عز وجل الذي هو راس كل بر وبه ينال المتعلم
مقصوده من الخير في الدنيا والآخرة قال الله سبحانه وتعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله وقال النبي عليه السلام من عمل بما علم
اورثه الله عز وجل علم ما لم يعلم وحديث علي بن ابي طالب فيه جميع
وظائف الادب التي يحتاج اليها المتعلم لمعلمه وذلك انه قال ان
من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح
عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تشير عليه بيدك
ولا تفش له سرا ولا تغتاب عنده احدا ولا تطلبن عثرته فان
زل انتظرت اوبته وقبلت معذرته وان توقره وتعظمه لله ما دام
يحفظ امر الله ولا تمش امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم
الى خدمته ولا تتبرم من طول صحبته فانما هو بمنزلة النخلة تنتظر
متى تسقط عليك منها منفعة واذا جئت فسلم على القوم وخصه
بالتحية واحفظه شاهدا او غائبا وليكن ذلك كله لله فان العالم
اعظم اجرا من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله واذا مات

العالم انثلمت من الاسلام ثلمة الى يوم القيامة لايسدها الا
خلف مثله وطالب العلم تشيعه ملائكة السماء وبالله التوفيق
فهذه وظايف ما على المتعلم من الآداب ومابه يتوفر علمه
واذا استكملها فهو اسعد طالب وانجح متعلما والله اعلم واحكم

(الفصل الثانى فى وظائف ما على العالم المعلم المرشد من الاداب)

اعلم ان للانسان فى علمه اربعة احوال كماله ذلك فى اقتناء الاموال
اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق
على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا
متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنا كالمال
فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال
تبصير وتعليم لغيره وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم
فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضئ
لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب وهو
طيب واما الذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره
وهو خال عن العلم والمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع وكالابرة
التى تكسوا غيرها وهى عارية وكفتيلة المصباح تضئ لغيرها
وهى تحترق وفى مثله يقال *

صرت كانى ذبالة نصبت * تضئ للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما
فليحفظ وظائف ادابه وتنحصر بالجملة فى عشرة وظائف
احدها ان يكون المعلم عاملا بعلمه اولا لئلا يكون كما قال

الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى
مثل الذين حملوا التورية الى قوله يحمل اسفارا وقال تعالى كبر
مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعن قتادة في قوله
تعالى وانه لذو علم لما علمناه يعني انه عامل بما علم فاذا خالف
فعل العالم قوله سقطت حكمته وامتنع الناس من قبولها
لان الحكمة والعلم انما يدركان بالبصائر والعمل والقول يدركان
بالابصار وارباب الابصار اكثر فكل من تناول شيئا وقال للناس
لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم
عليه فيقولون لولا انه اعز الاشياء والذها لما كان ينفرد به
ولذلك قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو منع
الناس من فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ
ولذلك قال الشاعر *

منعت شيئا فاكثرت الولوع به * احب شئ الى الانسان ما منعا

ومثال المعلم المرشد من المتعلم المسترشد مثل العود من الظل
ومثل القلب من الجوارح فكيف يستوي الظل والعود اعوج
وكيف تستقيم الجوارح والقلب معوج ولذلك كان وزر
العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته خلق كثير يقتدون به ومن
سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة
ولذلك قيل عن علي بن ابي طالب انه قال قصم ظهري رجلان
عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغتر الناس بتنسكه
والعالم ينفرهم بتهتكه فالواجب على العالم ان يعمل بما يعلم
ولا يقول بما لا يفعل ولا يامر بما لا يأتمر ولا يسر غير ما يظهر
وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال ويل لاتباع القول وويل

للمصرّين

للمصرين يريد باتباع القول الذين يستمعون القول ولا يعملون
به وقد روى ان الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام
يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به فيكون عليك
بوره ولغيرك نوره وقيل في منثور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك
العمل به وقال بعض الحكماء خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع وعن
علي انه قال انما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع
من علم بما علم وكان يقال خير من القول فاعله وخير من الصواب
قائله وخير من العلم حاصله وقال بعض البلغاء من تمام العلم
استعماله ومن تمام العمل استقلاله فمن استعمل علمه لم يخل
من رشاد ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد قال ابو تمام الطاءى

ولم يحمدوا من عالم غير عامل * خلافا ولا من عامل غير عالم
راوا طرقات المجد عوجا قطيعة * وافظع عجز عندهم عجز حازم

واعلم ان امر العالم غيره بما لا يعمل به مطرح وانكاره بما لا ينكره
من نفسه مستقبح بل ربما كان ذلك سببا لاغراء المامور بترك
ما امر به عنادا وارتكاب ما نهى عنه كيادا وقد حكى ان اعرابيا
سال ابن ابي ذئب عن كلام وقع منه في زوجته فافتاه بطلاقها
فقال الاعرابي انظر حسنا قال قد نظرت وقد بانت منك فولى
الاعرابي وهو يقول

اتيت ابن ذئب ابتغي الفقه عنده * فطلق حتى البت بتت انامله
اطلق من فتوى ابن ذئب حليلتي * وعند ابن ذئب اهله وحلائله

فظن بجهله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم الطلاق
فما ظنك بقول يوجب اشتراك الامر والمامور فيه كيف يكون
مقبولا منه وهو غير عامل به ولا قائل له كلا حتى يا تمر ويعمل

به لان علمه لما كان فيه حجة على من اخذه عنه وا قتبسه
منه كان عليه اوجب وله الزم لان مرتبة العمل قبل مرتبة القول
كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وبالله التوفيق
* (الوظيفة الثانية) * الشفقة على المتعلمين منه ان يجريهم
مجرى بنيه فى التعهد لاحوالهم وقد روى عن النبى عليه السلام
من طريق ابن عمر انه قال وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه
العلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال تعلموا العلم وتعلموا
للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من
تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم فلما كان
الامر ما وصفنا كان جديرا على المعلم ان يشفق على المتعلمين منه
شفقة الوالد على اولاده وقد روى عن النبى عليه السلام انه
قال انا لكم مثل الوالد اعلمكم امر دينكم وذلك ان يقصد بتعليمهم
انقاذهم من نار الآخرة فهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من
نار الدنيا ولذلك صار حق العالم المعلم اعظم من حق الابوين
لانهما سبب لوجود الولد فى الدنيا الفانية والمعلم سبب لخلوده
فى نعيم الحياة الآخرة الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة او علوم
الدنيا على قصد الآخرة واما المعلم على قصد الدنيا فهو هلاك
واهلاك نعوذ بالله من سوابق الشقاء فكما ان حق اولاده
الرجال ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلاميذ المعلم
الواحد التحاب والتعاون ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم
الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم
الدنيا فان العلماء وابناء الدنيا مسافرون الى الله عز وجل وسالكون
اليه الطريق فالدنيا وسنونها وشهورها منازل اليه فكما ان

المسافرين في الطريق الى بعض الامصار لابد لهم من التعاون
والتواد حتى يقطعوا الطريق الى المصر واذا اختلفت كلمتهم
وتباغضوا كان ذلك سبب هلاكهم في الطريق فلما كان سفر
الدنيا بهذه الحالة فالسفر الى الله تعالى والى الفردوس الاعلا
احق بالترافق والتواد في طريقه ولا ضيق في طريق سعادة
الآخرة ولذلك لايكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا تباغض
ولا تحاسد واما السالكون بطريق تعلمهم وتعليمهم طلب الرياسة
فهم خارجون عن موجب قول الله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون
في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(الوظيفة الثالثة) ان يقصد العالم بتعليمه وجه الله تعالى
ويقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه في ان يطلب ثواب
الله في تعليم من علم وارشاد من ارشد ولا يطلب بذلك في الدنيا
عوضا ولا اجرا قال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على الله وقال تعالى ولا تشتروا بآيات الله
ثمنا قليلا وعن ابي العالية قال لا تاخذوا عليه اجرا وهو مكتوب
عندهم في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقد
روي عن النبي عليه السلام انه قال اجر العالم كاجر الصائم
القائم فحسب من هذا اجره ان يلتمس عليه اجرا ويرى لنفسه
منة على المتعلمين منه ولو كانت المنة لازمة لهم بل ينبغي ان يرى
لهم المنة عليه اذا طهروا قلوبهم بان يتقرب الى الله تعالى بزراعة
العلوم فيها كالذي يعيرك ارضه لتزرع فيها زراعة لنفسك
فالمنة لصاحب الارض عليك وثواب المعلم في التعليم اكثر من
ثواب المتعلم ولولاه ما نال المعلم ذلك الثواب الجزيل فلا ينبغي

له ان يطلب الاجر الا من الله تعالى والا فقد ابطل ثوابه وخسر سعيه وانما الا ليق بالعلماء نزاهة النفوس عن شبه المكاسب والقناعة بالميسور من كد المطالب فبذلك تزكوا نفوسهم ويسلم لهم دينهم واعراضهم ويتوفر علمهم وتوجد له الحلاوة والقبول في انفس المتعلمين والمنتفعين منهم لان شبهة الكسب عار في الدنيا ونار في العقبى وكد المطالب اذلال للنفس واهانة للعلم وانشد الماوردي لعلي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني *

يقولون لي فيك انقباض وانما * راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من دناهم هان عندهم * ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا * من الذم اعتد الصيانة مغنما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما * بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني * ولا كل من في الارض ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما قد يشينها * مخافة اقوال العدا فيم اولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لاخدم من لقيت لكن لاخدما
ااشقى به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
فلو ان اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

انظر كيف انتهى امر الذين يزعمون انهم للعلم موضع وللدين مفزع وان مقصدهم به حشد الجهال وكثرة الاتباع ومخالطة ذوي الاموال من الغوغا والرعاع وان غرضهم بهذا كله زعموا احياء الدين واقامة الحق المبين فاضطرهم حب الدنيا وطلب الرياسة وجمع الحطام الى استدراج العوام بالخدع الدينية واستعمال

المداهنة في الدين حتى اندرس الكليه فصاروا ضحكة عند الجهال وخداما لارباب الاموال يتذلل احدهم للجاهل من تلامذته وينتهض له حمارا مسخرا لقضاء حاجاته فان قصر في ذلك ثار عليه وصار من اعداء اعدائه اخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح مع ذلك برضاء الجاهل عنه ولجتماع السفلة عليه فصار من يدعى العلم والمعرفة يتضرع للجهال ويتبصبص لذوى الاموال كيف والمال وجميع ما في الدنيا خادم للبدن الذى هو مركب للنفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس ونجاتها فمن طلب المال بالعلم كان كمن مسح نعله بوجهه ليطهر النعل من الانجاس فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وهذا لعمرى هو التعس والانتكاس على ام الراس فكيف يفرح العاقل بهذه المنزلة ويرضى بها ثم لا يستحى ويقول ان غرضى احياء الدين وتقرب الى الله تعالى باقامة الحق المبين فانظروا واعتبروا وبالله التوفيق الوظيفة الرابعة النصيحة للمتعلمين والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم فان ذلك اعظم لاجرهم واسناد لذكرهم وانشر لعلومهم وارسخ لمعلومهم ومن النصيحة للمتعلم ان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهات والمنافسة ويقبح في نفسه ذلك باقصى ما يمكن من التقبيح فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده واعلم ان المتعلمين ضربان مستدع وطالب فاما المستدعا الى العلم فهو من استدعاه

العالم الى التعلم لما ظهر له من جودة ذكائه وقوة خاطره فاذا وافق
استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتها درك السعداء وظفر
النجباء لان العالم باستدعائه متوفر والمتعلم بشهوته مستكثر واما
الطالب للعلم لداع يدعوه وباعث يحدوه فان كان الداعي دينيا
وكان على التعلم يقظا ناذكيا وجب على العالم ان يكون عليه مقبلا
وعلى تعليمه متوفرا لا يخفى عنه مكنونا ولا يطوى عليه مخزونا
وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لعلى بن ابى طالب لان
يهدى الله بك رجلا خير ممن طلعت عليه الشمس وان كان بليدا
بعيد الفطنة فينبغي الا يمنع من اليسير فيحرم ولا يحمل عليه الكثير
فيظلم ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه فان الشهوة باعثة والصبر
مؤثر وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لا تمنعوا العلم اهله
فتظلموا ولا تضعوه في غير اهله فتاثموا وقال بعض الحكماء لا تمنعوا
العلم احدا فان العلم امنع لجانبه فان لم يكن الداعي دينيا نظر فيه فان
كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهة وطلب الرياسة
فالقول فيه يقارب التعليم له اذا كان مطلوبه من العلم ما يرجاه
ان يعطفه في الحال الثاني وذلك مثل علم التفسير والحديث وعلم
الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها وما اشبه ذلك
مما كان الاولون يشتغلون به ولذلك حكى عن سفيان الثوري
انه قال تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وقال ابن المبارك
تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وذلك العلم مثل ما قدمنا
من علم التفسير والمواعظ فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا
فلا باس ان يتركه فانه ربما يتشمر له الطالب طمعا في الوعظ به
للجاه والاستتباع ولكن ربما يتنبه في آخر الامر اذ فيه العلوم

المخوفة

المخوفة من الله عز وجل المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك
يوشك ان يرده الى قصد الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره
ويجري تحبيب القبول والجاه بذلك اول مرة مجرى الحب الذي
ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك لعباده اذ
خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه
ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم واما
علوم المجادلات والفتاوى والخصومات والاشعار التي فيها السخف
واشباه ذلك فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة
في القلب وغفلة عن الله سبحانه وتماديا في الضلال وجمعا للحطام
الا من تداركه الله سبحانه برحمته واما ان كان الداعي الى التعلم
شرا كامنا ومكرا باطنا يريد ان يستعملها المتعلم في شبهة دينية
وحيل فقهية لا يجد اهل السلامة عنها مخلصا ولا فيها مدفعا
كما قال النبي عليه السلام لا اخاف عليكم مؤمنا ولا مشركا لان
المؤمن قد شغله ايمانه والمشرك قد اذله الله بشركه ولكن اخاف
عليكم منافقا عالم اللسان جاهل القلب الحديث وقال عليه السلام
اهلك امتي رجلان عالم فاجر وجاهل متعبد وقيل يا رسول الله اي
الناس اشر فقال العلماء اذا فسدوا فينبغي للعالم اذا رأى من هذا حاله
ان يمنعه من طلبته ولا يعينه على امضاء مكره وخديعته فان
اعانة من هذه حالته بسلاح العلم يجري مجرى اعانة قاطع الطريق
بالسلاح وقد روي عن ابي المنيب حامد بن يانيس رحمه الله انه
كان اذا اتاه ابو خليل الدركلي رحمه الله للتعلم فان وجده مضطجعا
قعد على نفسه او مغطيا وجهه كشف عنه وان اتاه اخوه عمرو
ابن يانيس فان وجده قاعدا اضطجع او مكشوفا وجهه غطاه فقيل

له في ذلك فقال ابوخليل انما يتعلم لله واما عمرو فانما يتعلم
ليؤذي المسلمين ويعنتهم فكان الامر كما قال الشيخ فكان ابوخليل
قائما بالدين قادة في الاسلام فصار عمرو وبالا على المسلمين وصاحبا
لخلف بن السمح فاحدث احداثا في الاسلام فكان يتبع زلات
المسلمين ويكتب بها الى الامام عبد الوهاب رضي الله عنه فكتب
اليه الامام فقال اعاذنا الله يا عمرو من النزول بعد الطلوع ومن
الترك بعد الاجتهاد ومن بغض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه
الابدان ومن اشياء ليس لها تجارب فقال بلغوه الكتاب وما
اظن ان تدركوه الاميتا فلعل ان تدركوا جنازته فوجدوه كما حمل
الى القبر والله اعلم وفي روايات ابي سفيان محبوب رحمه الله قال
كان رجل ممن يعرف بهذه الدعوة يقال له سلمة ثم ظهرت منه اشياء
كان يكتب بطائق يشتم فيها المسلمين ويعيبهم ويلقيها في
المجالس حتى وجدوا نيفا على اربعين بطاقة من عيب المسلمين
وشتمهم فاجتمعوا لذلك ليظهروا امره للمسلمين ونتبرء وامنه
قال فتكلم ابو روح مغلس فقال انا وجدنا كتبا فيها عيب المسلمين
وشتمهم فوالله ما كتبها الا شيطان فعلى من كتبها لعنة الله ثم تتابع
المتكلمون على مقالة ابي روح ولم يسموا احدا قال فخرج سلمة الى
البحر فغرق فيه فنعا فاهم الله تعالى من شره فاذا راى العالم في المتعلمين
امثال هؤلاء الفساق الذين يكونون عليهم وبالا على المسلمين ومحينا
للدين فليقصهم ولا يغذهم العلم لئلا يكون شريكهم في الشر والاثم
وقد روي عن النبي عليه السلام من طريق انس انه قال واضع
العلم في غير اهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ وعن عيسى عليه السلام
لا تلقوا اللؤلؤ للخنزير وفي حديث آخر لا تلقوا الدر في افواه الكلاب

فالعلم افضل من اللؤلؤ ومن لا يستحقه شر من الخنزير وحكى
ان تلميذا سال عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له منعته
فقال لكل تربة غرس ولكل بناء اس وقال بعض البلغاء لكل
ثوب لابس ولكل علم قابس وقال بعض الادباء ارث لروضة
توسطها خنزير وارث لعلم حواه شرير قال الشاعر *

اخي وتابيني بمدحي معشرا * كمعلق درا على الخنزير

وعن عيسى عليه السلام انه قال لا تؤتوا الحكمة غير اهلها
فتظلموها ولا تمنعوها من اهلها فتظلموهم ويقال من اعطى
الحكمة غير اهلها حاكمته الحكمة الى ربها وانشد بعض السلف من العلماء

لعمري لئن ضيعت في شر بلدة * فلست مضيعا عندهم غرر الكلم
فان فرج الله اللطيف بفضله * وصادفت اهلا للعلوم وللحكم
صبت مفيدا واستفدت ودادة * والا فمخزون لدي ومكتتم
ومن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
ومانع علم الدين ممن يريده * يبوء باوزار واثم اذا حرم

وروي ان سفيان الثوري رئي حزينا فقيل له مالك فقال
صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا
او قاضيا او قهرمانا والله اعلم وينشد للمتنبي *

قالوا انك تطيل الصمت قلت لهم * ما طول صمتي من عي ولا خرس
لكنه افضل الامرين عاقبة * عندي ولجمله من منطق شكس
اانثر البز فيمن ليس يعرفه * ام انثر الدر بين العمي في الغلس

واما اذا كانت زلة المتعلم بينه وبين الله تعالى فلا ينبغي ان
يقصي ويحرم العلم بل يلطف به لعله يتوب اذا كان الخير فيه
مرجوا والشر من قلبه مامونا وفي روايات ابي سفيان محبوب

رحمه الله انه قال كان حاجب رحمه الله يقول لعبد الملك
الطويل فيما يؤديه فيه يا عبد الملك اذا كان احد يعيب عليه
المسلمون في اشياء تكون بينه وبين الله تعالى فاستروا عليه
وعظوه واحضروه مجالسكم وارفقوا جهدكم عسى الله ان يتوب
عليه واذا كان احد يعيب عليه المسلمون في خلافهم في الدين
يريد ان يشغب عليهم ويفتق عليهم فتقا فابدوا عورته واهجروه
ولا تحضروه مجالسكم واعلموا الناس به حتى يكونوا منه على حذر
او يتوب والله اعلم * (الوظيفة الخامسة) * ينبغي للعالم ان
تكون له فراسة يتوسم بها احوال تلامذته وغيرهم من جميع
المتعلمين منه من الناس فيعطي كل واحد منهم مبلغ طاقته وقدر
استحقاقه فيعطيه ما لا يجهله بذكائه ولا يضعف عن بلادته
فانه اروح للعالم وانجح للمتعلم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من طريق انس بن مالك انه قال ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم
وعن عمر رضي الله عنه انه قال اذا انا لم اعلم مالم ار فلا علمت ما رايت
وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير من لم ير برايه مالم ير بعينه وعن
ابي عمرو بن العلا كان ابن العباس المعيا قال ابو عبيدة الالمعي
الذي يهجم بظنه على اليقين وقال ابو العينا سالت الاصمعي عن
الالمعي قال هو الذي يلمع الحق بظنه فيهجم عليه بيقين وقال
غيره سالت ابا زيد عن الالمعي فقال الذكي المتوقد الذي يكون
بظنه اوثق منك بيقين قال ابن الرومي *

الالمعي يرى باول ظنه * آخر الامر من وراء المغيب
لوذعي له فؤاد ذكي * ماله في فؤاده من ضريب
لا يروى ولا يقلب طرفا * واكف الرجال في تقليب

ويروى ان ابا عبيدة مسلم رحمه الله قال لاحد حملة العلم عنه
افت بما سمعت منى وما لم تسمع وهو الامام عبد الرحمن بن
رستم رحمه الله وقال لآخر افت بما سمعت منى وهو ابو الخطاب
عبد الاعلا المعافري الامام رحمه الله وقال للثالث لا تفت
انت بما سمعت منى ولا بما لم تسمع وهو ابو داود القبلى ثم كان
الامام عبد الوهاب رحمه الله فى زمانه عند ابى داود كالصبى
قدام المعلم مع ما اوتى الامام من العلم والعقل انظر الى فراسة
ابى عبيدة فى تلامذته حتى عرف مبلغ علم كل واحد منهم ومبلغ
عقله فامره بما يليق بعلمه وعقله ثم انظر الى ابى داود الذى حظر عنه
الفتوى على كل حال وهو قد بلغ من العلم والفضل الدرجة التى
يجلس الامام عبد الوهاب بين يديه من اجلها كالصبى بين يدى
المعلم ثم انظر الى الذين عرضوا انفسهم لاحياء الدين واقامة الفتوى
بزعمهم من اهل زمانك فاذا كان العالم فى توسم المتعلمين بهذه
الصفة وكان بقدر استحقاقهم خبيرا لم يضع له عناء ولم يخب على
يده متعلم وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم ومبلغ استحقاقهم
كانوا واياه فى عناء مكد وتعب غير مجد لانه لا يعدم ان يكون
فيهم ذكى يحتاج الى الزيادة وبليد يحتاج الى التقليل فيضجر الذكى
ويعجز البليد ومتى تردد اصحابه بين ضجر وعجز ملوه وملهم ولذلك
قيل كل لكل عبد بمكيال عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع
بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار فلذلك ينبغى ان يقتصر العالم
بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفر منه ولكن
يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر
الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم

فان كان المتعلم ممن يستقل بفهم الحقايق فليلقها اليه والا فاقتصر
على ما يفهمه وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال ما من
رجل يحدث قوما بما لم تبلغ عقولهم الا كان فتنة على بعضهم
وفي حديث على انه اشار الى صدره فقال ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها
حملة وصدق فقلوب الابرار قبور الاسرار وقال النبي عليه السلام
كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرونها وفي اتريدان يكذب الله ورسوله
وعنه عليه السلام انه قال من وضع الحكمة في غير اهلها جهل
ومن منعها من اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط لكل ذي
حق حقه وفي لفظ آخر كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء موضع
الداء فلا ينبغي للعالم ان يفشي كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان
من يفهمه من الناس وكان اهلا لذلك العلم والذي ينبغي للعالم ان لا
ينشر للمتعلم رخص الفتاوى والمسائل الا اذا كان اهلا لذلك لان
الرخص انما هي للمضطرين والمتعلم اذا لم يكن امينا فانه يستعمل الرخص
مختارا لا مضطرا وقد قال بعض العلماء لبنيه اياكم والمرخصين
لئلا تفارق فواديكم وانتم لا تشعرون وسئل بعض العلماء عن شيء
فلم يجب فقال السائل اما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك
اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقال بعض العلماء
في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قال فيه تنبيه على ان حفظ
العلم ممن يفسده ويضره اولى وقال بعض العلماء من لا يعقل ولا يعمل
وقال بعض العلماء كل علم كثر على السمع فلم يطاوعه الفهم ازداد عمايه
القلب وانما ينفع السمع في الاذان اذا قوي فهم القلوب في الابدان
وبالله التوفيق * (الوصيفة السادسة) * ينبغي للعالم ان لا يعنف

متعلما ولا يحقر ناشئا ولا يستصغر مبتديا فان ذلك ادعا اليه
واعطف المسترشدين اليه واحث على رغبتهم فيما لديه وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال علموا ولا تعنفوا فان المعلم
خير من المعنف ولكن اذا ظهر من المتعلم اخلاق السوء ينبغى له ان
يزجره عن ذلك بطريق التعريض دون التصريح ما امكن له ذلك
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ لان التصريح بذلك والتوبيخ له يورث
الجرأة على المخالفة ويهيج الحرص على الاصرار ويهتك حجاب الهيبة
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منع الناس من فت البعر
لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبغى للعالم اذا لم يكن متكفلا
بجملة العلوم الا يقبح فى نفس المتعلم ما لم يحط به من العلوم كالعالم
باللغة مثلا لا يقبح علم الفقه والعالم بالفقه لا يقبح علم الحديث والتفسير
ويقول ان ذلك نقل محض وسماع وهو من شان العجائز ولا نظر للعقل
فيه وكذا العالم بالكلام لا يقبح علم الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام
فى حيض النسوان فاين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن فهذه اخلاق
مذمومة للعلماء الذين تعرضوا للتعليم فينبغى ان يجتنبوها بل العالم
المتكفل بعلم واحد ينبغى له ان يوسع على المتعلم طريق التعليم فى غيره ان
هو وان كان متكفلا بعلوم مختلفة فينبغى ان يراعى التدريج فى ترقى
المتعلم من رتبة الى رتبة وبالله التوفيق * (الوضيفة السابعة) * ان
لا يبخل العالم بتعليم ما يحسن ولا يمتنع من افادة ما يعلم فان البخل به لوم
وظلم والمنع منه حسد واثم فكيف يساغ له البخل بما منحه جودا من
غير بخل واوتيه عفوا من غير بذل ام كيف يجوز له الشح بما ان بذله
زاد وان كتمه تناقص ووهى وينشد *

ابا بكر دعوتك ان اطعت * الى ما فيه حظك ان عقلت

الى علم تكون به اماما ... مطاعا ان امرت وان نهيت

ويجلو ما بعينك من غشاها ... ويهديك السبيل اذا ضللت

ينالك نفعه ما دمت حيا ... ويبقى ذخره لك ان ذهبت

وتحمل منه في دنياك تاجا ... ويكسوك الجمال اذا عريت

هو العضب المهند ليس ينبو ... تصيب به مقاتل من ضربت

وكنز لا تخاف عليه لصا ... خفيف الحمل يوجد حيث كنت

يزيد بكثرة الانفاق منه ... وينقص ان به كفا شددت

فكيف يبخل بما هذه صفته ولو سن ذلك من تقدمه لما وصل منه عنده بغيته ولانقرض بانقراض الاولين ولصار على مرور الايام من الجاهلين وقال بعض الحكماء اذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فاحرى ان يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل وقال بعض الحكماء كما ان الاستفادة ليست نافلة للمتعلم كذلك الافادة فريضة على المعلم وله بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي عليه السلام التعليم صدقة فقال تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده ورأى يسدده وعنه عليه السلام من طريق ابن مسعود رضي الله عنه انه قال تعلموا وعلموا فان اجر العالم والمتعلم سواء قيل وما اجرهما قال مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة والنفع الثاني زيادة العلم واتقان الحفظ فقد قال الخليل بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك وقال بعض العلماء ينبغي للعالم ان لا يبخل ببذل العلم لطالبه في اول مرة بل يرده ثلاث مرات ويعده ولا يوئسه فان وجده معاودا طالبا ومترددا راغبا اجاب مسئلته واعطاه بغيته وان وجده تاركا للمعاودة فليس هو من اهل الفائدة وقد

رفع عن ابى عبد الله محمد بن بركة رحمه الله انه كان يتردد الى ابى مالك طالبا للتعلم منه وهو يدافعه دفعات فلما تصور عنده رغبته وتحقق ارادته اقبل اليه فعلمه واكرمه فينبغى للعالم اذا رضى من جاءه للتعلم ان يعلمه ولا يحرمه وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استودعوا العلم الاحداث اذا رضيتموهم وعنه عليه السلام انه قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وان راه الجهل راكبا وعن التعلم ناكبا اعرض عنه اهمالا ولم يجعل له بالا بل يبعده عنه ويؤيسه منه وبالله التوفيق * (الوضيفة الثامنة) * ينبغى للعالم اذا ساله السائل متعلما ان يجيبه وان عاوده مستفهما ان يفيده ولا يضجر لانه ربما لم يفهم عنه الجواب فى اول اجابته وان بان له انه يسئله متعنتا او عابثا او طالب دحض متاولا صمت عنه ولم يجبه وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه امسك عن اجابة المتعنت وهو حبر الامة وربانيها القائل من يسئلنى عما دون العرش اخبره وقد روى ان على بن ابى طالب ساله ابن الكوا وهو على المنبر فقال اجلس يا ابن الكوا فانك متعنت ولست بمتفقه فقال والله ما انا بمتعنت وانى لمتفقه وانك لامام وانا الرعية وان لله الحجة عليك فقال ويلك يا ابن الكوا اسئل تفهما فبين اضلاعى علم جم فهذا على قد توقف عن الجواب لما ظن انه متعنت ثم اجابه اذ اقسم له انه متفقه والتعنت ماخوذ من العنت وهو ادخال المشقة على الانسان لان المتعنت يريد بسؤاله

الاذى والامتهان وانشد الماوردى *

يحاول اعناتى بما قال اوربحا * ليضحك منى اوليضحك صاحبه

وكان بعض العلماء اذا سئل عن امر يكره فيه الجواب تمثل بهذا البيت

ان الصمت خير من امور كثيرة * اذا لم يكن للناطقين كلام

وقيل كان الشيخ ابو محمد من اصحابنا اذا سئل عن غير مذهبه

تمثل بهذا البيت *

تحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقيل جاء اعرابى الى المامون ليستميحه فاراد المامون امتحانه

فقال يا اعرابى كم عليك من صلاة فقال ان الصلاة اربع فاربع ثم

ثلاث بعدهن اربع ثم صلاة الفجر لا تضيع ثم قال المامون يا امير

المؤمنين كم فيك من كاف قال فاخبرنى يا اعرابى فقال فيك الكاهل

والكتد والكتف والكشح والكبد والكلية والكرسوع والكف

والكعب فوصله واحسن جائزته فالكاهل مقدم الظهر مما يلى

العنق وهو الثلث الاعلى فيه ست فقرات والكتد ما بين الكشح

الى منصف الكاهل والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع وهو موضع

السيف من المقلد والكرسوع طرف الزند الذى يلى الخنصر

والكادة من الفخذ موضع الكى من جاعرتى الحمار والله اعلم

(الوظيفة التاسعة) ينبغى للعالم ان يكون اوسع الناس صدرا

واكثرهم صبرا واجملهم لقاء واحسنهم اخلاقا لان المتعلمين

منه يجدون خلائقه ويتخذون طريقه فيجب ان يكون لهم الى

اسنى الافعال منهاجا ومن غى الضلال سراجا فلا يمنع طالبا

ولا يؤيس راغبا ولا ينفر متعلما لما فى ذلك من قطع الرغبة

منه والزهد فيما لديه واستمرار ذلك مفض الى انقراض العلم

بانقراضه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الا انبئكم بالفقيه من الفقيه قالوا بلى يا رسول الله قال من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن
رغبة عنه الى ما سواه الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ولا علم
ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر وينبغي له ان يختبر المتعلم
ليعرف موضعه من المعرفة وعن محمد بن القاسم قال اتيت عبد الله
ابن داود الحراني لاسمع منه فخرج الي فقلت ارايت ان تحدثني قال
اقرات القرآن قلت نعم قال اقرا علي واتل عليهم نبأ نوح فقراته فقال
اصبت ثم قال نظرت في الفرائض فقلت نظرت في شيء من الكبر
وبعض الصلب قال ايما اقرب اليك ابن اخيك ام ابن عمك قلت ابن
اخي قال ولم قلت لان ذلك من ولد جدي وذا من ولد ابي قال
اصبت ثم قال لي نظرت في شيء من العربية قلت نعم قال ما معنى قول
عمر رضي الله عنه حين ضرب ابو لؤلؤة يا العباد الله يا المسلمين ولم
يقل يا للعباد ويا للمسلمين فقلت استغاث مما نزل به قال اصبت لو
كنت اليوم محدثا لحدثتك فقد اختبره ليعلم موضعه ويقف على
ما معه فيعطيه من التعليم حقه ولا يبخسه منه حظه وينبغي
للعالم اذا جاءه كتاب فيه سؤال عن نازلة ان يشاور في جوابها
من بحضرته ممن يصلح لذلك ويقرا ما فيها عليهم فان ذلك اقتدا
بالسلف قال الله تعالى وشاورهم في الامر الا ان كان في الكتاب
ما ينبغي ان يكتم عن غيره او في الجواب ما ينبغي ان ينفرد به دون من
بحضرته فليكتم عنهم قراءته وليجب عن السؤال الذي فيه دون
مشاورة جلسائه كما قيل عن بعض اصحاب الشافعي انه قال كان
الشافعي اذا جاءته الفتوى عرضها على اصحابه وسال كل واحد منهم

عما عنده قال الربيع فجاءته رقعة في بعض الايام فقراها وتبسم وكتب
الجواب من غير اعلامنا بذلك كالعادة قال وكان فيها سل المفتي المكي
هل في تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح فاجاب عن ذلك فقال
اقول معاذ الله ان يذهب التقا تلاصق اكباد بهن جراح وقيل ان
امراة جاءت الى الحسن البصري فقالت شعرا *

يا حسن البصرة يا ذا النهى | انى الى وجهك مشتاق
قل لي وانت المرء ذو حكمة | في كل ما تحكيه صداق
هل جائز تقبيل رعبوبة | وردية الخدين براق

فاجابها الحسن

اقول والرحمن لي شاهد | ما انا بالفحشاء نطاق
ان كنت للتقبيل ذا اربة | مشتهى للهو تواق
حرمت في الجنة حورية | وردية الخدين رقراق
فاستشعر التقوى وكن خاشعا | فان تقوى الله ترياق

وسالته امراة اخرى فقالت يا ابا سعيد ايحل للرجل ان يتزوج
على امراته وهي حسنا جميلة فقال نعم فقالت بعيشك يا ابا
سعيد لا تفتي الرجال بهذا والله اعلم فهذه وامثالها مما ينبغي ان
ينفرد المفتي بقراءة كتاب سؤالها وينفرد بالجواب عنها وينبغي
للمفتي ان يتامل المسئلة تاملا شافيا كلمة بعد كلمة ويكون توقفه
في المسئلة السهلة كتوقفه في الصعبة ليكون ذلك عادة له وينبغي
ان يختصر الجواب ولا يطيل عن مسئلة وقد حكي ان بعض امراء البصرة سال
الحسن وابن سيرين فاختصر الحسن واطال ابن سيرين فلما خرجا
قال الامير اما الحسن ففقيه واما ابن سيرين فقاصر والله اعلم
(الوصيفة العاشرة) ينبغي للعالم اذا سئل ان لا يعجل بالجواب
وان كان له حافظا حتى يتفكر فيه ويعرفه معرفة صحيحة فيجيب

بعلم ويقين فان ذلك من آداب العلماء وقد روى في الحديث المؤمن
وقاف والمنافق وثاب وينبغي اذا سئل عما يعلم ان يجيب ولا يقول
لا ادري فانه مكروه وكذب وقد قيل ان الريا سبعة وسبعون بابا
ادناه حين يقول فيما يدري لا ادري وعن ابن عباس ان عمر رضي الله
عنهما سال اصحابه عن قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب الآية فقالوا الله اعلم فغضب فقال قولوا نعلم او لا نعلم وعن
عمر ايضا انه سال رجلا عن شيء فقال الله اعلم فقال عمر قد خزينا ان
كنا لا نعلم ان الله يعلم اذا سئل احدكم عن شيء فان كان يعلمه فليقله
وان كان لا يعلمه قال لا علم لي بذلك لانه لما لم يكن الى الاحاطة بالعلم
سبيل فلا عار ان يجهل بعضه وان لم يكن في جهل بعضه عار لم
يقبح به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم وقد روى عن النبي عليه
السلام انه قال من سئل وافتى بغير علم فقد ضل واضل وقال
بعض الحكماء من العلم ان لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم فحسبك
خجلا من عقلك ان تنطق بما لا تفهم ولقد احسن الشاعر حيث يقول
اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده * اطال فاملى ام تناهى فاقصر
ويخبرني عن غائب المرء فعله * كذا الفعل عما غيب المرء مخبر
قال الله سبحانه قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقد روى ان رجلا سال النبي عليه السلام
اي البقاع خير واي البقاع شر فقال لا ادري حتى اسال جبريل
وعن علي بن ابي طالب انه قال خمس خذوهن عني فلو ركبتم فيهن
الفلك ما وجدتموهن الا عندي الا لا يرجون احد الا ربه ولا
يخافن الا ذنبه ولا يستنكف ان يتعلم ما ليس عنده واذا سئل

عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ومنزلة الصبر من الايمان كمنزلة الراس من الجسد وعن على ايض قال ما ابردها على الكبد ثلاث مرات قالوا وما ذلك يا امير المؤمنين قال اذا سئل الرجل عما لا يعلم فيقول الله اعلم اى ارض تسعنى واى سماء تظلنى اذا قلت على الله ورسوله ما لا اعلم وفى لفظ آخر قال فان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم قليل وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ايا نف احدكم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله اعلم وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه اذا ترك العالم قول لا ادرى اصيبت مقالته وقال بعض العلماء هلك من ترك لا ادرى وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم فدرا ومن انتحل ما لا يدرى اهمل فهوى وقال ابن دريد

ومن كان يهوى ان يرى متصدرا * ويكره لا ادرى اصيبت مقالته

وحرام على الانسان ان يتكلم بما لا يعلم ولاسيما فى الدين فانه لا يخلو ان يحل حراما او يحرم حلالا وقد قالت العلماء تحريم الحلال كتحليل الحرام وحسب المرء اذا سئل عما لا يعلم ان يجيب بما اجابت به ملائكة الله حين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وينشد لعبد الله بن مصعب ولقد احسن *

ترى المرء يعجبه ان يقولا	واسلم للمرء ان لا يقولا
فامسك عليك فضول الكلام	فان لكل كلام فضولا
ولا تصحبن اخا بدعة	ولا تسمعن له الدهر قيلا
فان مقالتهم كالضلال	يوشك افياؤها ان يزولا
وقد احكم الله آياته	وكان الرسول عليها دليلا
فاوضح للمسلمين السبيل	فلا تتبعن سواها سبيلا

فلا يجوز للمسئول ان يجيب الا بما يعلم صحته اما حفظا او رايا
ان كان ممن يجوز له اجتهاد الراى ولا ينبغى للعالم وان صار
فى طبقة العلماء الا فاضل ان يستنكف من تعلم ماليس عنده
ليسلم من التكلف له وعن عيسى عليه السلام قال يا صاحب
العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت وعن عبد الله
ابن عباس رضى الله عنه انه قال لو كان احد مكتفيا من العلم
لاكتفا منه موسى عليه السلام حيث قال هل اتبعك على ان
تعلمنى مما علمت رشدا وقيل للخليل بن احمد بم ادركت هذا العلم
قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته وعن ابن مسعود
رضى الله عنه انه قال اثنان منهومان لا يشبعان ابدا طالب علم وطالب
دنيا اما طالب العلم فانه يزداد قربا من الرحمن ثم قرا انما يخشى الله
من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه يزداد طغيانا ثم قرا كلا ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى ولا ينبغى للعالم ان يجهل من نفسه
مبلغ علمها ولا ان يتجاوز بها قدر حقها لان من جهل حال نفسه
كان لغيره اجهل وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول
الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وقد قسم
الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام
متوالية لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة اقسام رجل
يدرى ويدرى انه يدرى فذلك عالم فاسئلوه ورجل يدرى ولا
يدرى انه يدرى فذلك نائم فايقظوه (فذكروه) ورجل لا يدرى ويدرى
انه لا يدرى فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى
انه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وانشد الماوردى لابى
القاسم الامدى واظن ان هذا البيت اول الابيات

تمام العمى طول السكوت وانما * شفاء العمى يوما سؤالك من يدرى
اذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى * يسائل من يدرى فكيف اذا تدرى
جهلت ولم تعلم بانك جاهل * فمن لى بان تدرى بانك لا تدرى
اذا جئت فى كل الامور بغمة * فكن هكذا ارضا يطاك الذى يدرى
ومن اعجب الاشياء انك لا تدرى * وانك لا تدرى بانك لا تدرى

فصل ومما يجب على العالم ان يلتزم التواضع ويجتنب العجب والتكبر لان التواضع عطوف والعجب والتكبر منفر صروف وهو بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح ولان العجب نقص يا كل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقد ورد الخبر عن النبى عليه السلام وعنه عليه السلام انه قال قليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله وكفى به جهلا اذا اعجب برايه وعلة اعجاب العلماء بانفسهم انصراف نظرهم الى من دونهم من الجهال وانصراف نظرهم عن من فوقهم من العلماء وقد قيل فى منثور الحكم اذا علمت فلا تذكر كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وينشد لابن العميد
من شاء عيشا جيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ادبا * ولينظرن الى من تحته مالا
وقل من تجد بالعلم معجبا الا من كان فيه مقلا مقصرا لانه يجهل قدره ويحسب انه قد نال بالدخول فيه اكثره واما من كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن ادراك غايته ما يصده عن العجب به وقد قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فالعلم اكثر من ان يحيط به البشر وليس من عالم الا وكان اعلم منه قال الله سبحانه نرفع درجات من نشاء

وفوق كل ذى علم عليم وينشـــد *
وراء كل ذى علم عليم وينتهى * الى الله كل العلم ناهيك من اعطا
وقال ابن محبوب رحمه الله لايزال العالم عالما مادام يتعلم فاذا
رأى انه قد استغنى فهو جاهل وعن الشعبى انه قال العلم ثلاثة
اشبار من نال منه شبرا شمخ بانفه وظن انه عالم ومن نال الشبر
الثانى صغرت اليه نفسه وعلم انه جاهل واما الشبر الثالث
فهيهات لاينا له احد ابدا فصـــل اعلم انه قد يتعلق بالدين
علوم كل علم منها له فضيلة ينبغى للمتعلم التطرف من كل علم منها
مثل علم التفسير والحديث والقراءات وتواريخ الاخبار وعلم
الغريب واشباه ذلك وقد يقال علوم الشريعة عشرة انواع
مزدوجات لاتصح معرفة احدها الا بالآخر والا كان واهيا
ضعيفا وهى الكلام واللغة والنحو والقرآن والفقه والسنة
والفرائض والضرب وطبائع الانسان وطبائع الاغذية من علم
الطب فمن لم يعلم ذلك ويجمع المقصود منه والمطلوب كل علمه
وقل فهمه واختل حكمه وقد بين الشافعى فضيلة بعضها فقال
من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن كتب
الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب
رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ولعمرى ان اس الفضائل
كلها صيانة النفس عن الرذائل التى تصدر منها لان من أهمل صيانة
نفسه ثقة بما منحه من العلم سلبه الجهال فضيلة علمه ووسموه
بقبيح تبديله لما فى طباعهم من نقمة الحسد ونزاع المنافسة فتنصرف
عيونهم عن المحاسن الى المساوى ولاسيما من كان بالعلم موسوما
واليه منسوبا فانه زلته لاتقال وهفوته لاتعذر اما لقبح اثرها

واغترار كثير من الناس بها لانه قيل زلة العالم كالسفينة تغرق
فهذا وجه واما الان الجهال بذمه اغرا وعلى تنقصه احرى ليسلبوه
فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصص عنادا لما جهلوه ومقتا
لما باينوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولوما كما ان العالم يرى الجهل
تخلفا وذما وينشد عن الشافعي

*

فمنزلة الفقيه من السفيه | كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا | وهذا ازهد منه فيه
اذا غلب الشقاء على سفيه | تنطع في مخالفة الفقيه

فعلى العالم ان يلتزم الادب والوقار والحلم والسكينة والعلم ولا يجالس
الجهال ولا يخض معهم فيما يخوضون فيه من الاقوال والافعال
وقال بعض الحكماء من صاحب العلماء وقر ومن صاحب الجهال حقر
على ان العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق
النية فيه لم تكن له همة فيما يجد بدا منه وقد قال بعض الحكماء
من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلا بالكتب لم تفته سلوة
وينشد

* * *

خير ما ورث الرجال بنيهم | ادب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والاوراق | في يوم شدة او رخاء
هي تفنى والدين والادب الصالح | لا يفنيان حتى اللقاء
اذا تادبت يا بني صغيرا | كنت يوما تعد في الكبراء

غيره

قل لمن فاخر جهلا بالنسب | انما الناس لأم واب
هل تراهم خلقوا من فضة | او حديدا او نحاس او ذهب
او ترى فضلهم في خلقة | غير لحم فوق عظم وعصب

انما الفخر بعقل راجح * وباخلاق حسان وادب

فهذه جملة كافية في اداب المتعلم والعالم وما يليق بهما من الاخلاق الرضية والافعال المرضية وبالله التوفيق

(الباب الثامن في آفات العلم والعلماء السوء)

اعلم ان هذا الباب ينحصر في جملتين احدهما في آفات العلم والثانية في الاخبار والآثار الواردة في العلماء السوء الجملة الاولى في آفات العلم وهي كثيرة ونحن نذكر ها هنا مما لا بد منه فاول آفات العلم انصراف القلب عن التعلم حتى لا تكون للانسان همة في الطلب وذلك يكون باسباب احدها علو منزلة واستصلاح رياسة دخل فيها فهذا الى العلم احوج كما قدمنا الثاني ان يمنعه عن التعلم اصلاح ماله ومرمة حاله فهذا اضعف عذرا لان المال ظل زايل وعارية مسترجعة تبعد عن الرحمن والعلم افضل من المال اذ به تنال النجاة عند الله تعالى وقد تقدم فضل العلم على المال الثالث يمنعه عن التعلم كبر السن فيتركه استحياء من تقصيره في الصغر وتعلمه في الكبر فرضي بالجهل عن العلم وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل لان العلم لما كان فضيلة فرغبة ذوي الاسنان فيه اولى ولان يكون شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا جاهلا الرابع ان يمتنع عن التعلم لتعذر المادة وهذا اقل ما يكون الا عند ذوي شره وشهوة مستعبدة فينبغي ان يصرف الى التعلم حظا من زمانه لانه لا بد للمكتسب من اوقات عطلة او استراحة ومن صرف كل عمره الى الكسب فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص وعن النبي عليه السلام انه قال لكل شئ فترة فمن كانت فترته الى العلم فقد نجا الخامس ربما منعه من التعلم ما يخشى من صعوبته وبعد غايته

ويخاف من قلة ذهنه وهذا الظن من اعتذار ذوي النقص وخيبة اولي العجز لان الخشية قبل الابتلاء عجز وقد قال القائل *

لا تكونن لامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة فليس وان تفاضلت الاذهان وتفاوتت الفطن ينبغي لمن قبل من العلم حظه ان يياس من نيل القليل وادراك اليسير الذي يخرجه من حد الجهالة الى ارتقاء مراتب التخصيص فالماء مع لينه يؤثر في صم الصخور فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغب شهي وطالب خلي لاسيما وطالب العلم معان السادس ربما منع ذوي السفاهة من طلب العلم ان يصور في نفسه الحرمان من اجله فان راى محبرة تطير منها او وجد كتابا اعرض عنه وان راى متحليا بالعلم هرب منه كانه لم يرعالما مقبلا وجاهلا مدبرا وهذا لا يرجى له صلاح ولا يؤمل منه فلاح لان من اعتقد ان العلم شين وان تركه زين وان للجهل اقبالا وان للعلم ادبارا كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا وكان هذا هو الخامس الذي قال فيه علي بن ابي طالب اغد عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك وقد روى هذا عن النبي عليه السلام مسندا فنعوذ بالله من خدع الجهل المضلة وبوار الحق المظلة ونسأله التوفيق بعقل رادع وعلم نافع فاذا سلم العبد من آفات هذه الموانع وطلب العلم بالشهوة الصادقة والجد القاطع استقبلته افة اخرى وذلك بان تكون في النفس اسباب فاسدة فيطلب نوعا من العلوم لغرض يدعوه اليه ذلك كرجل يؤثر القضاء والحكم بين الناس فيقصد من علم الفقه ادب القاضي وما يتعلق عليه من الدعاوى والبينات

او يجب الارتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات لئلا يصير موسوما بجهل ذلك فاذا ادرك ذلك ظن انه قد حاز من العلم جوهره ونال منه مشهوره ولم يرغير ذلك الا صعبا طلبه وغويصا استخراجه فيتنبوا عنه لقصور همته على ما ادركه انفرا عما تركه ولو نصح نفسه لعلم ان ما تركه اهم مما ادركه فاذا ليس يعرى من لوم وان كان تارك الكل الوم ومنها ان يحب الاشتهار بالعلم اما للتكسب به او ليتجمل به فيقصد من العلم ما يشتهر به من مسائل الجدال وطريق النظر ويتعاطى علم ما اختلف فيه دون ما اتفق عليه ليناظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق وبالجملة يقصد بعض العلوم التى لا ينتفع فى الآخرة من علوم اللسان او علوم العقل مع ترك العلوم الدينية او علوم الدين مع اعتقاد البدع فيه ومنها التقليد للآباء ومنها قطاع طريقة الدين على المسلمين من اهل الالحاد وفرق الموحدين ومنها تلبيس ابليس عند لوائح الحق المبين فاذا سلم من هذه الآفات كلها وحاز من العلوم افضلها ومن الاعمال اصوبها واكملها فيحترز من الجدال والمراء كما يحترز من السم القاتل فانه الداء العضال وهو من آفات العلماء السوء الذين بالغوا فى التعصب للحق بزعمهم ونظروا الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار حتى توفرت دواعيهم على طلب نصرة آبائهم ووقع الياس منهم قال الله تعالى وكان الانسان اكثر شئ جدلا وفى الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدال ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وعنه عليه السلام قال لا يجادل الا منافق او مرتاب وعن الاوزاعى انه قال اذا اراد الله بقوم شرا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل وفى الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم

والجدال هو الذى يقصد لدفع مايرد عليه من فاسد وصحيح
واما اذا قصد بالجدال مناظرة مبتدع ليبقض بدعته ويطهر
قلوب العوام من تشويش مئلا لته فذلك عادة السلف الصالح من
المسلمين وذلك فرض كفاية على علماء الدين ينفون عنه تاويل الجاهلين
وتحريف الغالين وانتحال المبطلين لقوله عليه السلام اذا ظهرت البدع
فى امتى فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين واعتقاد العالم فى ذلك الذب عن الدين بالبلاغة فى
المقال والمناصحة فى الفعال والاعراض عن الفضال ويقصد بذلك
الدعاء الى الحق المبين بالحكمة والموعظة الحسنة فالمجادلة لغير ما ذكرنا
ديدان السفهاء الجاهلين واما المناظرة فهى داب الفقهاء المحققين
ولكن لها شروط من حصلها بالكمال فلا حرج عليه فى المناظرة والا فهى
مجادلة احدها ان يكون المناظر مجتهدا يفتى برايه لا بمذهب احد ممن
تقدمه حتى اذا ظهر له الحق ترك رايه وافتى بما ظهر له كما كان تفعله
الصحابة والائمة واما من ليست له رتبة الاجتهاد وهو حكم اهل عصرنا
هذا وهو انما يفتى فيه ناقلا عن مذهب صاحبه ولو ظهر له ضعف
مذهبه لم يجز له ان يتركه فاى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم
ولو كانت مناظرته فى المسائل التى فيها قولان لصاحبه لكان اشبه
فربما يستفيد بالمناظرة الترجيح لاحد القولين الثانى ان تكون
مناظرته فى المسائل الواقعة او ما يقرب وقوعها غالبا كالفرائض واشباههما
حتى لا يضيع اوقاته فى المنازعات ويتعرض للمخاصمات والآفات
الثالث ان تكون المناظرة فى الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين
اظهر الاكابر فان الخلوة اجمع للفهم وادراك الحق وحضور الجمع يحرك
دواعى الريا ويهيج الحرص على نصرة كل واحد منهما لنفسه محقا كان

او مبطلا الرابع ان يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين
ان تظهر الضالة على يديه او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا
لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له الحق فهكذا كانت مشاورة
الصحابة رضى الله عنهم حتى ردت امراة على عمر رضى الله عنه ونبهته
على الحق وهو فى خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امراة واخطأ
رجل وفى لفظ كل يخاصم عمر حتى المراة وذلك حين تكلم فى تنقص
صدقات النساء وسال رجل عليا فاجابه فقال ليس كذلك يا
امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبتَ واخطاتُ وفوق
كل ذى علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى
فقال ابو موسى لا تسئلونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم وذلك
لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى
الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله
لم يفهم فاعاد واعاد الجواب فقال ابن مسعود رضى الله عنه انا
اقول ان قتل واصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابو موسى ما قال
فهكذا ان يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل
فقيه استبعد ذلك وقال لا يحتاج ان يقال اصاب الحق فان
ذلك معلوم لكل احد الخامس ان لا يمنع معينه على استخراج الحق
بالنظر من الانتقال من دليل الى دليل فهكذا كانت مناظرة السلف
والصحابة رضى الله عنهم السادس ان يناظر من يرجو الاستفادة منه
ممن هو مستقل بالعلم فبهذه الشروط يتبين من يناظر لله سبحانه
ممن يناظر لغرض يدعوه الى ذلك فى نفسه السابع ان يسلم من
آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق من الكبر
والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه

والحقد على المناظرة والغيبة والطعن عليه والكذب والبهتان والتجسس وتتبع عورات الناس والفرح بمسائتهم والاستكبار عن الحق اذا ظهر والريا وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم والمكر والخديعة لدفع قول مناظرة واشباه ذلك من رذائل الاخلاق لان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام للخصوم واظهار الشرف والفضل عند الناس واستمالة وجوههم هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الحسد والكبر وسائر ما قدمنا ذكره كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف والسرقة وسائرها وكما ان الذي خير بين شرب الخمر وسائر الفواحش فاستصغر الخمر واقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في الجدال والمناظرة لاجل طلب الجاه والمباهات به دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة فلهذا قلنا ان الفقهاء الاولين وعلماء السوء المتمردين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ومزقوا الامة قطعا قطعا دعاهم طلب الرياسة وحب الجاه والمنافسة الى المجادلات والمناظرات والنظر الى مخالفيهم بعين الازدراء والاستحقار فانبعثت دواعي المخالفين بالمقابلة والمكافات وسمى كل فريق منهم ما صنفوا من المجادلات ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين فكان ذلك على التحقيق سببا لهلاك الخلق ورسوخ البدع في نفوس الامة الا المحسنين فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ونحن نعوذ بالله من فتنة العمل

ونعوذ بالله من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ به من العجب بما نحسن ونعوذ به من شر السلاطة والهذر كما نعوذ به من شر العي والحصر وبالله التوفيق * (الجملة الثانية) * في الاخبار والآثار الواردة في العلماء السوء اعلم انه قد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة قال الله سبحانه يايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وقال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فلما لم يفعلوا عيرهم الله فقال فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الآية وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الى قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الآية في امثالها كثير واما الاحاديث فكثيرة كقوله عليه السلام من طريق جابر بن زيد عن انس بن مالك عنه عليه السلام انه قال ويل لمن لا يعلم ولم يعمل مرة وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين ومن طريقه ايض عنه عليه السلام انه قال من تعلم العلم ليباهي به العلماء او ليماري به السفهاء لقي الله وهو خائب من الحسنات وعنه عليه السلام انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه ويروى عنه عليه السلام انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وعنه عليه السلام انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وعنه عليه السلام انه قال من تعلم العلم للرفعة والعظمة اوقفه الله تعالى موقف الذل والصغار يوم القيامة ويجعله الله تعالى عليه حسرة

حين يكون العلم لاهله زينا وعنه عليه السلام انه قال يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال لا تقوم الساعة حتى تكون امناء خونة وقراء فسقة ليست لهم رعة تغشاهم فتنة مظلمة يتهوكون فيها كما تتهوك اليهود في الظلمة وعنه عليه السلام انه قال الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا فعلوا ذلك فاتهموهم على دينكم وعنه عليه السلام انه قال لن تزال هذه الامة تحت يد الله تعالى وفي كنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وما لم يزك صلحاؤها فجارها وما لم يهن شرارها خيارها فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده وسلط عليهم جبابرة فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعبا وعنه عليه السلام انه قال اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وبلغنا انه قيل يا رسول الله اي الشر شر قال اللهم عفوا شر شرار العلماء وعنه عليه السلام انه قال من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وعنه عليه السلام انه قال لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال قيل وما ذاك يا رسول الله قال ائمة مضلون (ضالون) وعن حذيفة بن اليمان قال يا رسول الله هذا الخير الذي اتانا الله بك هل بعده من شر قال نعم الفتنة قال وهل بعدها من خير قال نعم اغضاء على اقذاء وهدنة على دخن قال وهل بعد هذا الخير من شر قال نعم ائمة مضلون يقعدون على ابواب جهنم ينادون اليها كل من اجابهم قذفوه فيها قال حلهم لنا يا رسول الله فاني اخاف ان ادركهم قال هم من جلدتنا ويتكلمون بكلامنا وعنه عليه السلام انه قال اخوف ما اخاف عليكم زلة عالم ومنافق يجادل

بالقرآن وعن عيسى عليه السلام انه قيل له اى الناس اشد فتنة
قال زلة العالم اذا زل زل بزلته عالم كثير وعنه عليه السلام ايضا انه
قال يا علماء السوء تصلون وتصومون وتتصدقون ولا تفعلون
ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول
والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب
وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل
في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من
الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم
تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم
بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم وصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح
الآخرة واى الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم الى متى تصفون الطريق
للمدلجين وانتم مقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون
نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا فلا
كعلماء يعملون ولا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان
تقلعكم من اصولكم فتقلبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم
تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يد فعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى
الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء
اعمالكم هذا ما روى عن عيسى عليه السلام في كتاب المحاسبي قال
وبلغنا ان الله سبحانه اوحى الى داود عليه السلام لا تستشر في
امرك عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك بسكره عن طريق محبتي

اولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين هذه وامثالها من الاخبار تدل على عظم خطر العلم فان العالم متعرض اما لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة واعظم من هذه الاخبار ماروى عن معاذ بن جبل رحمه الله موقوفا ومرفوعا ان النبى عليه السلام قال ان من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطاء وفى الصمت سلامة وعلم فمن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه او تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك بغير عجب او تمشى فى غير ارب وفى خبر آخر ان العبد لينتشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة والله اعلم واما الآثار المروية فى ذلك عن السلف فكثيرة منها

ما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اخوف ما اخاف على هذه
الامة المنافق العالم قالوا وكيف يكون منافقا عالما قال عالم اللسان
جاهل القلب وفي اخبار داود عليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم
اذا اثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسئل
عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اولئك قطاع
طريق عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد
الى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قيل
عن الحسن انه قال عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب
الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال بعض العلماء انما يذهب بهاء العلم
والحكمة اذا طلبت الدنيا بهما وعن عمر رضى الله عنه انه قال اذا رايتم العالم
محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وعن مالك
ابن دينار انه قال قرات فى بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان ادنى
ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه
قال وكتب رجل الى اخ له انك اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة
الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم وقال الحسن
لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء
وقيل لابراهيم بن عيينة اى الناس اطول ندامة فقال اما فى عاجل
الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط
وينشد * * *

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه وهو من ذين اعجب

وقال بعض العلماء يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل
وعن النبى عليه السلام انه قال ان العالم يعذب عذابا

يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وعن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور كما يدور الحمار في الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقال بعض مشايخنا من اهل المشرق رحمهم الله في قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ما اظن هؤلاء الا علماء قومنا وعنه عليه السلام انه قال اهلك امتي رجلان عالم فاجر وعابد جاهل وقال بعض السلف انما جاء فساد الدين والدنيا من قبل اربعة عالم فاجر وعابد جاهل وطالب الدنيا بالدين وسلطان جائر وينشد *

وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

وعن ابي الدرداء انه قال ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة واحدة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وعن الشعبي انه قال يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم فيقولون انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وينشد *

وعامل بالفجور يامر بالبر * كهاد يخوض في الظلم
اوكطبيب قد شفه سقم * وهو يداوي من ذلك السقم
يا واعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر اولا فلا تلم

وعن الاوزاعي انه قال شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وينشد * * *

يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد
و يروى ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خرسان
كيسا فيها خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق السبر
فقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك
نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق
له و روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس
ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك الذي يصلي عليه طير الهواء
وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبين يقدم على الله
تعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل
اتاه الله عز وجل علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا
واشترى به ثمنا ياتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي
عليه مناد على رءوس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما
في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا
فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روى
ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى
نجي الله حدثني موسى نجي الله حتى اثرا وكثر ماله ففقده موسى
صلوات الله عليه وعلى نبينا فجعل يسئل عنه فلا يحس له اثرا
حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود
وفي بعض الروايات جاءه بارنب في عنقها سلسلة فقال له موسى
عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى
يا رب اسئلك ان ترده الى حاله حتى اسئله فيما اصابه هذا فاوحى

الله عز وجل اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه
ما اجبتك فيه ولكني اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب
الدنيا بالدين وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من طلب علما مما يبتغى به وجه الله سبحانه ليصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد ريح عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله تعالى
علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع
والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
الى قوله واشتروا به ثمنا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لهم اجرهم عند ربهم الآية
وقال بعض السلف العلماء يحشرون يوم القيامة في زمرة الانبياء
والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه
قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه صلى الله عليه وسلم
قال اوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون
الناس جلود الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلا
من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون
لاتيحن عليهم فتنة تذر الحليم حيرانا وكان يحيى بن معاذ الرازي
فيما بلغنا يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية
وبيوتكم كسروية وابوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم
قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية
فاين المحمدية وينشد * * *
وراعي الشاة يحمي الذيب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب
وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف

الله

الله قال ما اشك ان من تكون الدنيا اثر عنده من الآخرة انه
لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال لو ان اهل العلم اخذوا العلم بحقه لاحبهم
الله تعالى من فوق عرشه ولاحبتهم ملائكته واهل صفوته من
اهل الارض ولكنهم اخذوه بغير حقه وطلبوا به الدنيا فمقتهم
الله تعالى من فوق عرشه ومقتهم اهل السماء واهل الارض وهانوا
عليهم وعن عمر بن عبد العزيز انه قال ان الذي بطأ نا عن علم ما
جهلنا تركنا العمل بما علمنا ولو عملنا بما علمنا لورث الله تعالى
قلوبنا علماً لا يقوم به امثالنا وعن عيسى عليه السلام انه
قال كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على
دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل
به وانشدوا * * *

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد اموال المساكين
فصرت مجنونا به بعد ما * كنت دواء للمجانين

وعن صالح بن حسان البصري قال ادركت الشيوخ وهم يتعوذون
بالله من الفاجر العالم بالسنة وعن عيسى عليه السلام انه قال
من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات ومن
علم ولم يعمل فذلك الذي يضاعف له العذاب ضعفين ومن لم
يعلم ولم يعمل فذلك الذي يموت موتة جاهلية قال بعض علماء
السلف وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن
علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار لانهم تركوا بعد العلم وعصوا بعد المعرفة وجعل الله تعالى
اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا ان

قولهم عزير ابن الله على جهة الرحمة فى قول بعض العلماء وكذلك قولهم نحن ابناء الله كذلك ولم يقولوا ايضا ان الله ثالث ثلاثة فجعلهم اشر من النصارى لانهم انكروا بعد المعرفة قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى فى بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى سواء اوتى الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات لانه اوتى كتاب الله فاخذ الى الشهوات وانشدوا لابن المبارك

ذر التزين فى دنياك بالدين ... واعمل ليوم تجازى بالموازين

ليس اللباس لباس الصوف من عمل ... ولا الاخذ لك شعر كالمجانين

هذا اللباس مع الرهبان فى شعث ... فهل تراه نجاة للرهابين

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره ... فقد فتحت لك الحانوت بالدين

بين الاساطين حانوتا بلا غلق ... تبتاع بالدين اموال المساكين

فى سورة الكهف لو فكرت موعظة ... تنهاك عن خدع بين الاساطين

وفى الطواسين اخرى ان عملت بها ... تلك الرشاد بايات الطواسين

اما التى ذكرت فى الكهف ناهية ... عن الربا ثم اموال المساكين

وآية القصص الاخرى فزاجرة ... عن التكبر امثال الفراعين

وعن عيسى عليه السلام انه قال مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى شربت الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكمثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى ولا تظنن ان ترك المال فقط به تلحق علماء الآخرة بل طلب الجاه اشر من المال ولذلك قال بعض العلماء حدثنا باب من ابواب الدنيا ولذلك قيل

عن ابى سليمان الدارانى قال اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وعن الثورى انه قال فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد ولذلك قال بعضهم اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته فحدث قال وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته في ذلك فهو من ابناء الدنيا وهذا عندى اذا كان قصده بالتحدث جر الجاه ومنفعته والله اعلم فهذه الاخبار والآثار التى اوردناها تبين العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا عند الله واشد عذابا من الجاهل يوم القيامة ولهذا قال بعض السلف العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكرى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ما يختم له به والله نسئله التوفيق وحسن الخاتمة *

(الباب التاسع) في العلامات المميزة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة * ونعنى بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها وهم الذين وردت فيهم الاخبار والآثار المتقدمة ونعنى بعلماء الآخرة العلماء بالله سبحانه العاملين له فهم الفائزون المقربون يوم القيامة ولهم علامات منها ان لا يطلب بعلمه الدنيا فان اقل درجات العلم النافع ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها ويدرك عظم الآخرة ودوامها وبقاء نعيمها وجلالة ملكها وبعظم

ان الدنيا والآخرة متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت
من احدهما بعدت عن الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت
احداهما خفت الاخرى وانهما كقدحين احدهما مملوء والآخر
فارغ فبقدر ما تصب في احدهما كذلك تفرغ من الآخر فان من
لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم
انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل لان المشاهدة والتجربة
ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له وان من لا يعلم
عظم الآخرة ودوامها فهو مشرك مسلوب الايمان فكيف يكون
من العلماء من لا ايمان له وان من يعلم مضادة الدنيا والآخرة وان
الجمع بينهما محال وطمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم
بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن
علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان بعيد
من الرحمن قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد
من احزاب العلماء من هذه درجته وقد روى عن جابر موقوفا ومرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند عالم الا
عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى
الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
وقال تعالى اخبارا عن قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الآية ثم قال
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا

الآية فعرف اهل العلم مقدار الآخرة وثواب الله فيها وخساسة الدنيا وحقارتها فعرفوا بذلك الجهال والله اعلم ومنها لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشئ الا وهو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى فى قصة شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له ولعن الله الناهين عن المنكر الفاعلين له وفيما يروى عنه ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ غيرك والا فاستحى منى وانشد *

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * قد عبت منه امورا انت تاتيها
يا كاسى الناس اثوابا وعورته * للناس بادية ما ان يواريها

وعن الفضيل انه قال بلغنى ان الفسقة من العلماء يبدا بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وعن حاتم الاصم انه قال ليس فى القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وعن مالك بن دينار انه قال اذا لم يعمل العالم بعلمه زالت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة على الصفا وينشد *

عود لسانك قلة اللفظ * واحفظ كلامك ايما حفظ
اياك ان تعظ الرجال وقد * اصبحت محتاجا الى الوعظ

وعن الشيخ ابى نصر من مشايخ الجبل رحمهم الله انه قال لن ينجوا من علماء آخر الزمان الا مثل ما يسلم من ضوء المصابيح اذا رفعوا من بيت الى بيت فى ليلة ذات ريح ثم قال هذا فى العلماء فكيف الجهال فالجهال دود لا يفلت منهم احد وعن النبى عليه السلام

انه قال مررت ليلة اسرى بى بقوم كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وينشد *

لا تنه عن خلق وتاتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدا بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهيت عنه فانت حكيم
فاذا لم يجتمع السفيه فلمته * وفى مثل ما تاتى فانت مليم

ويروى ان فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم ويحكى عن ابراهيم بن ادهم انه قال مررت بحجر مكتوب عليه اقلبنى تعتبر قال فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال سياتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب ولا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا تجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها عن الآخرة فعند ذلك يسلبهم الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفى مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله سبحانه بلسانه والفجور بين فى عمله فما اخصب الالسن يومئذ وما اجدب القلوب فوالله الذى لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله وقال ابن السماك كم مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله سبحانه وكم من داع الى الله عز وجل فار من الله تعالى وكم من تال لكتاب الله عز وجل منفسخ من آيات الله جل جلاله وعن عيسى عليه السلام انه قال مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به

كمثل امراة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك
من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد
وعن معاذ رحمه الله انه قال احذروا زلة العالم لان قدره عند
الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال ثلاث بهن يهدم الزمان
احداهن زلة العالم وقد روى عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه
قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى
تعملوا وعن الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وعن
ابراهيم بن ادهم انه قال لقد اعربنا في كلامنا فلا نلحن ولحنا
في اعمالنا فلم نعرب اعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال صلى
الله عليه وسلم القضاة ثلاث قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك
في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او قضى وهو لا يعلم فهما
في النار وعن كعب انه قال يكون في اخر الزمان علماء يزهدون
الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن
غشيان الولاة ويأتون يؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم
يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء
على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك
الجبارون اعداء الرحمن وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قيل يا رسول الله
فكيف ذلك قال يقول اطلبوا العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال
في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وعن ابن مسعود
رحمه الله انه قال ليس العلم بكثرة الروايات وانما العلم الخشية

وقال الحسن السفهاء همتهم الروايز والعلماء همتهم الرعاية وعن
مالك بن دينار انه قال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا
صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي ولا تؤثرون عليه شيئا وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال
انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتى قوم يتغنون
مثل الغنا ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف
الدواء والجائع الذى يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفى مثله
يقول ولكم الويل مما تصفون والفصيل فى انقطاع الانسان من
العلم الى العمل او انقطاعه عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم
هو ما حكى عن الزهرى فيه وهو انه قال العلم افضل من العمل به
لمن جهل والعمل افضل من العلم لمن علم فاما فضل ما بين العلم والعبادة
اذا لم يخل بواجب ولم يقصر فى فرض فقد روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال
للعالم اشفع حتى تشفع للناس والله اعلم ومن علامات علماء الاخرة
ان يكون العالم غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل
فى الاثاث والمسكن بل يلزم طريقة الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه
فى ذلك بالسلف الصالح ويميل الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك كما
ذكر ابو الحر على بن الحصين رحمه الله فى رسالته الى الامام عبد الله
ابن يحيى الكندى رحمه الله قال فيها فالله الله يا اخى ان تعمى بعد
البصر وتضل بعد الهدى وبعد معرفة الاسلام وبعد اخلاص طاعة
الله بالتقوى فان اولى الالباب والنهى لم يكونوا اهل لهو ولا لعب
ولم يكونوا اهل نسيان ولا غفلة ولا اهل راحة ولا فترة ولا اهل
تلذذ بالدنيا ومطاييب عيشها ولم يكونوا اصحاب نعيم ولا فخر

ولا اهل ابل ولا بقر ولا اصحاب خيلاء ولا كبر ولا اهل رغبة
في مال ولا اهل ولا ولد الا ما اعطاهم الله تعالى فان كان كثيرا
انقصوه عن انفسهم واثروا به اهل الفاقة من خلقه تخوفا ان
يفسدهم ذلك عن الله فيشروا ويبطروا ويمرحوا ويشغلهم ذلك
عن الذى وكلوا به والذى هم به معنيون فكان الاقل من الدنيا
احب اليهم من الاكثر وكان الجوع احب اليهم من الشبع مالم يجهدوا
وهم في الشبع على انفسهم اخوف وفي الجوع ارجا واذكر وكان الفقر
احب اليهم من الغنا وهم في الفقر اعبد لله واتقى وفي الغنا انسى
لله واعصى لضعفهم عن الشكر وحبسهم ماليس لهم واستئثارهم
به عن اهله وكان البلاء احب اليهم من الرخا للذى يرجون
من الاجر في البلاء ويخافون من الاثم في الرخاء ولم يكونوا بطالين
العشيات والضحى ولكنهم كانوا يصبرون انفسهم مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وهي رسالة طويلة
ذكر فيها حال النبى عليه السلام واحوال الصحابة رضى الله عنهم
في التقلل في الدنيا ورغبتهم في الاخرة وهي مكنوبة في كتاب
رسائل الائمة وكذلك احوال مشايخ المسلمين من اهل المشرق
واهل المغرب ومشايخ الجبل رحمهم الله في اقتصادهم في المعيشة
وزهدهم في الدنيا تركت ذلك ههنا لئلا يطول الكتاب اذ
ليس هذا موضعه ويكفي في ذلك قول الله تعالى اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الاية وقوله تعالى كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقوله عز من قائل اخبارا عن الكفار ابناء الدنيا والذين
كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام الاية ويروى عن النبى
عليه السلام انه قال من اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه اخذ

حتفه وما يشعرو في كتاب المحاسبي عنه عليه السلام انه
قال سياتى بعدى قوم ياكلون اطايب الاطعمة والوانها
وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها
ويركبون فره الدواب والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع
وانفس من الكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
اليها اتخذوها الهة دون الههم ورباً دون ربهم الى امرها
ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك
ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم
ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن
فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال الله تعالى مخاطبا
للمسلمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقال بعض السلف
المؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع والتحقيق في
هذا ان التزين بالمباح والتنعم بالحلال ليس بحرام ولا محظور
ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق عليه تركه واستدامة
التنعم لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعات الخلق ومرايأتهم وامور
اخرى يكثر تعدادها من تضييع المفروضات وارتكاب المحظورات
لاجل كسب الدنيا والتمتع بها والحزم اجتناب ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة
مع الخوض في الدنيا لاحد لما كان النبي عليه السلام يبالغ في ترك
الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم وقال انها شغلتني عن
صلاتي ونزع ايضا خاتم الذهب في اثناء الخطبة ورمى به ثم
قال اما هذا فلا البسه ابدا الى غير ذلك مما سياتي ان شاء الله

في موضعه وقال تعالى لنبيه عليه السلام يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فامره بفراقهن اذا اردت
زينة الدنيا فكيف اذا خضن فيها فالوقوف على حدود المباح
مع السلامة من المداهنة والريا وسائر المحظورات عسير لا يقوى
على ذلك الا اهل اليقين من العلماء الاقويا الموفقين والتنعم
بالمباح خطره عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية الذين هما
من علامات علماء الآخرة هذا في الحلال المحض فما ظنك فاما لنا
الغرقا في شبه المكاسب المحظورات والمطامع المذمومات بل
السلامة من المباح في التقلل والنجاة من الدنيا في الزهد والتوكل
والله تعالى نسئله العصمة والتوفيق مع حسن الخاتمة
ومن علامات علماء الآخرة ان تكون عناية العالم بتحصيل العلم
النافع في الآخرة المرغب في الطاعة والقرب من الله تعالى ويكون
متقللا او مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها في طريق الآخرة ويكثر فيها
الجدال والقال والقيل وتصد عن ذكر الله تعالى و قد روى ان رجلا
جاء الى النبي عليه السلام فقال يارسول الله علمني من غرايب العلم
فقال له وما صنعت في راس العلم حتى تسئل عن غرايبه قال له وما
راس العلم قال له هل عرفت الله سبحانه قال نعم قال له فما
صنعت في حقه قال ماشاء الله قال صلى الله عليه وسلم هل
عرفت الموت قال نعم قال صلى الله عليه وسلم فما عددت له قال
ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب ما حكم ما هنالك ثم
تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون تعلم العالم من جنس
ما روى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي اذ قال له شقيق
منذكم صحبتني فقال الحاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما

تعلمت منى فى هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبه وهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل معى محبوبى قال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت الى قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقر على طاعة الله تعالى قال فما الثالثة قال انى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شئ له عنده قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم انى نظرت فى قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل ما وقع معى شئ له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لى عنده قال فما الرابعة قال انى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هى لا شئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت فى التقوى حتى اكون عند الله كريما قال فما الخامسة قال انى نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله سبحانه فتركت عداوة الخلق قال فما السادسة قال انى نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا

فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله شهد
عليه انه عدوي وتركت عداوة الخلق قال فما السابعة قال اني
نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل
نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قول الله تعالى ومامن
دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب
التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده
قال فما الثامنة قال اني نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا
على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة
بدنه فكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قول الله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله وهو حسبي قال
شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التوراة والانجيل والزبور
والفرقان العظيم وهو يدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها
فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم انما يهتم بادراكه
والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر
به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بعث
بتعلم مسائل الفتاوى والجدال والخصومات واعرض عن تعلم
طريق الآخرة وآفات الاعمال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد
صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل
بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك
مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك لعمر الله محض السفه والله سبحانه
نسئله العون والتوفيق والعصمة والتاييد انه قريب مجيب
ومن علامات علماء الآخرة ايضا ان يكون اكثر اهتمام العالم بتعلم
علم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه

بقوة المراقبة وشدة المجاهدة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى فى الخلوة مع حضور القلب بما فى الفكر والانقطاع الى الله تعالى عن ماسواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم متوفر فى العمل مع مراقبة القلب فتح الله عز وجل له من لطائف الحكم ما تحار فيه عقول ذوى الالباب ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم اورثه الله تعالى علم مالم يعلم وفى بعض الكتب السالفة يا بنى اسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحر من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تادبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك يا وابصة وان افتوك وافتوك وافتوك وبما يروى عن الله سبحانه انه قال لايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث وفى الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وفى حديث آخر من اخلص لله عز وجل اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه وهذا العلم انما يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة تصديقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ومن علامات علماء الآخرة أن يكون العالم شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس المال فى الدين ولا بد

للعبد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليقين الايمان كله وقال تعلموا اليقين روى عن الغزالي في كتابه قال معناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما تقوى يقينهم وقليل منه خير من الكثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له الفضل يدخل الجنة به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل او صيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر العبد حتى ينقص يقينه **فصل** وفي كتاب الغزالي قال اعلم ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين قال فان اليقين عبارة عن معرفة مجموعة قال ومتعلقات المعلومات التي وردت بها الشرائع لا مطمع في احصائها قال ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان ترى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا تلتفت الى الوسائط بل ترى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق لهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت هيئة الغضب على الوسائط والرضا منهم والشكر لهم ويرى الوسائط

فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما التين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره حسب تسخير القلم بيد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق قال فهذا احد ابواب اليقين وسيأتى له بيان مزيد فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى ومن علامات علماء الآخرة ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركاته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله عز وجل وكان صورته دليلا على عمله ولذلك روى ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام الى من نجالس بعدك يا روح الله قال الى من تذكركم الله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع ولذلك قيل ما البس الله عز وجل عبدا لبسة احسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيما الصديقين والصالحين والعلماء بالله فاما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والاشر والغفلة عن عظيم عقاب الله عز وجل وشديد سخطه وهو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله عز وجل دون العلماء لما روى عن بعض علماء السلف انه قال العلماء ثلاثة عالم بامر الله سبحانه لا بايام الله تعالى وهم

المفتون بالحلال والحرام قال فهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله تعالى لا بأمر الله تعالى ولا بأيام الله تعالى وهم عوام المؤمنين
وعالم بالله جل جلاله وبأيام الله سبحانه وهم الصديقون
والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بأيام الله تعالى انواع
عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة والظاهرة التي افاضها على
القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه
وظهر خشوعه ان شاء الله تعالى ويقال ما اتى الله عز وجل عبداً
علماً الا اتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً فذلك العلم النافع
وفي الخبر ان من اخيار امتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة
الله تعالى ويبكون سراً من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم
في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة وعن الحسن قال الحلم وزير العلم والرفق ابوه
والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم
وتقرب الى الله ببغضه فانه مقيت في السماء والارض وروى انه
قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال عليه السلام اجتناب المحارم
ولا يزال فمك رطباً من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال
صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك
قيل فاي الاصحاب اشر قال عليه السلام صاحب ان سكت لم
يذكرك وان ذكرت لم يعنك قال فاي الناس اعلم قال صلى الله عليه
وسلم اشدهم لله تعالى خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم
قال صلى الله عليه وسلم الذين اذا رأوا ذكر الله عز وجل قالوا فاي
الناس اشر قال صلى الله عليه وسلم اللهم غفراً قالوا اخبرنا يا رسول
الله قال عليه السلام العلماء اذا فسدوا وذكر جابر بن زيد رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة بن زيد
عليك بطريق الجنة واياك ان تختلج دونه فقال اسامة يا رسول
الله ما اسرع ما يقطع به هذا الطريق فقال عليه السلام الظمأ
في الهواجر وكسر النفس عن لذات الدنيا يا اسامة عليك بالصوم
وكثرة السجود فانهما يدرك ويباهي به الله الملائكة يا اسامة
اياك وكل ذي كبد جائعة ان يخاصمك يوم القيامة واياك ودعاء
عباد الله الذين اذابوا اللحوم واحرقوا الجلود وعشيت ابصارهم
فان بهم يصرف الله البلاء والزلازل والفتن ثم بكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد نحيبه حتى ظنوا انه امر حدث من
السماء ثم قال يا ويح هذه الامة ما ذا يلقى منهم من اطاع الله عز
وجل بعدي وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اكثر الناس امانا
يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثرهم ضحكا في الآخرة اكثرهم
بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال في بعض خطبه ذمتي رهينة وانا زعيم
لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان
اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق ان الله تعالى رجل
قمش اي جمع علما غارا في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس
واراذلهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما بكر فاستكثر ما قل
منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل جلس
للناس مفتيا ليخلص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى
المبهمات هيأ حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في
مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات
خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم

بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج
الحرام لا ملي والله باصدار ما ورد ولا هو اهل لما فرط به اولئك
حلت عليهم النحيبات والبكا ايام حياة الدنيا وروى فى الاسرائيليات
ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفا من الحكمة
حتى وصف بالحكمة فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد
ملات الارض نفاقا ولم تردنى بشىء من ذلك لا اقبل من نفاقك
شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط اهل العامة ومشى فى
الاسواق واكل مع بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله
عز وجل الى ذلك النبى قل له الآن وافقت رضاى وعن على
ابن ابى طالب انه قال اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه
بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج
العلم مجة ويقال اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم
الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت
النعمة به على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة
الاخلاق التى ورد القرآن بها لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم
يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة ولذلك قيل خمس من الاخلاق
وهى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات وهى الخشية
والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا
وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الآية واما الزهد فمن قوله تعالى وقال

الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
الآية وعن ابن عمر قال لقد عشنا برهة من الدهر فان احدنا
يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها
وامرها وزجرها وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رايت
رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته
الى خاتمته لايدري ما امره وما زاجره وما ينبغي ان يقف
عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه قال كنا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل
القرآن وسياتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه
ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا
فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة والله اعلم
ومن علامات علماء الآخرة ان يكون العالم منقبضا على السلاطين
واهل المنكر من الاغنياء المترفين قال الله سبحانه ولا تركنوا الى
الذين ظلموا فتمسكم النار فلا ينبغي للعالم ان يركن اليهم ولا يدخل
عليهم ما دام يجد سبيلا الى الفرار منهم بل ينبغي ان يحترز من
مخالطتهم وان اقتربوا منه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها
بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلوا عن تكلف في طلب مرضاتهم
واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة يجب على كل متدين الانكار عليهم
وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما
ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله تعالى عليه او يسكت على
الانكار عليهم فيكون مداهنا شريكا لهم في ظلمهم او يتكلف في كلامه
ما لا ينبغي طلبا لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح
او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت المحظور وعلى الجملة

فما الظلم مفتاح الشر وعلماء الآخرة طريقتهم الاحتياط في جميع الامور وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع ابعده الله عز وجل وفي طريق آخر فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم قال الغزالي في كتابه وذلك ان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وعنه عليه السلام انه قال سيكون بعدى امراء يظلمون ويكذبون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض وقال بعض علماء السلف في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وعن حذيفة رحمه الله انه قال اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق انس انه قال العلماء امناء الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم ويروى انه قيل للاعمش لقد احييت العلم بكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يصلح منهم الا القليل وعن سعيد بن المسيب انه قال اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وفي رسالة ابي سفيان محبوب رحمه الله قال وقد بما اتخذت الجبابرة عباد الله خولا ودينه دغلا وماله دولا واستحل الخمر بالنبيذ والبخس بالزكاة والسحت

بالمدية يأخذونها من غضب الله وينفقونها في معاصي الله
ووجد واعلى ذلك من خونة العلم اعوانا فبهؤلاء الاعوان خطب
اهل الجور على المنابر وبهؤلاء الاعوان قامت راية الفسق في
العساكر وبهؤلاء الاعوان اختفى العالم فلا ينطق ولا يفطن
لذلك الجاهل فيسئل وبهؤلاء الاعوان مشى المؤمن في طرقات
الارض بالتقية والكتمان فهو كاليتيم المنفرد يستند به من
لا يتقي الله وعن عبادة بن الصامت انه قال حب القارئ
الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وعن ابي ذر رحمه
الله انه قال من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة
وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال ان الرجل ليدخل على السلطان
ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قيل لانه يرضيه
بسخط الله تعالى وعن الاوزاعي انه قال ما من شئ ابغض الى
الله عز وجل من عالم يزور عاملا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين
يأتون العلماء وعن مكحول الدمشقي انه قال من تعلم القرآن وتفقه
في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض
في جهنم بعدد خطاه وقال بعض علماء السلف ما اسمج بالعالم
ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد ويسئل عنه فيقال انه عند الامير
قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه
على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت
نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به
من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجوا
من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة

ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون
السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه
وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم
عند ربهم وعن الحسن انه قال كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم
في الاسلام وصحبة لرسول الله عليه السلام قال عبد الله بن
المبارك يعني سعد بن ابي وقاص قال وكان يغشى السلاطين
ثم بعد عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في
الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة
قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا
اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي
من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب يأكل
اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الدخول على
السلطان لا يسلم صاحبه من النفاق البتة وهو مضاد للايمان
وعن ابي ذر رحمه الله انه قال لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين
فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه
وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا
سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي
اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم
شعار الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا
دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء
والمدح والدعاء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا
عملوا فاذا عملوا اشتغلوا فاذا اشتغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا
طلبوا هربوا ويروى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن اما بعد

فاشر على بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل
الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف
فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز
وكان ازهد اهل زمانه ولم ينقم عليه اصحابنا الا في توقفه في عثمان
ومن كان مثله من اهل بيته ودخوله الامارة بغير مشورة من
المسلمين فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف ترجى السلامة
في مخالطة غيره ولم يزل علماء السلف مثل الحسن وجابر بن زيد
وغيرهم من علماء الفرق والمذاهب يتكلمون في العلماء من اهل
الدنيا لميلهم الى الدنيا ومخالطتهم السلطان وبالله التوفيق
ومن علامات علماء الآخرة ان لا يكون العالم مسارعا الى الفتوى
بل يكون متوقفا محترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل
عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله تعالى او بنص حديث رسوله عليه
السلام او باجماع الامة او بقياس جلي افتى وان سئل عما يشك
فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد او تخمين رأي احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم
لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم ولذلك قال جابر بن زيد رحمه الله
لقد ادركت جماعة من اصحاب رسول الله عليه السلام اذا سئل احدهم عن حادثة
او نازلة ود لو ان اخاه كفاه فتياها فاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخافون من ان يسئلوا فيجيبوا بما عندهم وانتم تنتصبون
للناس وتسئلونهم ان يستفتوكم ما اظنكم تحبون السلامة
لاديانكم ولا تخافون العقوبة من ربكم فاتقوا الله واحذروا الفتيا
فاذا استلتم فاياكم ان تقدموا على ما ليس لكم به علم وفي الحديث
العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقد حكى عن

بعض المتقدمين انه قال لقد حويت العلم كله فقيل له من اين قلت
ذلك قال لعلمي بالفرائض وقد قال النبي عليه السلام الفرائض
نصف العلم ولان اقول فيما لا اعلم الله اعلم وعن الشعبي انه قال
لا ادرى نصف العلم ومن سكت حيث لا يدرى لله سبحانه فليس
باقل اجرا ممن ينطق لان الاعتراف بالجهل شديد على النفس وهكذا
كانت عادة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم ويروى
ان ابن عمر كان اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذى
تقلد بامور الناس وضعها في عنقه وعن ابن مسعود رحمه الله انه
قال ان الذى يفتى للناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة
العلم لا ادرى فان اخطأها اصيبت مقاتله وعن ابراهيم بن ادهم
انه قال ليس شئ اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم
يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علىّ من كلامه ووصف بعضهم
الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اى ما يتكلمون حتى
يسئلوا فاذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا
اجابوا قال وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة
الخفية للكلام ويروى ان على بن ابى طالب مر بقاص يقص على الناس
فقال له اتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال اتعرف المحكم من
المتشابه قال لا فاخذ على بيده وقال ان هذا يقول اعرفونى اعرفونى
ثم مر بقاص آخر فقال له اما انا اسئلك عن مسئلتين فان اجبت والا
وجعتك ضربا قال سل يا امير المؤمنين قال ما ثبات الايمان وزواله
قال ثبات الايمان الورع وزواله الطمع قال قص فمثلك من يقص
وقال بعض السلف انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكأنما
تقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول يريدون ان يجعلونا جسرا يعبرون

علينا فى جهنم وقال بعض السلف العالم هو الذى يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت وكان بعضهم اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الىّ وكان ابو العالية الرياحى وابراهيم والثورى وابن ادهم يتكلمون مع اثنين وثلاث والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا فكيف يانف العالم ان يقول فيما لا يعلم لا ادرى فهذه ملائكة الله سبحانه قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وفى كتاب الغزالى وقد قال النبى عليه السلام ما ادرى اعزير نبى ام لا وما ادرى اتبع ملعون ام لا وما ادرى ذو القرنين نبى ام لا وكان ابن عمر يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنه يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روى مسندا انه لا يفتى للناس الا ثلاث اميرا وماموراً ومتكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامانة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين فى خمسة قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة امرا بمعروف ونهيا عن المنكر وذكر الله تعالى وقد قال الله تعالى لاخير فى كثير من نجواهم الآية قال ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الرأى من الكوفة فى المنام فقال له ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والرأى فكره وجهه واعرض فقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته والله اعلم قال وكتب

سليمان رضي الله عنه الى ابي الدرداء وكان قد اخا بينهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اخي بلغنا انك قد اقعدت طبيبا
تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء
فان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف
بعد ذلك اذا سئل وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين
حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ
الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن
تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسئلوني
عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم والله اعلم ومن علامات علماء الآخرة
ان يكون العالم اكثر بحثه عن علم الاعمال وعن ما يفسدها ويشوش
القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من
الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف
الخير من الشر يقع فيه * ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها
المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة
ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يطول تشعبه ويكثر تفريعه وكل
ذلك مما يكثر مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق
الآخرة على ما سياتي شرح بعض ذلك ان شاء الله تعالى في قناطر
الكتاب وذلك عادة السلف الصالح من الصحابة والتابعين
ولقد كان الحسن البصري فيما بلغنا اشبه الناس كلاما بكلام
الانبياء واقربهم هديا من الصحابة اتفقت العلماء في حقه على
ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والخواطر والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس
وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك

فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمانى وقيل لحذيفة انك
تتكلم بكلام لايسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال
خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسئلونه
عن الخير وكنت اسئله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير
لايسبقنى وقال مرة فعلمت ان من لايعرف الشر لايعرف الخير وفى
لفظ آخر كان الناس يقولون يارسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسئلونه
عن فضائل الاعمال وكنت اقول يارسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما
رانى اسئل عن آفات الاعمال خصنى بهذا العلم وكان حذيفة صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان جبريل عليه السلام امره
بذلك فخصه عليه السلام بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق
واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضى الله
عنهم ممن يسئلونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن
المنافقين فيما بلغنا فيخبر باعداد من بقى ولا يخبر باسمائهم وروى
ان عمر رضى الله عنه صلى على جنازة فلما رجع قال يا حذيفة يموت رجل
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحضر جنازته قال يا امير
المؤمنين اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر لى سرا فقال
عمر يا حذيفة انشدك الله امنهم كان قال اللهم نعم قال انشدك
الله امنهم انا فقال حذيفة لا والله يا امير المؤمنين ولا او من بهذا
احد غيرك يعنى انه يقول ليس من المنافقين فقيل لجابر بن زيد
اتخاف النفاق قال وكيف لا اخافه وقد خافه عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه فيما بلغنا اذا دعى الى جنازة
نظر فاذا نظر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب
السر والعلانية باحوال القلب ومقاماته هو داب علماء الآخرة

لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وهذا مما يعتنى بالبحث عنه علماء الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون ما تيسر لهم فى طلب المعاش وكسب الحطام من مسائل الخصومات والاقضية والاحكام ويتبعون فى مسائل ينقضي الدهر ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم وربما يجدون من يكفيهم ذلك ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل واطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم واعمالهم فما ابعد من السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر وقوعه ايثارا للقبول والتقرب الى الخلق على التقرب من الله وحرصا ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا عالما وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق صافيا من الحوادث بل يتكدر صفوه بنوائب الزمان ثم يرد يوم القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من رب العالمين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد صدق من قال *

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق حياد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لاسيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة وذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء فيصبر على مرارته رجاء للشفاء وينزل منزلة من جعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت

فمتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق وهذا كما قيل قديما توعرت السبيل فقل السالكون وسهلت فكثر الهالكون وبالله التوفيق

ومن علامات علماء الآخرة ان يكون اعتماد العالم في علومه على بصيرة وادراك صفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما سمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما صح عنه انه امر به او قاله وانما يقبل قول الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا صح عند العالم اقوال الرسول عليه السلام وافعاله وتلقاها عن الصحابة او غيرهم بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان الصحابي ايضا انما يفعل الفعل لان الرسول عليه السلام فعله ولم يفعله الا لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ذلك دون التفكر فيه فانه يكون وعاء للعلم لا عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع عن الحكم والاسرار فمن كشف عن قلبه الغطا واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا فلا ينبغي ان يتبع غيره ولذلك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما من عالم الا وفي علمه ماخوذ ومتروك ما خلا صاحب هذا القبر فالتفت عن يمينه فاشار الى قبر النبي عليه السلام وحكى مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وقد كان فيما بلغنا تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض علماء السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال

ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا تدرك بالقرائن
فيسدد لهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة
اذ افاض عليهم صلى الله عليه وسلم من نور النبوة ما يحرسهم فى
الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد على المسموع عن الغير تقليدا
غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد وابعد بل
الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيئا منها فى زمان الصحابة
وصدر زمان التابعين رضى الله عنهم وانما حدثت بعد سنة
مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة
التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
هكذا ذكر الغزالى فى كتابه ثم قال بل الاولون يكرهون كتابة الحديث
وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن
القرآن وعن التدبر والتفكر وقال احفظوا كما كنا نحفظ
قال ولقد كره ابو بكر الصديق رضى الله عنه وجماعة من الصحابة
رضى الله عنهم تصنيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس
على المصاحف وقال نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقن
والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر رضى الله عنه وبقية
الصحابة بكتابة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا
من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه فى كلمة او فى قراءة من
المتشابهات فانشرح صدر ابى بكر رضى الله عنه لذلك وجمع
القرآن فى مصحف واحد وانى اظن ان القرآن فى زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الاكتاف والصحف حتى جمع بعده

ذلك في مصحف واحد لانه كان له عليه السلام كتاب يكتبون
الوحي حتى حفظه على عهده وجمعه ستة رجال من الانصار
زيد وابو زيد وابو ايوب وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعثمان
ابن مظعون دون غيرهم وما مات عليه السلام الا والقرآن
مجموع متلو والله اعلم وفي كتاب الغزالي قال وكان احمد بن حنبل
ينكر على مالك تصنيف الموطاء ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة
قال وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في
الآثار وحروف في التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن
عباس ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا
منثورة ثم كتاب الموطاء بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع
سفيان الثوري قال ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض والجدال في ابطال المقالات وظهر علم الخلاف قال وسبب
ذلك ان الخلافة تولاها بعد النبي عليه السلام الخلفاء الراشدون
وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومشتغلين
بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يشتغلون بالفقهاء الا نادرا
وفي وقايع لا يستغني فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم
الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام
الخلق من الدنيا واقبلوا على الله سبحانه بكنه اجتهادهم كما نقل
من سيرتهم قال فلما افضت الخلافة بعدهم الى قوم تولوا بغير
استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى
الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم
في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر
على الطريق الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء

السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى
الالحاح فى طلبهم لتولية القضا والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار
عز العلماء واقبال الولاة والائمة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا
لطلب العلم توصلا الى نيل القدر ودرك الجاه من قبل الولاة واكبوا
على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا
الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل
عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين
طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال
عليهم الا من وفقه الله عز وجل فى كل عصر من علماء دينه وقد
كان اكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية
لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الامراء
من سمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع
الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام فانكب الناس
على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات
واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا ان غرضهم الذب
عن دين الله تعالى والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من
قبلهم ان غرضهم الاستقلال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين
اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الامراء
من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان
قد تولد فى فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة
المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة
فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعى وابى حنيفة على الخصوص
فترك الناس الكلام وفنون العلم واندفعوا على المسائل الخلافية بين

الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك
وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق
الشرع وتفريع علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى فاكثروا
فيه التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات
والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن قال وليس ندري ما الذي
قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الانكباب
على الخلافيات والمناظرات لا غير قال ثم مال الناس الى ماذكرنا من
الكلام والمجادلات والى القصص والوعظ فاخذ علم المتقين في
الاندراس من ذلك الزمان الاول فصار بعد ذلك يستغرب علم
القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن
ذلك الا الاقليل فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص والمزخرف
كلامه بالعبارات المسجعة عالما قال وهذا لان العوام هم المستمعون
اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة
وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون به مباينة هؤلاء لهم
فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث القلب خلفا عن سلف واصبح
علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص
منهم قال هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف بزماننا هذا
وقد انتهى الامر الى ان صار مظهر الانكار يستهدف بالنسبة الى
الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت اذا وسعه ذلك
ومن علامات علماء الآخرة ان يكون العالم شديد التوقي في محدثات
الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يضره اطباق الخلق على ما احدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم
واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف

والمناظرة والقضا والولايات وتولي الاوقاف والوصايا ومال
الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة اوكان اكثرهم
في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب
دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد
الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن وتعلم تحقيقا ان اعلم اهل
الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف
فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي خيارنا اتبعنا بهذا الدين وذلك
لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان تكترث لمخالفة اهل
العصر في موافقة اهل عصر رسول الله عليه السلام فان الناس
راوا راياً فيما هم فيه لميل طبايعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف
فان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة
سواه ولذلك قال الحسن هما محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي
سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب
ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح في
هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى
هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسئل عن
فعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك يكونوا وروى
عن ابن مسعود رحمه الله موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنان
الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله عز وجل واحسن الهدى
هدى محمد عليه السلام الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور
محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن
عليكم الامد فتقسوا قلوبكم ما هو آت قريب الا وان البعيد ما ليس
بآت وفي رسالة ابي سفيان محبوب رحمه الله ذكر صفات اولياء

الله ثم قال اولئك الذين لا تعتريهم سئامة ولا تختزمهم رغبة ولا ينظرون الى الدنيا بعين بغية ولا يعتقدونها على مودة ولا يرجون فيها على زينة بل ضربوا فى السهم الاوفر ولزموا الطريق الاقصد وسلكوا الطريق الارشد وهم ائمة التقى ونجوم الهدى واعلام الدين ومنار الاسلام كلامهم حكمة وسكوتهم حجة ومباينتهم حسرة ومخالطتهم غنيمة والاستئناس بهم حياة والاقتداء بهم نجاة فعليك ايها الزائغ عن طريقهم الراغب عن سبيلهم بالاتباع فانه ليس الاتباع كالابتداع فعليك بطريق من كان بالله اعلم وبحلاله وحرامه منك ابصر ولهذا قال ابو سفيان قال وائل رحمهما الله لقد ادركت بحضرموت رجالا ان كان الرجل منهم لو ولى على الدنيا كلها لاحتمل ذلك فى عقله وعلمه وحلمه وورعه وقد قال النبى عليه السلام فى بعض خطبه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق مالا اكتسبه من غير معاصيه وخالط اهل الفقه والحكمة وجالس اهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة وعن ابن مسعود رحمه الله انه كان يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل ثم قال انكم فى زمان خيركم فيه المسارع الى الامور وسياتى بعدكم زمان يكون خيركم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات فمن لم يتثبت فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك فيما هلكوا الا من اعطاه الله تعالى عقلا كاملا يردعه عن هجوم الشهوات وعلما نافعا عزيزا يهديه عند ورود الشبهات فبالاحرى ان ينجو من

اصنافا المهلكات وقد قال حذيفة بن اليمان رحمه الله اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان آت وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف هذا فى زمان حذيفة فما ظنك بزماننا هذا وقال الغزالى فى كتابه اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة قال اذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتجيدها وانفاق الاموال العظيمة فى دقايق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها قال وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج اللعين فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا قال وكان الاشتغال بدقايق الجدال والمناظرات التى هى من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات قال ومن ذلك التلحين فى الاذان والقرآن قال ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك قال وقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى قال وكان هشام بن عروة يقول لا تسئلوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها قال وكان ابو سليمان الدارانى لا ينبغى لمن يقول الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع به فى الاثر فيحمد الله تعالى ان وافق ما فى قلبه قال وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما شوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار قال ولهذا لما احدث مروان المنبر

في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري فقال
يا مروان ما هذه البدعة قال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم
ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد
والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم
قال وانما انكر ذلك لان رسول الله عليه السلام كان يتوكأ في
خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصى لا على المنبر وفي
الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد عليه وفي
خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يعمل الناس
عليها وعنه عليه السلام انه قال ان لله ملكا ينادي كل يوم
من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته
ويحكى ان ابليس اللعين بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله
عنهم فرجعوا اليه خاسرين فقال ما شانكم قالوا ما راينا مثل هؤلاء
ما نصيب منهم شيئا قال اتعبونا فيقول لهم لا تقدرون عليهم
قد صحبوا نبيهم وشاهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم
قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا
اليه منكسين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء
بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار
فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء لصحة
توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعدهم قوم تقر
اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف
شئتم لا يستغفرون فيغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيئاتهم حسنات
قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهوا وزين لهم البدع

فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤا ذكر هذا الحديث
الغزالى فى كتابه وحكى مثل هذا عن ابى عبيدة مسلم بن ابى
كريمة رضى الله عنه انه قال لما نزل قول الله عز وجل ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه الى قوله رحيما قالت الشياطين
لابليس ذهب عملنا فى ابن آدم باطلا فقال ساحدث لهم ذنوبا
لا يمكن لهم التوبة والاستغفار منها فاحدث لهم هذه الفرق
والاهوا والله اعلم وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف
فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف
ويقال الحق ثقيل منهجا وزمظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه
اكتفى وقال ابن عباس رضى الله عنه ان الضلالة لها حلاوة فى
قلوب اهلها قال الله سبحانه اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وقال تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما
جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللهو واللعب وقد قال النبى
عليه السلام عليكم بالنمط الوسطى اليه يرجع العالى ويرتفع اليه
الدانى وفى كتاب الغزالى قال مثل الجانى على الدين بابداع ما يخالف
السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثل من عصى الملك فى قلب
دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك فى خدمة معينة وذلك
قد يغفر واما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ان من اعظم المعاصى
الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة قال فكل
عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى ان يصغى الى قوله بل ينبغى ان يتهم فيما
يقول لان كل انسان يخوض فيما يحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه
ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

الآية فالعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي معترف بتقصيره ويستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما الذي هو مشتغل به من العلوم انما هي وسائله الى الدنيا لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت فاذا غلب هذا على المنسوبين الى العلم الا من عصمه الله وذلك اعز من الكبريت الاحمر ولهذا المعنى كتب بعض العلماء الى بعض السلف فقال ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله معه الا كان آثما معه وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقاصد فان مخالط الناس لا ينفك عن غيبة او سماع غيبة او عن سكوت عن منكر ولحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف لقاطع الطريق فالعلم كالسيف صلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا يرخص في البيع ممن يريد الاستعانة به على قطع الطريق ولذلك لا يجوز عند العلماء حمل السلاح الى ارض العدو والله اعلم فاذا قد وقع الياس وانقطع الطمع من اصلاح الناس الا من شاء الله تعالى فهذه اثنا عشر علامة من علامات علماء الآخرة تحتوي كل واحدة على جمل من اخلاق المتقين جمعتها من كتب علماء السلف واكثرها من كتاب الغزالي لانها موافقة للقرآن ولما مضى عليه السلف الصالح من مشايخ المسلمين رحمهم الله فكن يا اخي ارشدك الله احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات فتكون على سبيل المشايخ ذوي الكرامات او معترفا بالتقصير مع الاقرار بهذا العلم مقتبسا منه على قدر العون والتيسير واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تسمي علم المعاش باسم علم الآخرة وطريق الدين وتسمي سيرة البطالين

بسيرة العلماء الراشدين فتلحق بجهالك وانكارك بزمرة الهالكين نعوذ بالله من خدع الشيطان الغرور وفيها هلاك الجمهور فالاسلم في هذا الزمان لدين الانسان العزلة والانفراد ان وجد الى ذلك سبيلا والله المستعان

(الباب العاشر) في بيان

العلم المذموم واسماء العلم المحمود من كتاب الغزالي اعلم ان هذا الباب يشتمل على جملتين احداهما فيما تعده العوام من العلوم المحمودة وليس كذلك وفيها بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما والثانية في اسماء العلوم الشرعية وبيان القدر المحمود منها من المذموم الجملة الاولى في العلم المذموم وفي كتاب الغزالي قال اعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة احدها ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات اما السحر فقد نطق به القرآن قال ـــــــ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر بعض اليهود فمرض بسبب ذلك وروى عن الكلبي ان الذي سحره لبيد بن اعصم اليهودي وقيل بناته فمرض عليه السلام حتى ينتثر شعره فلبث اشهرا وما شاء الله فبينما هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل فقال طب اى سحر قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة ببئر ذي اروان وهي تحت الصخرة في بني زريق قال فانتبه النبي عليه السلام فبعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رحمه الله فنزحوا ماء البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفع الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه

احدى عشر عقدة مغروزة بالابرة فانزل الله عزوجل سورتى التعويذ فكلما قرا جبريل عليه السلام آية انحلت عقدة حتى قام صلى الله عليه وسلم عند انحلال العقدة الآخرة كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يرقيه يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك من حاسد وعين فلاجل ذلك جوزوا الاسترقاء بما كان من كلام الله عزوجل وكلام رسوله عليه السلام واما ما كان من العبرانية والسريانية والهندية او ما كان من غير لغة العرب فلا يحل عند العلماء اعتقاده واختلفوا فى معنى السحر وكيفيته فقال قوم معناه العلم والحذق بالشئ ولطافة الفعل فيما خفى فهمه قال الله تعالى يايها الساحر اى العالم وقال آخرون السحر هو تخييل واحزان لا اصل له ولا حقيقة كالسراب غر من رآه واخلف من رجاه كما قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى حكى هذا عن المعتزلة وحكى عن الشافعى ان السحر هو تمريض بما يتصل بر كالذى يخرج من فم المتثاوب يؤثر فى المقابل له وقيل هو تعظيم الجن ليسهلوا ما عسر عليه وقيل طلسم يبنى عن تاثير خصايص الكواكب كتاثير الشمس فى زيبق عصى سحرة فرعون وفى كتاب الغزالى قال السحر حق اذ شهد القرآن به وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين قال وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص فى المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى بر العادة احوال

غريبة في الشئ المسحور وفي كتاب الماوردى قال قوم يقدر الساحر
ان يقلبها الاعيان بسحره فيحول الانسان حمارا وينشئ اعيانا
واجساما وحكى فيه عن الشافعى كما قدمنا ان الساحر قد يوسوس
بسحره ويمرض وربما قتل قال لان المرض بدء الوسوسة والوسوسة
به والمرض بدء التلف وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
رضى الله عنها قالت سحر النبي عليه السلام حتى كان يخيل انه يفعل الشئ
وما فعله واما قول من قال يقلب الساحر اعيانا وينشئ اجساما
فهو خطأ محض لانه لو كان في وسع الساحر انشاء الاجسام وقلب
الاعيان عما هي به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فصل ولا
فرق كيف وقد قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
وقول من قال ان السحر خدع ومما يفعله الساحر فيخيل الى الانسان
انه بخلاف ما هو به كالذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه
انه ماء وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا حتى يخيل
اليه ان ما عاين من الاشجار والجبال سايرة معه هذا القول
ممكن سائغ وكذلك قول الشافعى والله اعلم واختلفوا في
تعلم السحر فقال قوم لا يكون تعلمه كفرا وانما العمل به كفر كما ان
من تعلم الزنا لا يأثم وانما يأثم العامل به وقال آخرون وهو
الاصح ان شاء الله ان تعلم السحر كفر وكذلك تعليمه لان الله تعالى
قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولم يقل ما يضرهم ان عملوا
به والله اعلم فلما كان السحر لا يصح الا للاضرار بالخلق كانت
تعلمه والعمل به جميعا معصية ويقتل الساحر اذا قتل به احدا
والله اعلم واما الطلسمات وخواص الاحجار مثل حجر المغنطيس
في جذبه للحديد وحجر الماس في كسره الاجسام الصلبة بخصوصية

فيه وحجر العقيق والحجر الباغض للدم وحجر البرادى وغير
ذلك من خواص الاحجار والنبات وخواص الاشياء فالله
اعلم ما سبب ذلك فهو تعالى قد استاثر بعلم الاشياء واظهر
للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح واستاثر بعلم سائرها
فلا تقف العقول على كنهها وفى كتاب المسعودى قال
ويمكن والله اعلم بهذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة
فى العالم للحركات والفاعلة فى الحيوان وغيره قال يمكن ان
يكون الله تعالى جعلها معجزة لبعض الانبياء السالفة ثم
رفع ذلك النبى وبقيت علومه قال ولقد رايت بمصر حية مصورة
من حديد توضع على شئ ويدنى منها حجر المغنطيس فتحدث فيها
حركة وسعى اليه وتعلق به قال واذا اصاب المغنطيس رائحة
الثوم بطل فعله بالحديد وان غسل بشئ من الخل او ناله شئ
من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وقال فى
كتاب لا تنازع عند ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا
وقرى لا تدخلها عقرب ولا حية مثل حمص والمعرة وانطاكية
قال وقد كان ببلاد انطاكيه اذا اخرج الرجل يده خارج السور
وقع عليها البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق عليها منها شئ
الى ان انكسر عمود من رخام فى بعض المواضع فاصيب فى اعلاه حق
من النحاس فى داخله بق مصور من نحاس كنحو كف فما مضت ايام
او على القرب من ذلك حتى صار البق يعم الاكثر من دورهم والله
اعلم ووجدت فى كتاب المقالات المنسوبة الى احمد بن الحسن
قال ان بعض المتكلمين قال فى الطلسمات ونحوها ان ذلك من
حيل الاوائل قال وذلك ان اعمارهم طالت حتى عرفوا من الارض

المواضع التى تكون فيها الحيات وغيرها من الهوام والحشرات
من المواضع التى لا تكون فيها هذه الاشياء فعملوا الطلسمات فى
المواضع الخالية من الهوام توهما ان الطلسمات هى المانعة للهوام
من الكون فيها والله اعلم بحقيقة هذا كله وانما كتبنا هذا ليقف
القارى على ما قال الناس فى هذه الاشياء السبب الثانى الذى
يكون به العلم مذموما هو ان يكون مضرا بصاحبه فى غالب الامر
وذلك كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان
قسم حسابى وقد نطق القرآن بان مسير القمرين محسوب فقال
تعالى والشمس والقمر حسبانا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل
الآية وقال هو الذى جعل الشمس ضياء الى قوله لتعلموا عدد
السنين والحساب الآية القسم الثانى الحكم بها وحاصله يرجع
الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب قال الغزالى فى كتابه وذلك
يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو
معرفة بمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكنه ذمه الشرع
وقد قال النبى عليه السلام اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت
النجوم فامسكوا وعنه عليه السلام انه قال اخاف على امتى بعدى
ثلاثا جور الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وعن بعض
السلف قال من قال فى النجوم غير هذه الثلاث فهو آثم كاذب
مفتر قال الله تعالى هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال
وجعلناها رجوما للشياطين وقال انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا الآية وعن عمر رضى الله عنه انه قال تعلموا من
النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا الحديث قال الغزالى
وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه يضر باكثر الخلق فانه اذا

الفى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم ان الكواكب هى المؤثرة وانها الآلهة لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقوعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا ومرجوا من جهتها ويمحى ذكر الله تعالى عن القلب ولذلك قال النبى عليه السلام مخبرا عن ربه عز وجل يقول اصبح من عبادى مؤمن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكوكب قال الغزالى وذلك ان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه قال ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثل النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس فهى تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها الى مشاهدة الاصبع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى الخالق اليد والقدرة والارادة سبحانه فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة منقطع عن الترقى الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهى عن النجوم السبب الثانى ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا والحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وامحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور وانما هو اتفاقى لكنه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع عليها وان اتفق

ان قدر الله الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر ذلك اخطأ ويكون
ذلك كتخمين الانسان فى ان السماء تمطر اليوم مهما رأوا الغيم يجتمع
وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس
فيتبدد الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا فى المطر
وبقية الاسباب لا تدرك قال وكذلك تخمين الملاح ان السفينة
تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح اسباب
خفية ولا يطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ وبهذه
العلة يمنع القوى ايضا عن النجوم السبب الثالث انه لا فائدة فيها
فاقل احواله انه خوض فى فضول لا تغنى وتضييع العمر الذى انفس
بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران وقد روى ان النبى
عليه السلام مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا
رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال عليه السلام
علم لا ينفع وجهل لا يضر ثم قال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة والخوض فى النجوم وما يشبهها اقتحام خطر وخوض
جهالة من غير فائدة فانما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف
علم الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف
تعبير الرؤيا وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة ولا خطر فيه الثالث من الاسباب التى يذم العلم به الخوض
فى علم لا يستقل الخائض فيه به فانه مذموم فى حقه كتعلم دقيق العلوم
قبل جليها وكالبحث عن اسرار الالهية التى لا يستقل بالوقوف على
طريق بعضها الا الانبياء والاولياء ولقد تطلع الفلاسفة واكثر
المتكلمين اليها ولم يستقلوا بها بل هلكوا من اجلها وقد قال عليه
السلام تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فيجب كف الناس

عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففى ذلك للموفق
مقنع فكم من شخص خاض فى العلوم فاستضر بها ولو لم يخض
فيها لكان حاله احسن فى الدين قبل الخوض فيها ولذلك قيل
وَانّ الْفَاكَ فَهْمُكَ فِى مَهَاوٍ * فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَ
فلا تنكرون العلم ضار البعض الاشخاص كما يضر لحم الطير وانواع
الحلاوة اللطيفة بالصبى الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل
ببعض الامور ولقد ذكر ان بعض الناس شكى الى طبيب عقم
زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى
دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض
عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها
واخرجت اموالها وفرقت واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب
حتى انقضت المدة فجاء زوجها الى الطبيب فقال انها لم تمت فقال
الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد ان شاء الله قال
فكيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها
فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال
المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار الخطر من بعض العلوم
ويفهمك معنى قوله عليه السلام اعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر
لهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم
الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة فى الاتباع
والخطر والبحث فى الاستقلال والابتداع فيكفيك فى منفعة العقل
ان يهديك الى طريق النبى عليه السلام ويفهمك بعض موارد اشارته
فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم
الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم لجهلا وان من القول

لعيا

لعيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكن منه ما يؤثر تاثير الجهل في الاضرار وقال عليه السلام قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمار وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع والله تعالى نسئله العون والتوفيق

الجملة الثانية

في اسامى العلوم الشرعية وبيان القدر المحمود منها اعلم ان هذه الجملة تنحصر في فصلين احدهما في اسامى العلوم الشرعية وكيفية التباسها بالمذمومة الفصل الثانى في بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

الفصل الاول ذكر الغزالى في كتابه فقال اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية هو تحريف الاسامى المحمودة وتبديلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما كان عليه السلف الصالح والقرن الاول وهى خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة قال فهذه اسماء محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين اللفظ الاول الفقه قد تصرفوا فيه بالتخصيص لمعرفة الفروع في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها فمن كان اكثر اشتغالا بها قيل هو الافقه ولقد كان اسم الفقيه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدل على ذلك قوله عز وجل ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذى يكون به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة واشباه ذلك من الفروع فهذا لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى

القلب وينزع منه الخشية كما يشاهد من المتجردين له وقد قال
الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان
دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى
واحد وقد قال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون الآية احال قلة خوفهم من الله عز وجل
واستعظامهم لسطوة الخلق على قلة الفقه فانظر اذ ذلك ينتجه
عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او ينتجه ما ذكرنا من العلوم
وقال عليه السلام علماء حكماء فقهاء وفي بعض الطرق كادوا
من فقههم ان يكونوا انبياء للوفد الذين قدموا عليه فقالوا نحن
قوم مؤمنون مسلمون فذكروا الخمس عشرة خصلة تحقيقا
لايمانهم الحديث مشهور وسئل بعضهم اي اهل المدينة افقه
فقال اتقاهم فكأنه اشار الى ثمرة الفقه انها التقوى والتقوى ثمرة
العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال عليه السلام لن يتفقه
احدكم كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وقال عليه السلام
لن يتفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وروى
هذا عن ابي الدرداء مرفوعا مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون اشد
لها مقتا قال وسال فرقد السبخي الحسن عن شئ فاجابه فقال ان
الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد انما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة
ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى
ولما احتضر جابر بن زيد رحمه الله دخل عليه الحسن فقال قل
لا اله الا الله يا ابا الشعثاء فسكت فاعاد عليه فقال جابر انا من

اهلها

اهلها ولكن نعوذ بالله من غد واورواح الى النار ثم قال يا ابا سعيد
يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها فقال الحسن ما
افقهه ولو عند الموت وقال الله تعالى ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون ولم يرد تعالى يفقهون فروع الفتاوى
ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى والاحكام الظاهرة
ولكن بطريق العموم والشمول وبطريق الاستتباع وكان اطلاقه
على علم الآخرة اكثر فثار بهذا التخصيص تلبيس بعث الناس على
التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك
معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل
به الى طلب الولاية والقضا والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان
مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى
هو اسم محمود في الشرع وبالله التوفيق اللفظ الثاني العلم وقد
كان يطلق ذلك على العلم بالله عز وجل وبآياته وافعاله في عباده
وخلقه حتى انه لما مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن
مسعود مات تسعة اعشار العلم عرفه بالالف واللام ثم
فسره بالعلم بالله سبحانه وقال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط الآية وقال تعالى ان
الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى الآية وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم الآية وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقال
وانه لذو علم لما علمناه وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات وقال ومن عنده علم الكتاب وقال في الخضر عليه السلام
اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال لنبيه عليه
السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وقال وقل رب زدني علما في جميع ما ورد

من فضائل العلم والعلماء بالله عزوجل وباحكامه وصفاته وتصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل بمسائل الفتاوى والفروع والخصومات ولا يحيط من علم الشريعة بشئ يتقرب به الى الله عزوجل فيعد من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وسير الصالحين وعلم المذهب وغيره فصار ذلك سببا مهلكا لخلف كثير من الطلبة وبالله التوفيق اللفظ الثالث التوحيد وهو عبارة عن معرفة من وحد الله تعالى وآمن به ايمانا يرى به الامور كلها من قبل الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسايط والاسباب فلا يرى الخير والشر الا من الله جل جلاله وهو مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتى ان شاء الله ومن ثمراته ايضا ترك الشكوى الى الخلق وترك الغضب عليهم والتسليم لحكم الله والرضى به وتفويض الامور اليه وغير ذلك كما سيأتى ان شاء الله وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد من اللب من الآخر فالقشر الاول اقرار اللسان المجرد عن الاعتقاد وهو ان تقول بلسانك لا اله الا الله فهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى تصرح به النصارى ان الله ثالث ثلاثة ولكن هذا التوحيد ربما يصدر من الزنديق الذى يخالف سره جهره القشر الثانى ان لا يكون فى القلب انكار لمفهوم الاقرار باللسان بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد الوحدانية والتصديق به وهو توحيد عوام المسلمين والمتكلمين الذين هم حراس هذا القشر عن تشويش اهل البدع المخالفين فى صفات الله تعالى بتاويل الخطاء واما اللب الذى هو داخل هذين القشرين فهو توحيد العلماء بالله الموقنين وذلك هو رؤيتهم الامور كلها من الله تعالى حدونا الاسباب والوسايط وعبادتهم اياه تعالى بكلية قلوبهم ويخرج عن هذا التوحيد

اتباع الهوى لان كل متبع هواه فقد اتخذه معبوده قال الله
تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال عليه السلام ابغض
اله عبد فى الارض عند الله تعالى الهوى وسياتى شرح التوحيد
وثمراته ان شاء الله تعالى فهذا هو توحيد العلماء بالله تعالى
انظر كيف جعله المتكلمون من العلماء عبارة عن صياغة الكلام
ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضة الخصوم والقدرة
على التشدق فيها وكثرة الاسولة بالدلائل والالزامات حتى
لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمين
العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن
شئ منها فى العصر الاول عن الرسول والصحابة رضى الله عنهم
وانما حدث عند افتراق الامة وتوزعها وبالله التوفيق اللفظ الرابع
الذكر والتذكير قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد فى الثناء على مجلس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام
اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس
الذكر وكقوله عليه السلام فى حديث ابى ذر حيث قال حضور
مجلس الذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس العلم
افضل من عيادة الف مريض ومن حضور الف جنازة قيل
يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم
وعن عطاء قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو
فى امثال هذه الاخبار ستاتى فى موضعها ان شاء الله قال فنقل
ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو
القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة
ورد نهى السلف عن الجلوس للقصاص وقالوا لم يكن ذلك فى عصر

الرسول عليه السلام وصاحبيه ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانما
حدث ذلك حين ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروى ان ابن عمر
خرج من المسجد فقال ما اخرجنى الا القصاص ولولاه ما خرجت
وقيل للثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم
قال ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا
الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطيه فقال القاص
ياشيخ اما تستحيى قال لم انا فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش
وما حدثتك وقال بعض العلماء اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال
قال واخرج على القاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن
لم يخرجه اذ كان الحسن يتكلم فى علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه
على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ويذكر بآلاء
الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا
وخطر الآخرة فى امثال ذلك فهذا هو التذكير المحمود فى الشرع الذى
وردت به الاخبار والآثار على ما سيأتى ان شاء الله فاتخذ المترفون
تلك الاحاديث والآثار حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير
الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المقصود واشتغلوا بالقصص
التى يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان ويخرج عن القصص
الواردة فى القرآن ويزيد عليه فان فى القصص ما ينفع سماعه ومنها
ما يضر وان كان صادقا فمن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه
الصدق بالكذب والنافع بالضار فلاجل هذا نهى عن القصص
واما ان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق
بامور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست ارى به باسا
ولكن فليحذر الكذب وحكاية احوال تومى الى هفوات او مساهلات

يقصر فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بها في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه العذر في ذلك ويحتج بانه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ والاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو وان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز من هذين المحذورين فلا باس به فعند ذلك ترجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الآية وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق في التواصف في العشق وجمال المعشوق ومدح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اخلاط العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى ما يحرك دواعيهم ولا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هي مستكنة فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقال صلى الله عليه وسلم ان في الشعر لحكمة وبالله التوفيق واما الشطح فهو عندهم نوعان من الكلام احدهما بعض الصوفية احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعاوي الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الغزالي وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى

ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى
قال فهذا الفن من الكلام يتلذذ به الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال
مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال ولا يعجز الاغبياء عن
دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلفيق كلمات مخبطة مزخرفة قال
ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم
والجدال فالعلم حجاب والجدال عمل النفس قال الغزالى فهذا الحديث
لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق قال فهذا وفنه قد استطار
فى بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشئ منه فقتله
افضل فى دين الله من احياء عشرة والله اعلم قال والنوع الثانى
من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة
وليس وراءها طائل قال وذلك اما ان تكون غير مفهومة عن قائلها
بل يصدرها عن تخبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته
بكلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه
لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته
للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا
فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول
ويكون فهم كل واحد على مقتضى طبعه وهواه وقد قال عليه السلام
ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم والله اعلم
قال واما الطامات فيدخلها ما ذكرنا فى الشطح وامر آخر يخصها وهو
صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهوم الى امور باطنة لا تسبق
الى الافهام كداب الباطنية فى التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره
عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها من غير
اعتصام فيها بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو

اليه

اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وتسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله عن وجوه شتى قال وانما قصد اصحابها بها الاغراب في النفوس فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له قال وبهذا الطريق توصلت الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم قال ومثال تاويل اهل الطامات كقول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى وان الق عصاك اي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التاويلات تعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة وما لا يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل السحر على الاستغفار فانه عليه السلام كان يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا تتعلق بالاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وبدعة شائعة عظيم ضررها فقد عرفت كيف صرف

الشيطان دعاوى الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى والله المستعان اللفظ الخامس الحكمة وهى التى اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقال الحكمة ضالة المؤمن فى امثال ذلك ثم صار اسم الحكمة يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم وامثالهم فانظر الى الذى كان اسم الحكمة عبارة عنه والى ماذا انقل وقس فى بقية الالفاظ واحترز من الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتوصل الى انتزاع الدين من قلوب الخلق فقد عرفت العلم المحمود من العلم المذموم ومثال الالتباس واليك الخيرة فى ان تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكلما ارتضاه السلف فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث والله المستعان وقد صح قوله عليه السلام بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل وما الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون ما افسده الناس عند فساد الناس ويحيون من سنتى ما اماته الناس وفى خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفى حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لبغضوه كتبت اكثر هذا الباب من كتاب الغزالى لانه اتبع فيه فضايح علماء السوء منهم فاحببت ان تقفوا عليها اذ كان ما ذكره موافقا للحق غير

خارج

خارج عن الشرع وبالله التوفيق * (الفصل الثاني) *
في بيان القدر المحمود من العلم المحمود اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وهو الذي لا فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه وهو ما قدمناه من علم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذموم ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا والله اعلم القسم الثاني قسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كثر كان احسن وافضل وذلك هو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وليتوصل به الى سعادة الآخرة فبذل المقدور فيه الى اقصى غاية الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يتيسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء الراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبيه لهذا العلم مشاهدة احوال علماء الآخرة كما قدمنا من علاماتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في آخر الامر المجاهدة والرياضة للنفس وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بانبياء الله تعالى واوليائه ليتضح عنه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها وبالله التوفيق

القسم الثالث يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهي العلوم التي تقدمت قبل هذا في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاول واقتصادا هو الوسط واستقصاء لا مرد له الى آخر العمر وهذه الاقسام الثلاثة كاحوال البدن فان منه ما لا يحمد قليله ولا كثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيه وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم على هذا الحال فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك من معرفة الله تعالى وما يتعلق بها من الاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل وهو علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر من الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها فجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة من القيح والدم منها بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما تشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة دون تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح

واستصعابه اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب
شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب فى الطلا وهى تزيد فى المواد
وتضاعف الامراض فان كنت مريد الآخرة وطالبا للنجاة وهاربا
من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما
سيأتى ان شاء الله فانك اذا فعلت ذلك انجر ذلك بك الى
المقامات المحمودة التى تأتى مشروحة ان شاء الله فان القلب اذا
فرغ من المذموم امتلأ من المحمود كالارض اذا نقيت من الحشيش
نبت فيها اصناف الزرع والرياحين فان لم تتفرغ من ذلك فلا
تشتغل بفروض الكفايات لاسيما وفى الخلق من قام به فان مهلك
نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت
الافاعى والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مدبة
يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من
تلك الحيات والعقارب اذ همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها
وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه فصار ذلك ديدنا لك وعادة
متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج
فيها فابتد بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله عليه السلام ثم بعلم
التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمقطوع
والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة ثم اشتغل بالفروع
وهو علم المذهب من الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا
الى بقية العلم بما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك فى واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير
وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها
فكل ما يطلب لغيره فلا يليق ان تنسى من اجله المطلوب وتستكثر

منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق
به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق
فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة ومن علم
الكلام على ما تحفظ به التوحيد والاعتقاد من تشويش المبتدعة
على نفسك واختلاسها قلوب العوام من معتقدي مذهب
المسلمين وكن متيقظا لمكايد النفس متحرزا من شياطين الجن
والانس وبالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تعد نفسك في الدنيا
وحدك مع الله تعالى وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة
والنار وتامل فيها بعينك واشتغل فيما بين يديك ودع عنك ما
سوى ذلك والسلام مثال لهذه العلوم في سلوك طريق
الآخرة ذكر معنى ذلك الغزالي في كتابه فقال اعلم انه لا يهمك الا
شانك في الدنيا والآخرة قال واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا
ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور العقل والبصائر
ما يجرى مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد قال فعند ذلك
تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا
مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في
هذا العالم قدره الا الاقلون قال والعلوم بالاضافة الى سعادة
لقاء الله تعالى على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال قال وهو
ان العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان
حججت واتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات
بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضرورى فلك
العتق والخلاص من شق الرق فقط دون سعادة الملك قال فله
ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة اسباب شراء الناقة وخرز

الزاوية واعداد الزاد الثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحقاق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن اول اركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل اقرب منه قال والعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله قال فكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكنة وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله عز وجل وصفاته وملائكته وافعاله في جميع ما تقدم ذكره في ترجمة علم المكاشفة قال وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة فالنجاة حاصلة لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون وهم المقربون المنعمون في جوار الله عز وجل بالروح والريحان وجنة النعيم قال فاما الممنوعون من ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة

كما قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى
جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو
من اصحاب الشمال ومن الضالين وله نزل من حميم وتصلية
جحيم واعلم ان هذا هو اليقين عند العلماء الراسخين اعنى انهم
ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع فحالهم حال من اخبر
فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق
والايمان اعنى ما سبق الى فهم عوام المسلمين والمتكلمين دون
العارفين لانهم آمنوا وصدقوا ولم يحيطوا بالمشاهدة والعيان
قال والسعادة من وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة من وراء علم
المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق
المعالجة وكيفية السلوك وراء علم سلامة البدن قال ومساعدة
اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتعاون الذى يتوصل
به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه
فى ضبط الناس وحملهم على نهج العدل والسياسة فى ناصية
الفقيه واما اسباب الصحة ففى ناصية الطبيب فمن قال العلم علمان
علم الابدان وعلم الاديان واشار به الى الفقه فانما اراد به العلوم
الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة قال فان قلت لم
شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة قال فاعلم ان الساعى
الى الله سبحانه لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعنى

بالقلب اللحم المحسوس بل سر من اسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولة الحاملة لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لذلك السر وكشف الغطا عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مظنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجسام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن ولله الخلق والامر جميعا والامر اعلا من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها واياك ان تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الله سبحانه اعني الروح لانه من امر الرب تعالى فمنه مصدره واليه مرجعه قال واما البدن فمطية الروح التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن له في طريق الله سبحانه كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل عمل مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل

بالسعى فى طلب تحصيل طعامه بالحراثة والزراعة والطبخ و فى
تحصيل الملبس والمسكن وفى اعداد الآلات لذلك كله فاضطر
الى المخالطة والاستعانة فبها اختلط بالناس وثارت شهواتهم
تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا فحصل من قتالهم
هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب
تضاد الاخلاط من داخل وبالطبع يحفظ الاعتدال فى الاخلاط
المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى
التنافس من خارج فعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق
اعتدال احوال الناس فى المعاملات وسائر الافعال فقه وكل
ذلك يحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا
لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها
وشراء الراوية وخرزها اذ لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره
فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره
فى دقائق اسباب الخيوط التى تخرز بها مزاوده وراويته فى طريق
الحج فنسبة هؤلاء من السالك طريق اصلاح القلب الى الواصل
الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكى طريق الحج او ملابسى
اركانها قال الغزالى فتامل هذا ولا واقبل النصيحة مجانا ممن قامت
عليه غالية ولم يصل اليها الا بعد جهد شديد وجراءة تامة على
مباينة الخلق والغاية فى النزوع عن تقليدهم بمجرد الشهوة
وبالله التوفيق فنسئل الله الذى بيده ازمة الامور ان يعصمنا
من زخارف القول والغرور وان يجعلنا من الذين لا تغرهم الحياة
الدنيا ولا يغرهم بالله الغرور وان يعيذنا من الخطاء والزلل فى
القول والعمل انه حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا

بالله

بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا النبي الكريم
كمل كتاب قنطرة العلم بحمد الله وحسن عونه يتلوها
قنطرة الايمان والتوحيد ان شاء الله تعالى *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
(القنطرة الثانية) قنطرة الايمان وسائر قواعد
الاعتقاد والتوحيد وهذه القنطرة التي للايمان مرتبة على
قنطرة العلم وذلك ان سعادة الآخرة العلم ثم الايمان ثم العمل
ثم التوفيق ثم حسن الخاتمة وذلك ان الانسان لما حصل له العلم
الضروري المتيقن بان جميع المحدثات كائنة بعد ان لم تكن وجب
عليه ان يعرف ان لها محدثا احدثها ومكونا كونها فيؤمن به ويعتقد
انه خالقه وموجده على ما هو عليه من صفاته وافعاله فتشتمل
حينئذ هذه القنطرة على خمسة ابواب الاول في معرفة ذات
الله تعالى وينحصر هذا الباب في عشرة فصول الفصل الاول
يحتوي على ترجمة العقيدة والاستدلال على وجود الله سبحانه
بالفاظ وجيزة اما الترجمة فهو ان الله تعالى اوجب على كل عاقل
سلم عقله من الآفات ان يعتقد ان الله سبحانه اله واحد لا شريك
له منفرد لا ند له قديم لا اول له مستمر الوجود لا آخر له ليس
بجسم مصور ولا بجوهر مقدر ولا يماثل الاجسام ولا يتجزأ بالانقسام
ولا تحله الجواهر والاعراض ولا تعتريه الخواطر والاغراض ولا تحويه
الاقطار والجهات ولا تكتنفه الارض والسموات منزه عن التغير
والانتقال مقدس عن الزوال حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور

ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة
والجبروت منفرد بالخلق والاختراع متوحد بالايجاد والابداع
عالم بجميع المعلومات محيط بما يجرى من تخوم الارض الى
اعلى السموات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى
السماء يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة
الظلماء يعلم حركات الخواطر وما يختلج فى مكنون الضمائر
عالم بما كان وما يكون من ظاهر ومكنون يعلم ذلك بنفسه
وبذاته لا بعلم متجدد قائم بالذات تعالى عن حلول المعانى
والآفات وهو تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات خالق لجميع
الموجودات وافعالها مقدر لارزاقها وآجالها لا يقع كفر ولا
ايمان ولا نكر ولا عرفان ولا سهو ولا نسيان الا بقضائه
ومشيئته وحكمه وارادته لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه
لم يزل واحدا حيا عالما قادرا مريدا فى الازل لوجود الاشياء
فى اوقاتها التى قدرها لها فوجدت فى اوقاتها كما قدرها
من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته
وهو سبحانه سميع لا تخفى عنه الاصوات بصير لا تغيب عنه
الالوان لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن
رؤيته مرئى وان دق يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع
من غير اصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ولا جنان وهو
تعالى متكلم بلا شفة ولا لسان وآمر بالطاعة والاحسان
ناه عن الاساءة والعصيان واعد على طاعته ثواب الخلد
والجنان متوعد على معصيته عقابا بين اطباق النيران وانه
تعالى حكيم فى افعاله عادل فى احكامه متفضل بالانعام

ممتن بالاحسان لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانه تعالى بعث
رسوله النبي الامين محمد بن عبد الله خاتم النبيين الى الجن
والانس اجمعين فنسخ بشريعته جميع الشرائع المتقدمة
الا ما لا ينسخ من التوحيد ومكارم الاخلاق المتممة
فختم به الانبياء وفضله على جميع اوليائه من الانبياء
والاصفياء ومنع سبحانه كمال التوحيد الذي هو قول لا اله
الا الله ما لم تقترن به الشهادة لرسوله بانه محمد رسول الله
والزم الخلق تصديقه في جميع ما قاله واخبر عنه من ان
الموت حق وان البعث حق وان الحساب حق وان الجنة حق
وان النار حق وان لله جملة الانبياء والرسل وجملة الملائكة
والكتب والايمان بالقضاء والقدر وولاية اولياء الله من
الاولين والآخرين والعداوة لاعدائه من الانس والجن
اجمعين ومعرفة التوحيد والشرك وفرق كبائر الشرك من
كبائر النفاق ومعرفة تحريم دماء المسلمين واموالهم وسبي
ذراريهم بالتوحيد الذي معهم ومعرفة تحليل دماء المشركين
واموالهم وسبي ذراريهم بالشرك الذي معهم ومعرفة الملل
واحكامها واعتقاد العبودية لله تعالى بجميع اوصافها وبالله
التوفيق فينبغي ان يلقن الصبي هذه العقيدة مشروحة
في اول نشوه ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناها
في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان
والتصديق بها وذلك مما يحصل في قلب الصبي بغير برهان ثم
لا بد من تقويته بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث وفهم

معانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يطلع عليه من انوار العبادات ووظائفها وبما يسري عليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم فيكون اول التلقين كالقاء البذر في ارض الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة في الصدر اصلها ثابت وفرعها في السماء ثم اذا وقع نشو الصبي على هذه العقيدة مشروحة ولم ينفتح له غيرها ولم يطلع على اختلاف الناس حتى يميز بين البدعة وغيرها فاستمر على وظائف العبادات واجتناب المحرمات حتى مات على ذلك فانه ناج في الآخرة ان شاء الله اذ لم يكلف الرسول عليه السلام اجلاف العرب اكثر من التصديق والجزم بظاهر هذا الاعتقاد وهو الايمان بالله وبرسوله وبما جاء به انه حق من عند ربه فاما البحث والتفتيش عن اختلاف الناس وتكلف نظم الادلة لذلك فلم يكلفوا ذلك اصلا وان ساعده التوفيق في سلوك طريق الآخرة حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل برياضة النفس والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية تكشف له عن حقائق هذه العقيدة بنور يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعد الله تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وبالله التوفيق

*(فصل) * واما الادلة على وجود الله تعالى فيكفي في ذلك ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله تعالى بيان قال

الله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله وجنات
الفافا وقال سبحانه ان فى خلق السموات والارض الى قوله
والسحاب المسخر بين السماء والارض الآية وقال تعالى الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا الى قوله ويخرجكم اخراجا
وقال جل جلاله افرايتم ما تمنون، انتم تخلقونه الى قوله ومتاعا
للمقوين فليس يخفى على من له ادنى عقل وتمييز اذا تامل بفكره
مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الارض
والسموات واصناف الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب
الذى احكم غاية الاحكام ورتب هذا الترتيب لابد له من
صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس
تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبير
ولذلك قال تعالى افى الله شك فاطر السموات والارض وقال
تعالى فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغنى عن اقامة
برهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار
نقول فى انطباق فطرة العقول ان الحادث لا يستغنى فى حدوثه
عن محدث يحدثه فالعالم باسره حادث لان كل حادث لابد له ان
يكون مختصا بوقت يجوز فى العقل تقدير تقدمه وتاخره واختصاصه
بوقت معلوم يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا ان
العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة
والسكون وهما حادثان لاجل تعاقبهما ووجود البعض منهما
عقيب الآخر وذلك مشاهد فى جميع الاجسام فما من ساكن
الا والعقل قاض بجواز تحركه وما من متحرك الا والعقل قاض

بجواز سكونه فالطارى منهما حادث لطروه والسابق حادث لانه
لو ثبت قدمه لاستحال عدمه فلما ثبت ان الاجسام لا تخلو
عن الاعراض وانها تتعاقب على الاجسام وهى حوادث فلم يسبق
الحادث فهو حادث مثله واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث
من المدركات الضرورية وبالله التوفيق * (الفصل الثانى) *
العلم بان البارى سبحانه قديم لا اول لوجوده والدليل على قدمه
كونه قبل الحدث لان معنى الحدث ما لم يكن ثم كان ومعنى القديم
ما كان بغير تكوين وهو الله سبحانه لانه كان ولا شئ معه ثم
كون الاشياء فلو لم يكن قديما لكان محدثا مفتقرا الى محدث يحدثه
وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل
لم يحصل وينتهى الى محدث قديم وذلك هو المطلوب الذى
هو صانع الاشياء وبارءها ومحدثها وموجدها هو الاول
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * (الفصل الثالث) *
العلم بانه تعالى لا نهاية لوجوده ودوامه لان ما ثبت قدمه استحال
عدمه والدليل على ذلك انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم
بنفسه او بمعدم هو غيره فلو جاز ان ينعدم شئ يتصور دوامه
بنفسه لجاز ان يوجد شئ بنفسه فكما يحتاج طرو الوجود الى
سبب فكذلك يحتاج طرو العدم الى سبب وباطل ان ينعدم
بمعدم هو غيره لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود
معه وقد ثبت بما قدمناه انه قديم لا اول لوجوده فكيف
كان وجوده فى القدم وحده ومعه ضده وان كان الضد
المعدوم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث بمضادته القديم حتى
ينقطع وجوده باولى من القديم فى مضادته الحادث حتى يدفع

وجوده

وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث فثبت انه لا آخر لوجوده ولا نهاية لدوامه وبالله التوفيق *(الفصل الرابع)* العلم بأنه ليس بجوهر متحيز ودليله ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه والسكون والحركة حادثان فما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم وذلك محال فثبت انه موجود قديم ليس بجوهر تعالى عن ذلك *(الفصل الخامس)* العلم بانه تعالى ليس بجوهر مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر فلما بطل كونه جوهرا مختصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم لابد ان يكون مختصا بحيز مركبا من جوهرين فصاعدا والجوهر والجسم يستحيل خلوهما عن الحوادث من الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئات والمقدار فهذه دلائل الحدث تعالى عن ذلك علوا كبيرا *(الفصل السادس)* العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم في الجسم او حال في محل لان العرض هو ما يحل في الجسم ويعترض فيه من حركة وسكون فكل جسم حادث ومحدثه موجود قبله فكيف يكون حالا في جسم وقد كان في الازل ولا شئ معه موجود ثم احدث الاجسام والاعراض ويحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض فان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ لاستحالة مماثلة الصناعة صانعها *(الفصل السابع)* العلم

بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالامكنة والجهات
فان الجهات اما فوق واما اسفل واما يمين اوشمال او قدام او
خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها واحدثها فلواختص
بجهة ما لكان متحيزا محدودا كاختصاص الجواهر والاجسام
وتحيزها بالامكنة والجهات وقد ثبت استحالة كونه
جوهرا اوجسما فاستحال كونه مختصا بجهة فمن زعم انه
مختص بجهة فوقية قيل له لوكان فوق العالم بجهة لكان
محاذيا له وكل محاذ لجسم فانه لابد ان يكون مثله او اصغر
منه اواكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر يتعالى عنه
الواحد المدبر واما رفع الايدى عند السؤال الى جهة السماء
فهو لانها قبلة للداعى وفيه ايض اشارة الى ماهو وصف
للمدعو من الجلال والكبرياء وتنبيها بقصد جهة العلو
على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر
والاستيلاء * (الفصل الثامن) * العلم بانه تعالى
مستوعلى العرش بالمعنى الذى اراده الله تعالى بالاستواء
وهو الذى لاينافى وصف الكبرياء ولا تتطرق اليه سمات
الحدث والفناء وهو استواء القهر والغلبة والاستيلاء
كما قال الشاعر *

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

فاضطر اهل الحق الى هذا التاويل ما اضطر اهل الباطل الى
تاويل قوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم اذ حمل بالاتفاق
على الاحاطة والعلم فحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله

عليه السلام الحجر الاسود يمين الله فى ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر وكل ذلك محال وما يؤدى الى المحال فهو محال * (الفصل التاسع) * العلم بانه تعالى منزه عن الرؤية والادراك بالابصار اذ هو تعالى مقدس عن الجهات والاقطار لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فهذه مدحة امتدح تعالى بها عن الادراك بالبصر كما امتدح بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم عن الغفلة وحلول الآفة من النوم والسنة فان قال قائل لا تدركه الابصار يعنى فى الدنيا قيل له لا تاخذه سنة ولا نوم فى الدنيا فان حاول بينهما فرقا لم يجد الى ذلك سبيلا وقد استقصينا شرح هذه الفصول والحجج عليها فى كتاب شرح قصيدة الشيخ ابى نصر رحمه الله * (الفصل العاشر) * العلم بانه عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع وتوحد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساميه ويساويه لا ضد له فينازعه وينا ويه ودليله قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان مقهورا له عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا فمدار هذا الباب على عشرة اصول وهى العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر

ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان
دون مكان وانه مستو على العرش وانه ليس بمرئى وانه
واحد لا شريك له *

(الباب الثانى في معرفة صفات ذاته)

ويشتمل على عشرة اصول وهى العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وان صفاته
هى هو وانها غير قائمة بالذات غير متغايرة بينها البين وبالله
التوفيق الاصل الاول العلم بان الله تعالى عالم بجميع الاشياء
ماكان منها وما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون علم ذلك
بنفسه وبذاته لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال
لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء يعلم وساوس
الضمائر وهواجس الافكار والسرائر صادق فى قوله وهو بكل
شئ عليم ومرشد المصدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير ارشد سبحانه الى الاستدلال بالخلق على العلم لانه
لا يسترييب ذو عقل فى دلالة الخالق اللطيف المحكم على الصنع
الموثق بالترتيب والنظم العجيب ولو فى الشئ الحقير على علم
الصانع الخبير فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف
لاهل العقول والدراية الثانى العلم بانه تعالى قادر وانه
جل وعلا فى قوله وهو على كل شئ قدير صادق لان العالم باسره
محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج
حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم
توهم صدور ذلك من ميت لا استطاعة له او من انسان
لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل منخرطا فى سلك اهل

الغباوة والجهل **الثالث** العلم بانه تعالى حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فان من ثبت علمه وقدرته ثبتت بالضرورة حياته اذ الاموات استحالت منهم القدرة والعلوم ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات **الرابع** العلم بانه تعالى مريد لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو تعالى المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده مما يجوز عليه وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه وكيف يكون الها قادرا من يكون في ملكه ما لا يريده بل هو مستكره عاجز تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهو تعالى مريد بذاته حي عالم بنفسه وبذاته **الخامس** انه تعالى سميع لا تخفى عليه الاصوات بصير لا تخفى عنه الالوان لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فالسمع كناية عن درك الاصوات والبصر كناية عن درك الالوان وذلك نفس العلم وهما صفتان لله سبحانه في ذاته صفتا كمال في حقه سميع ليس باصم بصير ليس باعمى فهاتان صفتا كمال في المخلوق فكيف الخالق لانه لو لم يكن كذلك كيف تستقيم حجة ابراهيم الخليل عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام غيا وجهلا فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولو انقلب

عليه ذلك وفي معبوده لا صحت حجته داحضة ودلالته
ساقطة ولم يصدق قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية
حاشا خليل الرحمن عن مقالة اهل الطغيان فكما عقل كونه
فاعلا بلا جارحة عالما بلا قلب ولا دماغ فليعقل كونه
بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا آذان اذ لا فرق بينهما **السادس**
انه تعالى متكلم ليس باخرس وكلامه على وجهين احدهما
الكلام الذي هو صفة له على نفي الخرس عنه فذلك صفة له
في ذاته لم يزل موصوفا به والثاني كلامه الذي هو القرآن وسائر
كتبه المنزلة فذلك فعل من افعاله لقوله تعالى فاجره حتى
يسمع كلام الله ولا يسمع الانسان كلامه الا باذنيه وهذا
المسموع محدث وتركنا ما وراء ذلك من الحجج مخافة التطويل
اذ ليس هذا فصل الجدال واتساع المجال وقد وصف الله
تعالى كلامه الذي هو القرآن بالتشابه والتماثل والاتصال
والانفصال واخبر انه في اللوح المحفوظ وفي صدور الذين
اوتوا العلم ووصفه بالذهاب والحدوث والنزول وغير
ذلك من دلائل الحدث ومعاني المخلوق وبالله التوفيق
السابع انه تعالى منزه عن حلول الحوادث والآفات
كحلول الاعراض في الاجسام بل هو سبحانه متصف بمحامد
الصفات فلا تعتريه التغييرات لان محل الحوادث لا يخلو
عن حوادث تعتقب عليه وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وانما ثبت نعت الحوادث للاجسام من حيث تعرضها للتغاير
وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول
التغيير تعالى عن ذلك علوا كبيرا **الثامن** ان صفاته

تعالى هي هو ولا غيره ليس هناك معنى يفارقها ويلازمه فقولنا الله تعالى موجود اثباته ليس هناك وجود غيره يخالفه او يوافقه وقولنا الله تعالى حي اخبار عن الذات انها ليست بميتة ولها التصرف في الغير وقولنا الله قادر اخبار عن الذات انها ليست بعاجزة ولا يعجزها شيء وقولنا الله مريد اخبار عن الذات انها غير مكرهة ولا يفوتها شيء وكذلك سائرها وليس في ان نفينا عن الذات هذه الامور ما يقتضي ان معها شيء غيرها يقاومها فيضاهيها وشيء غيرها تستعين به او يكون جزءا منها وذلك محال في ذات الباري سبحانه والقديم سبق الحدوث والعجز والحاجة وجوده فمن حصل له اسم القدم حصلت له الالوهية والصفات الكاملة وذلك عن غير الله منفي ولا قديم الا الله ولا اله الا الله واستاثر هو بالكمال ولم يبر الغير من النقصان وبالله التوفيق التاسع ان صفات الله تعالى ليست معاني غيره ولا هي قائمة بذاته تعالى عن ذلك وانما ذلك قول الاشعرية وهذا شبيه بقول المتكلمين ان الاعراض حالة في الاجسام فلو جعلوا الاعراض قائمة بالجسم والمعاني الذي ذكروها حالة في ذات الباري سبحانه لما زادوا فاتوا على معنى قولهم هذا بالمعنى الموجود في الاجسام صراحا ونحلوه ذات الباري سبحانه براحا فان قالوا انكم ابطلتم المعنى المعقول في لغة العرب انهم اذا وصفوا انسانا بالشجاعة او بالجبن او السخاء او البخل اثبتوها صفا تا غيره قلنا ان العرب اذا وصفت شيئا بصفة انهم انما يتوجهون الى معنى تلك الصفة وليس في لسانهم ما يقتضي انها هي هو او غيره وانما

تدرك معرفة ذلك من وجه آخر من طريق من نظر في ذوات
العالم وعلى ان الجسمية صفة للجسم وليس في ذلك ما يقتضي
انها غير الجسم وكذلك العرضية صفة للعرض والخلق صفة
للخالق وهي هو وبالله التوفيق العاشر ان هذه الصفات
التي ذكرناها من العلم والقدرة وسائرها غير متغايرة بينها
البين فان قالوا العلم هو القدرة في سائرها قلنا هذا ممنوع من
جهة اللغة والتخاطب بين الناس ولو اطلقه انسان لما جاوز
خطاءه اللغة وهو احسن حالا ممن اخطأ في صفات الله تعالى
اعلم ان هذه الصفات التي ذكرناها صفات ذات لم يزل الله تعالى
متصفا بها في الازل والمحال اذ لو حدث العلم لكان قبله جاهلا
ولو حدثت القدرة لكان قبلها عاجزا ولو حدثت الحياة لكان
قبلها مواتا ولو حدثت الارادة لكان قبلها مستكرها ولو
حدث السمع والبصر لكان قبل ذلك اعمى اصم فهذه صفات
ذات مهما انخرمت منها صفة اختلت الالوهية فان
قال قائل ولو حدث الكلام لكان قبله اخرس فالخرس
ضد الكلام ونقيضه فالكلام اذا من صفات الذات
قيل له قد تقدم القول في ذلك ان كلام الله تعالى على
وجهين فكلامه الذي هو صفة ذاته يوصف به على نفي
الخرس عنه لانه تعالى متكلم ليس باخرس وليس الخرس بنقيض
الكلام وانما الخرس آفة وزمانة لا يستقيم معها الكلام كما ان
العجز آفة لا يستقيم معها الخلق وهما منفيان عنه تعالى
بالقدرة وانما ضد الكلام السكوت لانه قد يكون للحي ساكتا
لا متكلما ولا اخرس والوجه الثاني كلامه الذي هو القرآن

وسائر كتبه تعالى هو فعل من افعاله وخلق من خلقه اذ
وصفه الله تعالى بصفات الحدث كما قدمنا واعلم انه لا يجوز
ان يقال الله سبحانه علم بعلم وقدرة في سائرها لانه يوهم
عليه الاستعانة بها تعالى عن ذلك وانما يقال علم بنفسه
وبذاته وكذلك سائرها وبالله التوفيق *

(الباب الثالث) في افعاله تعالى ومدارها يحتوى
على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل
بالخلق وان له تكليف العقلاء وان ايلام البرئ عدل منه تعالى
وانه لا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان
بعثة الانبياء جائز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثابتة مؤيدة بالمعجزات وبالله التوفيق *(الاصل الاول)*
العلم بان كل حادث في العالم فهو خلقه وفعله واختراعه لا خالق
له سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد
قدرتهم وحركتهم فجميع افعال العباد مخلوقة له ومتعلقة
بقدرته تصديقا لقوله تعالى خالق كل شئ وقوله والله خلقكم
وما تعملون وقوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد
بالتحرز في اقوالهم واسرارهم وضمائرهم لعلمه موارد افعالهم
واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون لفعل العبد خالقا
وهو سبحانه يقول وقدرنا فيها السير وقال وانه هو اضحك
وابكى وقدرته تعالى تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة
ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها

فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون للحيوان مستبدا بالاختراع والخلق وقد يصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الالباب فكيف انفردت هى بخلقها واختراعها دون رب الارباب جل جلاله وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات على انفراد جبار الارض والسموات بالخلق والاختراع والانشاء والابتداع والايجاد والابداع * (الاصل الثانى) * ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد وسكناتهم لا يخرجها عن كونها مقدرة للعباد على سبيل الاكتساب فالله سبحانه خلق القدرة والمقدور جميعا والكسب والمكتسب جميعا فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فسميت باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون الفعل جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها فاذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وقد قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل الى العباد والتعذيب الى نفسه فى فعل واحد والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن

الله قتلهم الى قوله ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا فكانه قال ومارميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فرد تعالى فى هذه الآية على المعتزلة والجبرة جميعا ولانه ليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدوران يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى فى الازل كانت متعلقة بالمخلوقات ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها فافهمه فانه معنى غامض وبالله التوفيق * (الاصل الثالث) * ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادالله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله سبحانه ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولوشاء الله لهدى الناس جميعا ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصى والجرايم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هى جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو لله سبحانه والجارى على وفق ارادة العدو اكثر من الجارى على وفق ارادته فليت شعرى كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى رتبة لورد اليها سيد

صنيعة لاستنكف منها اذ لوكان ما يستمر لعبد والسيد في قرية
اكثر مما يستمر له لاستنكف من سيادته وتبرا عن ولايته
والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك يجار على قياد قول
المبتدعة على خلاف ارادة الخالق وهذا غاية الضعف والعجز
تعالى رب العالمين عن قول الظالمين علوا كبيرا فمهما ثبت
ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل كيف
ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا
ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد
عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده
بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد
من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان
عذره عند السلطان متمهدا ولو كان مريدا الامتثاله لكان
مريدا الهلاك نفسه وهو محال * (الاصل الرابع) * ان الله تعالى
متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق
والتكليف واجبا عليه خلافا للمعتزلة الذين زعموا ان التكليف
لا يكون الا من طريق مصلحة العباد واستدل ابو يعقوب على فساد
قولهم هذا بقول الله سبحانه فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم قال وهذا تكليف عقوبة لا مثوبة وهذا في حق
الله سبحانه محال اذ هو الموجب والآمر والناهي سبحانه وكيف
يتعرض لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد
امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد
ان يطيع الله تعالى او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان
يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال

كما يقال وجود المعدوم واجب اذ عدمه يؤدى الى محال وهو
ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تعالى
على المعنى الاول فقد عرضنه للاضرار وان اراد به المعنى الثانى
فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم وان اراد به
معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام
فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب
فى حقه معنى ثم ان مصلحة العباد فى ان يخلقهم فى الجنة واما
ان يخلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر
العقاب وهول العرض للحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى
الالباب * (الاصل الخامس) * ان الله سبحانه تكليف العباد
اذ ركب فيهم العقول السالمة من الآفات وليس من الحكمة
اهمالهم مع العقول لان ذلك يؤدى الى اباحة الشتم له والاجتراء
عليه بما ليس من اهله فكيف وقد نزه الجليل سبحانه نفسه عن
هذه الصفة فقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية وقال تعالى
ايحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى فكما
انه ليس من الحكمة تكليف من انعرى من العقل والتمييز اذ
كان ذلك بمنزلة تكليف الاصم السمع وبمنزلة تكليف الاخرس
النطق فكذلك ليس من الحكمة اهماله مع العقل والتمييز وقد
زعمت الاشعرية وغيرهم انه يجوز على الله سبحانه تكليف
العباد ما لا يطيقونه ولم تجز ذلك المعتزلة فيما حكى عنهم والله
اعلم واستدل لمن اجاز ذلك انه قال لو لم يسغ ذلك لاستحال
سؤال دفعه قال وقد حكى الرب سبحانه عن عباده انهم سالوه
دفع ما لا يطيقونه فقال مخبرا عنهم فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة

لنا بر قالوا ولان الله تعالى اخبر نبيه عليه السلام ان ابا
جهل لا يصدقه ثم امره تعالى ان يصدق نبيه عليه السلام
في جميع اقواله قالوا وقد كان في جملة اقواله انه لا يصدقه
فكيف يصدقه في انه لا يصدقه قالوا فهذا محال وجوده
وقول المعتزلة عندي في هذا اقرب الى الصواب والله اعلم
* (الاصل السادس) * واختلفوا هل يجوز على الله سبحانه
ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم منهم سابق ولا لعوض
ثواب لهم لاحق فمنعت المعتزلة ذلك واجازته الاشعرية
وغيرهم واستدلوا بان قالوا ان لله تعالى التصرف في ملكه
ولا يتصور ان يعد تصرفه في ملكه قالوا والظلم انما هو عبارة عن
التصرف في ملك الغير وهو محال على الله سبحانه فانه لا يصادف
لغيره ملك حتى يكون تصرفه فيه ظلما واستدلوا ايضا على
جواز ذلك بذبح البهائم وذلك ايلام لها وبما صب عليها من
انواع العذاب من جهة الآدميين ولم تتقدم لها قبل ذلك جريمة
ولا لها في الآخرة ثواب وليت شعري كيف قولهم في المجبرة
الذين زعموا ان الله اجبرهم على افعالهم ثم عذبهم عليها او صفوه
بقولهم هذا بالظلم ام لا والله اعلم وقولنا في هذا وغيره من جميع
ما يسع جهله قول المسلمين وبالله التوفيق * (الاصل السابع) *
ان الله سبحانه يفعل ما يشاء بعباده فلا يجب عليه رعاية
الاصلح لهم في ذلك لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا
يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
ولاتفاق الجميع ان الامر في مقتضى اللغة لا يفيد حسن المامور
ولا النهي قبح المنهي عنه ان هذا حسن وان هذا قبيح وانما

يعلمان من جهة الشرع ولا يعلمان من جهة المصلحة خلافا
للقدرية الذين يقولون ان الله عز وجل لا يكلف عباده الا من
جهة المصلحة وفي كتاب الغزالي قال في هذه المسئلة وليت
شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب على الله
تعالى فقال بم يجيب عن مسئلة نفرضها عليه وهو ان تفرض
مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبالغ مات مسلما
فان الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه
تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند
المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول
الرب تعالى لانه بلغ واجتهد في الطاعات فيقول الصبي انت
امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد
فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بتطويل العمر دوني
فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت
او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي
عن الله عز وجل قال فعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى
ويقولون اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا
فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فبم يجاب عن ذلك
وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تتعالى
بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال وبالله التوفيق
* (الاصل الثامن) بيان معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة
بايجاب الله تعالى وشرعه لا بمجرد العقل خلافا للمعتزلة لان
العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة
وهو محال لان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفائدة

وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى غرض المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه سيان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له التلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر الا بنظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر اذا فيؤدي ذلك الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تنزعج عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت وراءي ولا التفت وراءي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتعرضه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا

ضرر على ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما على البلاغ المبين
والشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد
فهم كلامه والاحاطة بامكان مايقوله في المستقبل والطبع
يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشئ واجبا ان في تركه
ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف بالضرر المتوقع فان
العقل لا يهدى الى التعرض للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات
فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف
العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب
الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة والله اعلم * (الاصل التاسع) *
انه ليس يستحيل بعثه تعالى للانبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة
حيث قالوا لا فائدة في بعثهم اذ لا يخلو ما جاؤا به ان يكون موافقا
للعقل او مخالفا له فمحال ان يخالف الشرع العقل وان كان موافقا
لما في العقل ففي العقل كفاية عنهم فالحجة عليهم ان العقل يهدى
الى الافعال المنجية في الآخرة كما يهدى الى الادوية المفيدة للصحة
في الدنيا فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء فكما يعرف
صدق الطبيب بالتجربة كذلك يعرف صدق الرسول بالمعجزة
والله اعلم * (الاصل العاشر) * ان الله سبحانه قد ارسل محمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله
من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة
والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجما
وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدا
مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة
تعرضوا لسبه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله

اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظامه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه عليه السلام اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي الرسول عليه السلام نزل منزلة قول الله تعالى صدق رسولي وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت وبالله التوفيق

(الباب الرابع في تصديق الرسول عليه السلام)

فيما ورد على لسانه من عند ربه تعالى اعلم ان هذا الباب يحتوي على مقدمة وعشرين مسئلة تجري مجرى الاصول والامهات في الاعتقاد الوارد على لسان الرسول في السمعيات اما المقدمة فهو ان تعلم ان جملة التوحيد واجبة على كل عاقل مكلف وهي ثلاث جمل لا يستغني بعضها عن بعض وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان ما جاء به حق من عند الله فهذه الثلاث جمل لا يسع جهلها كل عاقل مكلف عند اول بلوغه ولا يخرج من الشرك ما لم يات بها نطقا باللسان واعتقادا بالجنان لقول الله تعالى امنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا ولقوله عليه السلام لا بد من عبد حتى يؤمن باربع شهادة ان لا اله الا الله

وان رسول الله وانه بعثني بالحق والبعث بعد الموت والقدر فاذا اتى العبد بهذه الجملة فقد تم ايمانه فيما بينه وبين الناس واختلفوا فيما بينه وبين الله فقال بعض العلماء قد تم ايمانه فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس روى هذا عن الامام عبد الرحمن بن رستم وعمروس بن فتح وغيرهما هذا هو الاشهر من دعوة الرسول عليه السلام اجلاف العرب والاوفق لما عليه اوائل الامة قبل وقوع الافتراق فلما وقعت الفرقة وتوزعت الامة شرعت ائمة المذاهب عقائد لاتباعها فيها زيادة تحتوي على بعض اعتقاداتها فرأى مشايخ المسلمين حين تمسكوا بآثار السلف الصالحين واعتصموا بحبل الله المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله وما جاء به حق ليس له طائل ومحصول ان لم يحقق بتصديق القلب بما تضمنته الجملة من الوظائف والاصول فجمعوا في ذلك بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازهما تتضمنان اثبات ذات الاله سبحانه واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول بما جاء به فقالوا لا يتم ايمان المكلف حتى ياتي بعشر كلمات وانا ان شاء الله اضيف اليها بعض ما ورد به الشرع من السمعيات فلنرسم ها هنا عشرين مسئلة تجري مجرى الامهات في اصول الاعتقادات

احدها العلم بان ورود الموت حق على كل مخلوق من سكان الارض والسموات وما بينهما من جميع الحيوانات وان كل نفس ذائقة الموت وسالكة سبيل الفوت وفي الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك

الحياة انا احيي الاموات فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي واختلفوا في كيفية قبض الروح فقال بعض العلماء ان ملك الموت للروح بمنزلة حجر المغنيطس في جذبه للحديد وانه اذا ظهر الملك للروح طار اليه وقال قوم الله تعالى يخرج الروح فيتلقاها الملك والصحيح ان الله سبحانه هو الذي يحيي ويميت وهو اعلم بكيفية ذلك والثانية العلم بان قيام الساعة حق وانها آتية لاريب فيها وهي مما استاثر الله بعلمه لم يطلع عليها احد من خلقه كما قال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي الآية يعني الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي الحديث بين النفختين اربعون سنة او ما شاء الله فالاولى يميت الله تعالى فيها كل حي والثانية يحيي الله تعالى فيها كل ميت والثالثة اعتقاد كون البعث بعد الموت يوم الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء قال الله سبحانه كما بدأنا اول خلق نعيده وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الاشياء قال الله تعالى من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فدلنا بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان وهو ممكن كالاول فيحشر اجساد المكلفين مع ارواحها خلافا للملحدين من اليهود والنصارى والفلاسفة الزاعمين ان الارواح تحشر دون اجسادها وبالله التوفيق والرابعة سؤال الملكين وهما منكر ونكير وقد ورد

بهما الاخبار وذلك ممكن فى العقل اذ ليس يستدعى الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذى به يفهم الخطاب ولا يدفع ذلك بما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النائم ساكن بظاهره ويدرك فى باطنه الآلام واللذات ما يحس تاثيره عند انتباهه من النوم وكان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاءه الله تعالى فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه والله اعلم والخامسة عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الى قوله اشد العذاب وقد اشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذة بالله من عذاب القبر فالتصديق به ممكن ولا يمنع منه تفرق اجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطير فان المدرك لألم العذاب اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها والله اعلم * (المسئلة السادسة) * الميزان قال الله سبحانه فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه فقال اصحابنا ومن وافقهم ميزان الاعمال تمييزها وتفصيلها ووزن النيات المعتقدة لها دليله والوزن يومئذ الحق فيثقل الحق يوم القيامة لصاحبه فينجو به كما ثقل على نفسه فى الدنيا فتحمله فيخف الباطل عند الوزن لصاحبه فيهلك به كما خف على نفسه فى الدنيا فارتكبه ولان الاعمال اعراض لا تظهر للعيان فتوزن بالميزان وانما وزنها تمييزها وتفصيلها والمجازات بها هذا هو المعروف

في لغة العرب يقول الرجل لصاحبه زن كلامك وامورك كما
قال القائل *
وَزنِ الكَلامَ اذا نَطَقْتَ وَاِنَّمَا * يبدى عُيُوبَ ذَوِى العُقُولِ المَنطِقُ
وقال ابو بلال رحمه الله
انى وزنت الذى يبقى ليعدله * تفنى وشيئا فلا والله ما اتزنا
في امثال هذا كثير هذا قول اصحابنا وقال مخالفهم انه ميزان
على الحقيقة ذو كفتين ولسان عظمه مثل طباق السموات
والارض توزن فيه الاعمال تطرح فيه صحائف الحسنات
في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر رجحانها
عند الله تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف السيئات في كفة
الظلمة فيخف بها الميزان واستدلوا بالآية المتقدمة واخواتها
فقالوا ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب رجحانها
عند الله فتصير مقادير الاعمال معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل
في العقاب والفضل في العفو وتضعيف الاعمال والله اعلم *
السابعة الصراط وقد ورد به القرآن فقال اصحابنا الصراط
هو طريق الاسلام ودليله انك لتهدى الى صراط مستقيم
وقوله اهدنا الصراط المستقيم في امثالها واستدلوا بقول
الشاعر وقيل هو جرير *
امير المومنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم
وقال آخر *
اكر على الحرور بين مهرى * لاحملهم على وضح الصراط
ه نا رجل يقاتل ابا بلال رحمه الله فاوخذ فاوتى به ابى بلال
مرداس فاعتذر انه لم يخرج لقتاله فاطلقه ثم عاد فاوتى

به فقتله فقدكان اعتذر فقال ابو بلال لمرداس المؤمن لا
يلسع من جحر افعا مرتين فقال مخالفونا الصراط هو جسر
ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف
تزل عليه اقدام الكافرين فيهوى بهم الى النار وتثبت عليه
اقدام المسلمين فيعبرون عليه على تفاوت درجاتهم منهم
من يمر كالريح وكالبرق وكالفرس الجواد وكالمسرع وغير
ذلك والذى عندى والله اعلم ان الصراط المذكور فى القرآن
على وجهين احدهما طريق الاسلام كما قدمنا والثانى انه
الجسر الموضوع على متن جهنم المرتب عليه القناطر السبع التى
هى مراصد ومحابس للعباد حتى يسئلوا عن السبع السؤالات
المشهورة هذا مشهور فى كتب اصحابنا ويدل على هذا قول الله
تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون اذ
يستحيل حمل الصراط المذكور ها هنا على طريق الاسلام والله
اعلم فهذا ممكن فى العقل لانه ليس فيه ما يحيله ولا فى الشرع
ما يبطله فان القادر على ان يطير الطير فى الهواء قادر على ان يسير
الانسان على الصراط والله اعلم بكيفيته الثامنة الحساب
والايمان به واجب قال الله سبحانه وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وحساب الله تعالى
يومئذ فصل وتمييز لا يشغله حساب احد عن احد كما لا
يشغله رزق احد عن احد وقيل لعلى كيف يحاسب الله العباد
على كثرة عددهم فقال كما يرزقهم على كثرة عددهم ويتفاوت
الخلق فى الحساب من مناقش فيه الى مسامح والى من يدخل
الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسئل الله تعالى من شاء

من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن
تكذيب المرسلين ويسئل اهل البدع عما احدثوا من بدعهم
وعما تركوا من سنة نبيهم عليه السلام ويسئل المسلمين عن
الاعمال كما قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين الآية وقال
تعالى والله سريع الحساب عن الحسن قال اسرع من لمح البصر
وفي الخبر ان الله تعالى يحاسب في قدر حلب شاة ومعنى
الحساب تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزاء على اعمالهم
وتذكيره اياهم ما قد نسوه كما قال يوم يبعثهم الله الى قوله
احصاه الله ونسوه التاسعة الشفاعة وهي حق فمن كذب
بها فقد كذب القرآن وهي المقام المحمود قال الله لنبيه عليه
السلام عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يحمده فيه الاولون
والآخرون يحمده الاولون بما فتح لهم من الشفاعة وكانت مخزونة
لا يصل اليها احد حتى يفتحها النبي عليه السلام ويحمده الآخرون
حيث نجاهم الله من هول المقام والشفاعة انما هي للمسلمين
الذين ماتوا على الطاعة لان الله سبحانه يقول لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني بالعمل الصالح في امثالها
وقال تعالى مخبرا عن اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم في امثالها وكان جابر بن زيد رحمه الله يحلف ما لاهل
الكبائر من شفاعة وكان يقول والله ما شفاعة الملائكة
والنبيين والمؤمنين الا للتائبين وكان يقول ما نالت دعوة
مؤمن منافقا قط والشفاعة ليست لمن استوجب العقاب
فيصير بها الى الثواب ولكن الشفاعة للمؤمنين زيادة لهم في
الثواب وتشريف في المنازل وبالله التوفيق العاشرة

الحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم قد استفاض
الحديث به كقوله عليه السلام وليذادن رجال من امتى على
حوضى الحديث فى امثالها وقد فسر ذلك فى قوله عز وجل انا
اعطيناك الكوثر فى بعض الاقوال ان الكوثر نهر فى الجنة يصب
منه ميزابان فى حوض النبى عليه السلام يشرب منه المؤمنون
قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة فلا
يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة عرضه مسيرة شهر اشد بياضا
من اللبن واحلا من العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء والله
اعلم الحادية عشر الجنة والنار وهما مما يجب اعتقاد كونهما على
كل مكلف واختلفوا اهل هما مخلوقتان ام لا فقالت طائفة هما
مخلوقتان واستدلوا بقوله تعالى فى الجنة اعدت للمتقين وفى
النار اعدت للكافرين قالوا والمعد لا يكون الا حاضرا مع ما
ورد فى ذلك من الاحاديث وقالوا يجب اجراء جميع ذلك على
الظاهر اذ لا استحالة فيه وقال آخرون ليستا مخلوقتين اذ
لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء والقول الاول عندى
اقرب الى الصواب وقد قال تعالى حكاية عن نبيه عليه السلام
ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى
يعنى محمدا رأى جبريل عليه السلام وقد وجدت فى بعض آثار
اصحابنا من اهل المشرق انه روى عن الحسن او غيره عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال الجنة مخلوقة وهى فى السماء والنار مخلوقة
وهى فى الارض والله اعلم وجواب بعض اصحابنا فى ذلك ان
كانتا كانتا وان لم تكونا فستكونا والجنة حق مع ما فيها من المأكول
والمشروب والمنكوح والملبوس وسائر الملاذ المحسوسة ...

وسعادة وغير ذلك قد سبق به قضاء الله سبحانه وقدره
في ازليته قبل وجود عينه فظهر جميع ذلك بحكمة الله سبحانه
على وفق تقديره كل شئ من ذلك في وقته من غير زيادة ولا
نقصان ولا تاخير لشئ منه عند وقته ولا تقديم ولا تبديل
في المقدور ولا تحويل في المحتوم فكل ما ظهر وجوده بعد عدمه
من اصناف الخلائق في ملك الله تعالى فقد سبق به قضاءه
وقدره فالارزاق مقسومة والآثار محتومة والانفاس
معدودة والاجال محدودة لا يستاخر شئ عن اجله
ولا يسبقه ولا يموت احد دون ان يستكمل رزقه ولا
يتعدى ما قدر له كل ميسر لما خلق له من خلق للنعيم يسر
لليسرى ومن خلق للجحيم يسر للعسرى كل ذلك بقضائه
وقدره لا يخرج شئ عن تقديره ولا تتحرك ذرة فما فوقها
في ظلمات الارض الا بقضاء وقدر فعلى المكلف ان يؤمن
بهذا ويتيقن به ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما
اخطاه لم يكن ليصيبه كما صح في النقل عنه عليه السلام
انه قال لعبادة بن الصامت انك لن تجد ولن تبلغ حقيقة
الايمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره انه من الله فقال
يارسول الله كيف لي ان اومن بالقدر خيره وشره قال ان تعلم
ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك
فان مت على ذلك دخلت النار وبالله التوفيق السادسة عشر
في معنى التوحيد والشرك وذلك مما يجب على العبد معرفته ايضا
لانهم قالوا لا يعرف الاشياء من لا يعرف حقائقها اما التوحيد
فمعناه افراد الرب سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم وترك التسوية

بينه وبين العباد في جميع افعالهم وصفاتهم فحقيقة المعرفة به
سبحانه ان تعلم ان الاشياء لا تشبهه ولا يشبهها من جميع الجهات
في اسم ولا صفة ولا ذات ولا فعل لانه لو اشبه شيئا من الاشياء
ولو في اقل قليل لدخل عليه العجز من تلك الصفة فلهذا وجب
على المكلف ان يعرف حقيقة الوحدانية لله تعالى ويصفه بما
يليق به من الصفات وينفي عنه شبه الاشياء من جميع الجهات
واما الشرك فمعناه التساوي في الاذوات او الصفات ومعناه
في الله تعالى التسوية بينه وبين خلقه في الذوات او الصفات
والافعال قال الله سبحانه اذ نسويكم برب العالمين الآية اى في
العبادة والتعظيم واثبات الالوهية والشرك اذا على وجهين
جحود ومساوات ويتصرف على وجوه تركت ذكرها مخافة
التطويل لان اكثر هذا الباب موجود في كتابنا المسمى قواعد
الاسلام وفي غيره وبالله التوفيق السابعة عشر فرق ما بين
كبائر الشرك وكبائر النفاق وقد شدد اصحابنا فيمن لم يفرق
بينهما ان يبلغه ذلك الى الشرك والفرق بينهما الكاذب على الله منافق
والمكذب لله مشرك فالكاذب على الله مثل اهل الخلاف الذين
كذبوا على الله فتاولوا كتابه على غير تاويله في جميع ما كفرهم
به المسلمون مثل ادعائهم الرؤية لله سبحانه في الآخرة بتاويل
الخطاء وكنفيهم خلق القرآن ونفيهم تخليد اهل الكبائر من
هذه الامة في النار بتاويل الخطاء وغير ذلك مما يطول به الكتاب
واما المكذب لله تعالى فهو مثل اهل الالحاد الذين انكروا الله سبحانه
وكذلك كل من انكر وجها من وجوه التوحيد الذى لا يسع جهله
او حرفا من القرآن او فرضا منصوصا فيه او حلل حراما منصوصا

تحريمه في القرآن او حرم حلالا منصوصا فيه مما يطول شرح تلك المعاني فهو مشرك وبالله التوفيق الثامنة عشر ومما يجب على المكلف ان يعلم ان الله امر بطاعته واوجب عليها ثوابا ونهى عن معصيته واوجب عليها عقابا ويعلم الاسلام والمسلمين والكفر والكافرين ويعلم تحريم دماء المسلمين واموالهم وسبى ذراريهم بالتوحيد الذى معهم ويعلم تحليل دماء ما ذكرنا من المشركين بالشرك الذى معهم ويعلم ان الله تعالى ممتن على العباد بتكليفه اياهم طاعته وممتن بسائر نعمه عليهم ويعلم ان المخلوقات دلائل على الله سبحانه ويخاف من عقاب الله تعالى ويطمع في ثوابه وبالله التوفيق التاسعة عشر الولاية والبراءة في الجملة وهما سواء لا عذر لمن جهلهما وهما واجبتان على كل مكلف عند حال بلوغه وذلك ان يتولى الله سبحانه واولياءه المسلمين من الثقلين اجمعين من الاولين والآخرين الى يوم الدين ويتبرأ من جميع اعداء الله من الاولين والآخرين الى يوم الدين فهذا واجب على كل مكلف في جملة اعتقاده للدين حتى يقع عليه الفرض في شخص معين اذا صح له فيه ما يوجب ولايته او براءته لان الحكم النقلي يشهدان الامور ثلاثة امر بان رشده فاتبعوه وامر بان غيه فاجتنبوه وامر اشكل عليكم فكلوه الى الله تعالى وبالله التوفيق العشرون في معرفة الملل واحكامها وذلك واجب على كل مكلف في اول حال بلوغه وشدد اصحابنا فيمن جهل ذلك اذ يبلغه الى الشرك وشرح هذه الملل واحكامها موجود في كتابنا المسمى ... عد الاسلام وفي غيره من كتب اصحابنا فمن اراد معرفته فليطلبها هناك فانه لا سعي لاعادة شرحها ها هنا

وبالله التوفيق * (فصل) * اعلم ان التوحيد لا يبقى في الشرع مطلقا ولكن لا بد له ان يتقيد بسبع تقييدات منها ان يكون صادرا من المكلف عن علم محقق لا عن جهل ومنها ان يكون عن يقين لا عن شك ومنها ان يكون عن اخلاص لا عن شرك ومنها ان يكون مقرونا معه العمل والا بطل ولختل ومنها ان يصدر عن القلب واللسان جميعا ومنها ان يتكلم به ابتغاء وجه الله تعالى من غير طمع في الدنيا ولا خوف من اهلها ومنها ان يستصحب حاله ويثبت عليه حتى يموت لا مبدلا ولا مغيرا وبالله التوفيق وكل هذه التقييدات ورد بها الحديث تركتها مخافة التطويل والله اعلم * (مسئلة) * من كتاب الضياء وقيل جعل دين الله تعالى في هذه الاشياء الخمسة اولها المعرفة بالله تعالى والتوحيد له مع اداء فرائض الله في اوقاتها بكمالها واجتناب الكبائر وولاية اهل الطاعة من المكلفين جميعا وفرادى بالقلب من لدن آدم الى ان يفنى الخلق هذه الجملة دين المسلمين من الاولين والآخرين وهذه الخصال الخمس فرض على الخلق من ترك خصلة منها فقد كفر قال وينبغي للعبد ان يتوب ويرجع الى ما خرج منه ان كان وقع شك منه في التوحيد او رياء في فريضة او تهاون بركوب كبيرة ويقول آمنت انه لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان ما جاء به حق من عند الله وان من عصى الله ورسوله حيا كان او ميتا فمات ولم يتب فان الله تعالى سيدخله النار خالدا فيها وآمنت بملائكة الله ورسله وكتبه واليوم الآخر والجنة والنار بدوامها لمن دخلها وان

هذا الثواب والعقاب بعد الموت والبعث وانه ليس للانسان
عند الله الا ما سعى ان كان خيرا فخير دائم وان كان شرا فشر دائم
لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد ووطنت نفسي على
اداء كل فريضة فرضها الله علي او سيفرضها وعلى اجتناب
كل ما حرمه علي وعلى الكف عن التقدم الى شيء حرمه علي مما
هو مشتبه عندي مما يسع الاشتباه فيه وعلى ان لا اطيع
مخلوقا في شيء من معاصيه ابدا وعلى ان لا اجحد كل ذي حق
حقه ولا اقر لاحد بباطل ولا اتولى عدو الله ولا اعادي
ولي الله وان كان مني يوما او ليلة او ساعة من ليل او نهار
تقصير في شيء من هذه الوظائف فاني تائب من ذلك
مستغفر لله منه موطن النفس على ان لا اعود الى شيء من
هذا ابدا وبالله التوفيق *

(الباب الخامس في شرح بعض اسماء الشريعة)

من ذلك التوحيد ومعناه اثبات الواحد جل جلاله ونفي
ما سواه من اله او شريك او ولي او طاغوت فكل ما يعبد سوى
الله يجب نفيه والكفر به والتبري منه وقد بين الرسول
عليه السلام التوحيد وفسره بقوله من وحد الله وكفر بما
يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله وبقوله
بني الاسلام على خمس على ان يوحد الله تعالى الحديث وبقوله
في التلبية لبيك لا شريك لك فالمعنى بالتوحيد اثبات الواحد
ونفي ما سواه وهو معنى لا اله الا الله الواحد الحق وان ما
دونه هو الباطل نبه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال ذلك
بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه هو الباطل وقال

فذلكم

فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال ووجدت في الاثر عن ابي المؤثر انه قال من عرف ان الله عز وجل واحد ليس كمثله شئ فقد عرفه تبارك وتعالى قال فهذا اقل ما يكون به الانسان موحدا والصحيح انه لا يثبت التوحيد لاحد الا بالاتيان بثلاث كلمات وهن الايمان بالله انه رب وبمحمد انه رسول وان ما جاء به حق من عند الله فمن اتى بهذا فهو موحد ما لم يخطر بباله انه تعالى جسم او ليس بجسم او محدود او غير محدود او يرى بالابصار او يدرك بالحواس او غير ذلك فاذا خطر له هذا واشباهه فقد وقع في البلية فعليه ان يعلم ان الله ليس بجسم ولا يشبه الاجسام ولا شيئا من الخلق وانه ليس بمحدود وانه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فان شك في شئ من هذا او وصفه تعالى بغير صفته فهو هالك كافر مسئلة والتوحيد لا يكون العدول فيه حجة دون العقل وهم حجة مع العقل ولا يجوز التقليد في جميع الديانات باتفاق الامة وهذا في جميع ما يكون الحق فيه في واحد ومع واحد وصنا على الناس خلافه لان الله سبحانه اذا تعبد بشئ من ذلك نصب عليه الدليل وقد نهى عز وجل عن التقليد في ذلك وذم من قلد فيه كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة في امثالها من القرآن واما الذي يجوز فيه التقليد للعالم الامين فهو كل ما يسع جهله مما تعبد الله به عباده مما لم ينص عليه في كتابه نصا ظاهرا يدل على مراده فيه ولم ينصب عليه دليلا من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الامة ورد الحكم فيه الى

العلماء المستنبطين ليجتهدوا في استخراج الحكم بر نحو اروش الجراحات ومتعة المطلقات اللاتي لم تفرض لهن الصدقات اذا وقع الطلاق قبل الدخول بهن وغير ذلك من مسائل الاحكام والنوازل فهذا مما يجوز التقليد فيه من الدين وما كان مثله مما كان طريقه طريق السمع ويرجع فيه الى قول اهل العلم لعدم الدليل على حكمه ولا يجوز التقليد عند وجود دليل من الكتاب او السنة او اجماع من الامة او حجة العقل لانه لا معنى للتقليد هناك لان حقيقة التقليد هو قبول قول القائل بغير دليل ولا برهان وبالله التوفيق

(فصل) ويحكى والله اعلم ان رجلا خرج سائحا لله تعالى حتى دخل بيت المقدس فوجد رجلا يصلي في المسجد فلما فرغ قال له السلام عليك ورحمة الله وبركاته فرد فقال السلام على اهل اليقين والتسليم والاسلام اجلس فجلس فلما اطمأن قال له عبد انت ام حر قال بل حر فقال من اعتقك فاطرق المسؤل مليا متفكرا في جوابه ثم قال لا بل عبد فقال من استعبدك فقال المسؤل الله استعبدني وهو معبودي والعبادة طاعة الله تعالى فقال اخبرني عن الله الذي استعبدك اسم هو ام صفة ام فعل ام معنى قال اسم لمن قال الله تعالى قال فاي الحين تعبد الاسم ام المسمى فانقطع المسؤل وتحير في جوابه فقال المصلي يا هذا انما يعبد الله من يعلم ما الله فاما من لم يعرف الله فانما يعبد غير الله ومن عبد غير الله فقد اشرك بالله ثم قال لا يدرك بعقد ضمير ولا احاطة

تفكر ويقال من عبد الله تعالى بتوهم القلب فهو مشرك
ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى
فقد اشرك ومن عبد الاسم دون الصفة لا بالادراك فقد
احال على غائب ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن
حقا وبالله التوفيق * (فصل) * في حقيقة التوحيد
واقسامه اختلف علماء السلف في حقيقة التوحيد
فحكي عن ذى النون المصري انه سئل عن التوحيد فقال
ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاج وصنعه
لها بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه تعالى
ومهما تصور في وهمك شئ فالله تعالى بخلافه وسئل
بعضهم عن التوحيد فقال افراد الموحد بتحقيق وحدانيته
بانه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفي الاضداد والانداد
بلا تكييف ولا تشبيه ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله
شئ وهو السميع البصير وقال بعضهم التوحيد تلاشى
الخلائق عند ظهور الحقائق وقال بعض العلماء اشرف
كلمة في التوحيد ما قاله ابو بكر الصديق رضي الله عنه سبحان
من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
فقال ليس يريد الصديق رضي الله عنه انه لا يعرف قال
فالعارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لان
عند هؤلاء المعرفة ضرورية وهذا كما قال بعضهم ما عرف
الله بالحقيقة سوى الله سبحانه واما اقسام التوحيد
فذكر الغزالي في ذلك ثلاثة اقسام قال ان الله تعالى اوحى
الى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع

قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شئ فان هذا هو الذي يقربك الي قال الغزالي فالتوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر قال وخص الناس اسم التوحيد للقشر الاول وبصنعة الحراسة للقشر الثاني اراد بذلك صنعة الكلام واهملوا اللب بالكلية قال فالقشر الاول هو ان تقول بلسانك لا اله الا الله فقال هذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي تصرح به النصارى اراد قولهم ان الله ثالث ثلاثة قال ولكن هذا التوحيد قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره وهذا هو الزنديق عندنا قال والقشر الثاني هو ان لا يكون في القلب انكار ولا مخالفة لمفهوم قول القائل لا اله الا الله بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به قال وهو توحيد عوام الخلق من المسلمين والمتكلمين الذين هم حراس هذا القشر الذي هو توحيدهم وتوحيد عامة الموحدين يحرسونه عن تشويش المبتدعة اراد ينقضون عليهم بدعهم وخلافهم في التوحيد بالكلام الذي هو صنعتهم قال والثالث لباب الجوهر الذي هو التوحيد قال وذلك لا يفهمه اكثر المتكلمين فان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الانسان الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط والاسباب فلا يرى الخير والشر الا من الله جل جلاله وان يعبده عبادة يفرده بها ولا يعبد معه غيره وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي ان شاء الله ومن ثمراته

ايضا ترك الشكاية الى الخلق وترك الغضب عليهم والتسليم لحكم الله جل جلاله فكان احدى ثمراته قول ابى الدرداء لما قيل له فى مرضه انطلب لك طبيبا قال الطبيب امرضنى وقول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال انى فعال لما اريد قال ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبود اله قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال عليه السلام ابغض اله عبد فى الارض عند الله تعالى هو الهوى قال وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوف احد المعانى التى يعبر عنها بالهوى قال ويخرج عن هذا التوحيد التسخط عن الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ما حول وباى قشر قنع وكيف اتخذوا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى قال وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله عز وجل على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه ظاهر بدنه فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة

ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون
المتوجه اليها متوجها الى الله عز وجل تعالى عز وجل ان
تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب
وهو المطلوب المتعبد منه فكيف يصدق قول من
قلبه متردد فى اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتوجه
بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات
والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد
الحقيقى هو الذى لا يرى الا الواحد الخالق جل جلاله
ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وليس المراد به
القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب
اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب
فهو معدن التوحيد ومقره وبالله التوفيق واما الايمان
فاصله فى اللغة التصديق بالشئ يقال آمن فلان
بكذا اى صدق به وآمن بالوثن والسحر اى صدق بهما
قال الله سبحانه حكاية عن اولاد يعقوب عليه السلام
وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق ثم ان الشرع خصص
هذا الاسم وقصره على الذى يؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله وبما جاءت به الرسل عليهم السلام
فاشتهر هذا الاسم حتى اذا قيل مؤمن لا يعقل منه الا
المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءت
به فمن لم يؤمن بهذه الاشياء فلا يسمى مؤمنا فى الشرع
فالمؤمن اذا على وجهين لغوى وشرعى فاللغوى بمعنى

المقر والشرعي بمعنى الموفي بالدين ومصداق الاول قول الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا الآية وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية وقال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه دخل في هذه الآيات البار والفاجر ومصداق الثاني قول الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وغيرهم المؤمنون باطلا وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله هم فيها خالدون وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون ومن السنة قوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وقوله ليس المؤمن من بات شبعانا وجاره جائع وقوله المؤمن من امن الناس من لسانه ويده في امثالها فاختلف الناس في هذا فقالت طائفة يسمى صاحب الكبيرة مؤمنا بالايمان الذي صدر منه وان لم يكن معه غيره وهم المرجئة وقال قوم يسمى مؤمنا مقصرا والموفي يسمى مؤمنا كامل الايمان وهم الاشعرية وقال قوم يسمى مؤمنا فاسقا وهم المعتزلة وقال اصحابنا ومن وافقهم لا يجوز ان يسمى مؤمنا الا الموفي بالدين قولا وعملا واعتقادا واما المنافق المضيع يقال له آمن ولا يقال له مؤمن قالوا لان المؤمن اسم البدن

وهو اسم مدح لا يسمى به الا الولى الموفق وآمن اى
اقر جائز ان يقال للمضيع آمن اى اقر لان الله تعالى
يقول آمنوا ثم كفروا الآية واحتج الاولون بقول الله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية فسماهم
مؤمنين وهم بغاة والاحتجاج فى هذا يطول ليس هذا
الكتاب موضوعا لذلك وبالله التوفيق * (فصل) *
اعلم ان للايمان ثلاث مقامات احدها انطواء القلوب
وضمير النفوس على اعتقاد التوحيد لغة وشرعا اما
اللغة فقد قدمنا ذكرها واما الشرع فكقول الله تعالى
من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان فى امثالها وسئل النبى عليه السلام عن الايمان
فقال ان الايمان ها هنا واشار الى صدره وقال عليه
السلام الايمان اثبت فى قلوب اهله من الجبال الرواسى
على قرارها ومن طريق جابر بن زيد عنه عليه السلام انه
قال الايمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن وعن ضمام رحمه
الله ان النبى عليه السلام قال لعمار بن ياسر رحمه الله
الايمان احلى من العسل لا يدخل قلب مؤمن ثم يخرج
منه فى امثالها من الاحاديث وجميع ما حكى الله تعالى
فى كتابه من ذم المنافقين الذين آمنوا بافواههم ولم
تؤمن قلوبهم دليل على ان الايمان لا بد فيه من اعتقاد
القلوب حين ذمهم اذ لم يعتقدوه فى قلوبهم
المقامة الثانية الاقرار باللسان نطقا والاعراب عن
الضمير وفقا وقبله صدقا وهذا دون الاول لان

الاول يجزى عن هذه العلل ولا يجزى هذا عن ذلك على
حال لغة ايضا وشرعا اما اللغة فلان نطق اللسان
واقراره عبارة عن التصديق الذى حصل فى القلب قال
الله تعالى يا يها الذين امنوا اى اقروا وقوله عليه السلام
ما آمن من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه
وقال الله تعالى قالوا امنا بافواههم الآية وجميع ما
قدمنا من ذم الله تعالى المنافقين الذين امنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم دليل على ان الايمان فيهما جميعا باثبات
الله اياه فى الافواه وذمهم اذ لم يكتسبوه بالقلوب
قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم الآية والاتفاق
واقع على هذا وانما الكلام فى الاعمال على ما سيأتى ان
شاء الله تعالى المقامة الثالثة من الايمان هو العمل
بالاركان وتحقيقه بالافعال شرعا وسمعا اما الشرع فقوله
الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى
بيت المقدس فى قول اهل التفسير ولاتفاق الجميع ان
الشرع طارى على اللغة وان الشرع قد ورد فى اشياء
نقل لسان العرب اليها فانتقل من ذلك اسم المنافق
كان فى اليربوع فانتقل الى من انسل من الاسلام من
حيث لم يدخل فيه والوضوء فى اللغة الوضاءة والنظافة
فى الجوارح فزاد الشرع المسح والصلاة الدعاء فزاد الشرع
الركوع والسجود والغائط فى اللغة المطمئن من الارض
فانتقل الاسم الى النجس الذى يوضع فيه فغلبت الشريعة

اللسان ولهذا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى
صلاتكم كما قدمنا واما السنة فكقول النبي عليه السلام
الايمان ما نتجزء اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق وقال عليه السلام الحياء
شعبة من الايمان وقال الصبر والسماحة من الايمان
والبذاذة من الايمان وقال حسن العهد من الايمان وقال
الصبر نصف الايمان والوضوء نصف الصبر في امثالها وهذه
الاخبار عنه عليه السلام دالة على ان الاعمال من الايمان
لما قدمنا من احكام الشرع ونقله الاسماء عن مواضعها وبالله
التوفيق فان قال قائل فما الحكم فيمن انعرى من هذه
المقامات الثلاث قلنا قول الله تبارك وتعالى فيهم اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك
هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وان كان
في قلبه وانعرى منه لسانه فهو من الذين قال الله فيهم من قوم
فرعون وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وان كان في القلب واللسان
وانعرى منه العمل فهم من الذين قال الله عز وجل فيهم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
الى قوله وليعلمن الكاذبين فهذا من الكاذبين والاوسط من
المفسدين والثالث من الخاسرين * (فصل) * في درجات
الايمان اعلم ان الايمان في اللغة التصديق كما قدمنا ولكنه
يتفاضل المؤمنون في الايمان على قدر ترقيهم فيه وينحصر
ذلك في خمس درجات احداها درجة الايمان وهو المعنى

الذى كلف الله تعالى عباده المؤمنين ثم رضيه منهم وذلك قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الآية وقال تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وهذه اشارة الى قوله يا ايها الذين آمنوا وقوله آمنوا وعملوا الصالحات فى امثالها وبهذا الايمان رضى الله عز وجل عن خليله ابراهيم عليه السلام حين ساله فقال رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى وذلك حين اراد عليه السلام الترقى فى درجات الايمان الى اعلاه ولم يقتصر فى الشرع على مبداه فطلب مشاهدة احياء الموتى معاينة والذى رضى الله عز وجل به اولا الظاهر من قوله بلى وهو الايمان الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بايمان العجائز وايمان الاعرابى وهذا الايمان هو تصديق عامة المسلمين واعتقادهم وذلك بمنزلة العقدة على القلب من غير كشف ولا انشراح يشتد ويقوى تارة ويضعف ويسترخى تارة كالعقدة على الخيط مثلا وهذا موجود فى اعتقاد المؤمنين والعمل يؤثر فى نماء هذا الاعتقاد وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الاشجار علوا وفى رسوخ اصولها سفلا ولذلك قال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد روى فى بعض آثار اصحابنا قال معنى هذه الزيادة انهم اقروا بجملة الدين ثم اوفوا بها عند التفسير فزادهم الله ايمانا وتصديقا ويقينا فدل هذا على ان الايمان

يزداد بالطاعة وينقص بالمعاصي لان الايمان مائة خصلة اعلاها التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب ولهذا قال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك الختم وتلى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الثانية درجة الظن فاذا تحقق العبد الايمان ورسى في قلبه انتقل الى درجة هي اقوى مما هو فيه وهي الظن الذي مدح الله به المؤمنين حيث قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وقال تعالى وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه وهذا الظن درجة في الايمان اعلا من اوائله ولذلك مدح الله تعالى به المؤمنين وذلك ان الظن في لغة العرب على وجهين احدهما بمعنى الشك كقوله تعالى ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين والثاني معنى يقرب من اليقين وهو ما قدمناه اولا قال الشاعر *

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم بالفارسي المسرد

ظنوا اي تيقنوا وهذا هو الظن الممدوح به المؤمنون قال وذلك ان من سكنت نفسه الى وجود الباري سبحانه ووقع في قلبه الايمان به انتفى عنه الجهل واعتوره الشك والظن وهما طريقان احدهما يمنة والآخر يسرة فالشك

تردد وتوقف بين امرين لامزية لاحدهما على الآخر نحو طريق للجهل والعلم فالظن ترجيح احد الجانبين فمهما ترجح جانب الظن الى جانب العلم كان ظنا محمودا الا انه جاوز حد الجهل والشك الى الايمان فحقيقة الظن ميلان النفس الى تحقيق ما اعتقده المؤمن وآمن به الثالثة درجة العلم وذلك ان الظن يؤول الى العلم لان جل احكام الشريعة انما بنيت على غلبيات الظنون فاذا قوي الظن صار علما وهو ان يلوح المعنى الذي اعتقده القلب فتطمئن اليه النفس وربما يعضده الدليل فيتضح به السبيل وهذا العلم نور يقذف في قلب المؤمن فيتسع القلب به وينشرح قال الله سبحانه ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس الآية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية فقيل ما هذا الشرح فقال عليه السلام ان النور اذا قذف في القلب انشرح له القلب وانفسح قيل فهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فالعلم درجة في القلب اعلا من درجة الايمان ولذلك فرق الله تعالى بين درجة الايمان ودرجة العلم فقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فلحن الخطاب يرفع الله الذين امنوا منكم درجة والذين اوتوا العلم درجات

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال للعلماء درجات
فوق المؤمنين سبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة
خمسمائة عام وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
الآية فان ازداد العلم صار يقينا الرابعة درجة اليقين قال
الله تعالى فى صفة المؤمنين وبالآخرة هم يوقنون قال ولا
يستخفنك الذين لا يوقنون وقال تعالى وفى الارض آيات
للموقنين وقال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين ومعنى اليقين
ازاحة الشك وهو علم راسخ فى القلب زايلته الشكوك
وفارقه الاضطراب واستحكم فى النفس حتى كاد ان يكون
عن مشاهدة فلهذا قال نبينا عليه السلام من اقل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال لابن عباس اعمل على
الرضا واليقين والا ففى الصبر على ما تكره خير كثير وعنه
عليه السلام انه قال لا ترضين احدا بسخط الله ولا تحمدن
احدا على فضل الله ولا تذمن احدا على ما لم يؤتك الله فان
رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص ولا ترده عنك
كراهية كاره فان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح
والفرج فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك
والسخط وقال بعض العلماء ان اقل اليقين اذا وصل الى
القلب يملأ قلبه نورا وينفى عنه كل ريب ويملأ القلب
شكرا ومن الله خوفا وقال بعض السلف التوحيد نور
والشرك نار وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين
من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد
اشار القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل به على ان

اليقين هو الرابط للخيرات والسعادات وانه اعظم ما يعطى للعبد من الهبات وقال بعض العلماء اول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الاخلاص ثم المشاهدة ثم الطاعة والايمان اسم لجميع هذا كله اشار هذا القائل الى ان اول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وقال بعضهم حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله ويحكى عن ذى النون المصرى انه قال اليقين داع يدعو الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب وقال بعض العلماء ثلاث من اعلام اليقين النظر الى الله فى كل شئ والرجوع الى الله فى كل امر والاستعانة به فى كل حال واختلف فى معنى اليقين فقال بعضهم اليقين علم مستودع فى القلب يشير هذا القائل الى انه غير مكتسب وقال آخرون اليقين تحقيق الاسرار بحكم المغيبات وقال قوم العلم التعلم بمعارضة الشكوك واليقين لا شك فيه واشار الى العلم الكسبى وقيل هو استقرار العلم الذى لا يتحول ولا يتقلب ولا يتغير فى القلب وقال بعضهم اليقين هو المكاشفة وقيل اليقين رؤية العيان بقوة الايمان والله اعلم * (فصل) * ومن كتاب احمد بن بكر قال ومنازل العباد الى الله تعالى على قدر تفاضلهم فى اليقين وسواء فى ذلك الملائكة والنبيون والمرسلون على قدر يقينهم فالملائكة اعظم يقينا من الانبياء والرسل وكذلك الانبياء والرسل اعظم يقينا من غيرهم من المسلمين واصل اليقين

العلم والابلاغ فيه ان الامور كلها من عند الله وقد يتفاضل
الناس فى الدوام عليه وقلة السهو على قدر تفاضلهم واليقين
يصيب المسلم وغير المسلم ولكن لا يستحق به الثواب الا المسلم
الموقن بدينه واما غير المسلم فلا يستحق به الثواب فى
الآخرة ويستجاب الدعاء باليقين للناس كلهم المؤمن
وغيره ولكن غير المؤمن لا يستجاب له الا دعاء الدنيا
خاصة ومن كثرة اليقين تكون البراهين والعلامات
ولكن ليس فى ذلك ما يستوثق به لامر الآخرة ولكن يزيد
بذلك الرغبة والاجتهاد وفى كتاب المحاسبى قال وقالت
طائفة من العلماء اليقين استقرار معرفة العارفين وقالت
طائفة اليقين هو التصديق وروى مثله عن النبى عليه
السلام قال واليقين يزيد بزيادة الايمان وينتقص بنقصانه
قال ويتزايد الناس فى اليقين بلزوم القلب المعرفة التى
يتولد منها اليقين وقد قيل يا رسول الله بلغنا ان عيسى
عليه السلام كان يمشى على الماء قال ولو ازداد يقينا
لمشى على الهواء واما الذى يضعف اليقين فالدخول فيما
لا يعنى واستعمال اعمال اهل الريب والشهرة فى الخلق
بالملبس والمذهب والحلية وذلك بان يدخل فى بعض
الاحوال مثل اللباس الشنيع ويشتهر ويشتغل قلبه فعلى
قدر شغل القلب به يضعف اليقين لعلة اشتغال القلب
واشارة الاصابع وكفى به شغلا وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان له خميصة يصلى فيها
فبعث بها الى ابى جهم فقيل له فى ذلك فقال الهتنى

اعلامها فى الصلاة فمثل ذلك وشبهه يضعف اليقين وقد روى عنه عليه السلام انه قال اخوف ما اخاف على امتى ضعف اليقين والله اعلم *(فصل)* فى تحقيق معنى اليقين ومن كتاب الغزالى قال فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين قال اما النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له اربع مقامات الاولى ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفى بل يستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانية ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز انتفاء امر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مسا ولذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه قال فهذه الحالة تسمى ظنا الثالثة ان تميل النفس الى التصديق بشئ لا بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو خطر بالبال لابت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو اختبر صاحب هذا المقام بالتامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لاتسعت

نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها اذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لها امكان خطاء امامها لنفرت عنه الرابعة المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لاشك فيه ولايتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه سمى عند ذلك يقينا ومثاله اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شئ قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم ايض ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد ولكن ذلك مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايض ضرورى فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الاعتدال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بشئ قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهى اما ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديما وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان

كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدى الى حدوث بغير سبب فثبت القسم الثالث او الاول فكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا يشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء فعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت فى نفى الشك الاصطلاح الثانى للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتحريض والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى ان الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالقوة والضعف فمن شأن علماء الآخرة صرف

العناية الى تقوية اليقين من كلا الوجهين وهما نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا ان اليقين ينقسم انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء اما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر عن الاصطلاح الثاني وفيما انتفى عنه الشك ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع عليه السلام مع انه لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلا واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اى معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه وان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته

وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك وبمعنى الاستيلاء
على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين
فانى مالم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم
ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى آخره
هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة
ومتعلقات المعلومات التى وردت به الشرائع فلا مطمع
فى احصائها ولكنى اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد
وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت
الى الوسائط بل يرى كل واسطة مسخرة لا حكم لها فالمصدق
بهذا مؤمن وان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو
موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال عنه
هيئة الغضب على الوسائط والرضا منهم والشكر لهم
ويرى الوسائط فى قلبه عند حق المنعم بمنزلة القلم واليد
فى توقيع الكتابة فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب
عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا
بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول
وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم
والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره
حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى
المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم
وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الظن
فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله عز
وجل الرزق فى قوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على

الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه فمهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين واما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة فى التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله عز وجل مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خاطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان فى خلوته متادبا فى جميع احواله كالجالس لمشهد ملك عظيم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا قائما متادبا متماسكا متحرزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب فيها ويكون

فى فكرته الباطنة كهو فى اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله عز وجل مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته فى تزيين ظواهره لمباشر البشر وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب كالاغصان المتفرقة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجارى وابواب اكثر مما عددناه وهذا الذى ذكرناه فى اليقين كاف والله اعلم * (الدرجة الخامسة) * درجة المعرفة وذلك اذا قوى يقين العبد ترقى الى درجة المعرفة واختلفوا فى معناها فقال بعضهم المعرفة هى العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عارف بالله عالم به تعالى وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه باسمائه وصفاته ثم صدق الله فى معاملاته ثم ينتفى عن اخلاقه الدنية وآفاته ثم طال بباب الخدمة وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل اقباله وصدق الله فى جميع احواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق اجنبيا ومن صفات النفس بريئا ومن المساكنات

والملا حظات نفيا وحق في كل لحظة اليه رجوعه وصار
من قبل الحق يتعرف اسراره فيما يجرى من تصاريف
اقداره سمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وقال
بعضهم من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى
فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دعامة البيت اساسه
ودعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع قيل
وما العقل القامع قال الكف عن معاصى الله والحرص على
طاعة الله ومعنى المعرفة بالله سبحانه ان تعرفه باياديه
الكاملة وصفاته البالغة وقدرته التامة وافعاله الجارية
فى خلقه من اصناف النعم وضروب النقم فاذا عرف العبد
بهذه المعرفة لزمت قلبه الرهبة منه والرغبة اليه
وامتلأ قلبه له عظمة وحياء وتتزايد المعرفة فى قلب العارف
بحسن التفكر والاعتبار فى اتقان صنع الله الموجودات
وحسن تدبيره فى اصناف المخلوقات ومعرفة الله تعالى
بحر لا يدرك له قعر ولا يحيط به بشر وانما يحوم الخلق على
سواحله واطرافه بقدر ما تيسر لهم من حسن عون الله
والطافه وما خاض اطراف بحر معرفته الا الانبياء والاولياء
والراسخون من العلماء على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف
قواهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذه المعرفة
اذا قويت فى قلب العارف واستحكمت لاح له من ربه اللطف
الخفى والصنع الحفى والنور الجلى واستولى على قلبه حب
ربه واستأنس بذكره فى الخلوات ووثق باسعافه فى المهمات

وغلب نور قلبه على نور بصره فابصر الدنيا خيالا والاخرة
مثالا وتعرف مع ذلك المريد من ربه فى المواطن وكان له
ومعه فى جميع الاماكن حتى كانه يناجيه عندهم ويناغيه
عند غيبه وفى هذه الصفة الحديث الطويل الذى رواه
ابو هريرة واسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ذكر اهل الانقطاع الى الله عز وجل فقال الباسهم
الخرق ومسكنهم الخلق تعرفهم بقاع الارض اذا حضروا
لم يعرفوا واذا غابوا لم يفقدوا والحديث قال الشاعر
قلوب العارفين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون
وقال آخر *
فلولا الله يحفظ عارفيه * لهام العارفون بكل واد
وفى المعرفة معنى الفطنة وعلم تقدمه جهل فلذلك لا يسوغ
على البارى سبحانه ان تقول عارف بل عالم فهذه الدرجات
الخمس التى ذكرناها رتب الانبياء والسابقين والصديقين
والمتقين والصالحين كل يجاهد على قدر قوته ويقرب من
الله تعالى على قدر معرفته نسئل الله تعالى ان لا يخيبنا
من رحمته التى وسعت كل شئ بمنه وكرمه وبالله التوفيق
(فصل) واما الاسلام فمعناه فى اللغة الخضوع
والانقياد قال الله سبحانه حكاية عن بلقيس صاحبة سليمان
عليه السلام واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال
وله اسلم من فى السموات والارض الآية وقال تعالى والقوا
الى الله يومئذ السلم يعنى الاستسلام وقال تعالى قالت
الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا

لامرك استسلاما الا اسلاما فكان الاسلام على هذا
المعنى عبارة من التسليم والاستسلام لله تعالى بالاذعان
والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وقال تعالى ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الاية وقال عليه السلام
بنى الاسلام على خمس الحديث وقوله عليه السلام فى حديث
سعد اومسلم وذلك ان سعد بن ابى وقاص نظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الغنائم ويعطى
الاقوام فنظر سعد الى رجل كان اوثق فى نفسه من
هؤلاء الذين كان يعطيهم فقال يا رسول الله لم لا تعطى
فلانا فلم يكترث به عليه السلام قال سعد فاخذنى
ما قرب وما بعد ثم قمت ثانية فقلت يا رسول الله الا
تعطى فلانا فانى لاراه مؤمنا فالتفت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الثانية او الثالثة فقال اومسلما
ثم قال يا سعد انى والله لاعطى هذا المال اقواما واكل
آخرين الى ايمانهم قال عليه السلام المسلم من سلم الناس
من يده ولسانه والمهاجر من هاجر السيئات ويروى انه
سئل عن افضل الاعمال فقال الاسلام فقيل اى الاسلام
افضل فقال عليه السلام الايمان واعلم ان الناس قد اختلفوا
فى الايمان والاسلام هل هما شئ واحد او كل واحد منهما غير
الآخر وان كان غيره فهل هو منفصل يوجد دونه او هو
مرتبط به وملازم له قيل انهما شئ واحد وقيل هما شيئان
لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر
فنقول ان هاهنا ثلاث مباحث احدها بحث عن موجب

اللفظين في اللغة والثاني بحث عن المراد بهما في اطلاق
الشرع والثالث بحث عن حكميهما في الدنيا والآخرة
فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي
شرعي البحث الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا
اي بمصدق والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد
والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما
التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل
تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك
الاعتراف في اللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح
فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان
عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم
وليس كل تسليم تصديق البحث الثاني عن اطلاق الشرع
والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف
والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل
التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم
آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله
عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث وسئل مرة عن
الايمان فاجاب بهذ الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه
استسلمنا في الظاهر واراد بالايمان هاهنا تصديق القلب

فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح
وفي حديث سعد المتقدم الا تعطى فلانا وانى لاراه مؤمنا
فقال عليه السلام اومسلما وقوله عليه السلام في حديث
جبريل عليه السلام المشهور حين جاءه في صورة اعرابي
فقال يا رسول الله ما الايمان فقال عليه السلام ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والحساب
والقدر خيره وشره انه من الله فقال صدقت فما الاسلام
فقال عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان والحج الى بيت الله الحرام
لمن استطاع اليه سبيلا والغسل من الجنابة قال صدقت
الحديث فذكر عليه السلام الخصال الخمس فعبر بالاسلام
عن تسليم الظاهر بالقول والعمل واما التداخل فما روى
عنه عليه السلام انه سئل فقيل له اى الاعمال افضل
فقال الاسلام فقيل له اى الاسلام افضل فقال صلى الله
عليه وسلم الايمان رواه الغزالي في كتابه فان صح فهو دليل
على التداخل فهذه الاحاديث دليل على الاختلاف والتداخل
وهو اوفق الاستعمالات في اللغة واما الدين فمعناه في
اللغة الطاعة ويتصرف فيها على وجوه يكون بمعنى الجزاء
كقوله تعالى ملك يوم الدين اى يوم الجزاء ويكون بمعنى
الحكم قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اى في حكمه
ويكون بمعنى الحساب ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم
ويأتى بمعنى العادة قل اتعلمون الله بدينكم اى بعادتكم والله اعلم
واعلم ان الدين هو اسم لطاعة الله سبحانه قال الله تعالى الا

لله الدين الخالص وقال تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله الى قوله القيمة اى دين
الحنفية السمحة السهلة فان قال قائل قد نص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل عليه السلام ان الايمان
هو ما يتعلق بالقلب من الاعتقادات وبقوله عليه السلام
الا ان الايمان ها هنا واشار الى صدره وفيه ايضا فهلا
شققت عن قلبه للذى قتل الصارخ بالايمان وان الاسلام
هو ما يتعلق بالجوارح من العبادات ولم يذكر الدين وانت
تتوجب ان الايمان هو الاسلام وان الاسلام هو الايمان
وهما الدين فاعلم ان الايمان اصله التصديق كما ذكرنا وان
الاسلام اصله الاستسلام والخضوع وان الاسلام كله
من قبل التصديق ايمان وان الايمان من قبل الاستسلام
والخضوع اسلام والدين من قبل الايمان تصديق والايمان
من قبل الدين طاعة وان الاسلام من قبل الدين طاعة والدين
من قبل الاستسلام اسلام وكل خصلة من الايمان فهى
اسلام ودين وكل خصلة من الاسلام فهى ايمان ودين
وكل خصلة من الدين ايمان واسلام والى هذا القول ذهب
اصحابنا رحمهم الله وهو الصواب ان شاء الله اذ لا يسعك
ان تنفى الايمان عن الصلاة واخواتها فان اتسع لك فلا
يسعك ان تنفى الاسلام عن الايمان الذى هو الاعتقاد
فيكون الواحد مؤمنا غير مسلم ومسلما غير مؤمن قال الله
عز وجل وذلك دين القيمة وقال ان الدين عند الله الاسلام
وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية

البحث الثالث عن الحكم الشرعي في الاسلام والايمان
اعلم ان لهما حكمين احدهما حكم اخروي وحكم دنيوي
اما الاخروي فالتخليد في النار والاخراج منها واختلفوا
على ماذا يترتب هذا الحكم فمن قائل ان الايمان اقرار باللسان
ومن قائل انه معرفة بالقلب دون اقرار باللسان ومن
قائل ان الايمان معرفة واقرار ومن قائل بمزيد ثالث وهو
العمل بالاركان فالاقوال الثلاثة هو اعتقاد المرجئة في
الايمان على الاختلاف المتقدم والقول الرابع قول سائر
الامة ان الايمان قول وعمل واعتقاد فمن جمع هذه الثلاثة
ومات عليها فلا خلاف ان مستقره الجنة فهذه درجة
الدرجة الثانية اذ يوجد اثنان وبعض الثالث وهو المعرفة
والاقرار وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة ومات
مصرا عليها وقالت المرجئة هو مؤمن لا يعرض على النار
وقالت الاشعرية هو مؤمن عاص في مشيئة الله ان
شاء عذبه وان شاء رحمه وقالت المعتزلة خرج بهذا
عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق منزلته
بين المنزلتين وهو مخلد في النار وقالت الاباضية
ومن وافقها هو منافق كافر كفر نعمة لا كفر شرك وهو
مخلد في النار والاحتجاج في هذا يطول تركته طلبا
للاختصار فان قيل فما حجة المرجئة والمعتزلة قيل انهم
احتجوا بعمومات القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل
النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا
يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله تعالى والذين آمنوا بالله

ورسله اولئك هم الصديقون الآية وبقوله تعالى
كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الى قوله فكذبنا الآية
وقوله كلما القى عام قالوا فينبغى ان يكون المعنى كلما
القى فيها مكذب وبقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى
الذى كذب وتولى فها هنا حصران اثبات ونفى وبقوله
تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون والايمان رأس الحسنات فى امثال هذه العمومات
ولا حجة فى هذا لهم فانه تعالى حيث ذكر الايمان فى هذه
الآية اراد بالايمان مع العمل على ما قدمنا قبل هذا
ودليل هذا التأويل آيات كثيرة وردت فى عقوبة العاصين
كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا وتخصيصه بالشرك تحكم بغير دليل
وقوله الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وقوله ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم فى النار فهذه العمومات فى معارضة
عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على
الجانبين تركته مخافة التطويل واما المعتزلة فاحتجوا بان
صاحب الكبيرة فاسق عدو الله وانه ليس بكافر ولا
مؤمن فاظنهم قالوا الا ان المؤمن اسم مدح قال الله
سبحانه بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال
تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال
تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الآية فى
امثالها والحجة عليهم قول الله تعالى ان المنافقين هم
الفاسقون وقوله وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما

فاسقين وقوله الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ولا يسوغ لاحد ان يجعل قوم نوح وابليس فساقا ليسوا بكفار وقوله تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين وقوله من كان عدوا لله الى قوله فان الله عدو للكافرين فلما كان صاحب الكبيرة عدوا لله علمنا انه كافر والاحتجاج فى مثل هذا يطول وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك وبالله التوفيق واما الحكم الدنيوى فهو ان يشهد بشهادة الحق بلسانه ولكنه لم يصدق بقلبه فلا شك فى هذا انه فى الآخرة من المشركين مخلد فى النار وانه فى حكم الدنيا موحد بظاهر حاله لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله الا بلسانه الا وهو مصدق به فى قلبه وانما نشك فى امر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له فى هذا الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى فيقول انى كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن فى يدى فهل يحل لى فيما بينى وبين الله اونكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا فى محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر فى حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وهو ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله تعالى ان يقال انه لا تحل له الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر

جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه فيما
بلغنا كان يراعى ذلك فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة
والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وان كانت من العبادات
والتوقى عن الحرام ايضا فى جملة ما يجب لله تعالى كالصلاة
وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام
وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر
والباطن فهذا مبحث فقهى ومبنى على ظاهر اللفظ
والعموم فلا ينبغى ان يظن القاصر فى العلوم ان المطلوب
فيه القطع من حيث ورد فى فن الكلام الذى يطلب
فيه القطع فما افلح من نظر الى ظاهر العلوم وبالله التوفيق
* (فصل) * فى معنى الكفر والنفاق والشرك اما
الكفر فهو فى اصل اللغة الستر والتغطية قال لبيد *
يعلو طريقة متنها متواترا * فى ليلة كفر النجوم غمامها
واصل الكفر فى مفهوم كلام العرب جحود المنعم نعمته
والكفر اذا على وجهين اوله كفر المنعم والثانى كفر النعمة
فاما كفران المنعم فالذى جهل ربه او تجاهل او استجهل
اما من جهل ربه فالذى لا يعرفه ولا يثبته كالدهرية
والثنوية وجميع الملل غير ملة الاسلام دليله واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن الآية فاما المتجاهل فالذى قصر عن
بعض ما لا تصح المعرفة الا به اثباتا ونفيا كمن لا يعرف
ما لا يسعه جهله من ذلك دليله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم الآية واما المستجهل فالمتعرض لاوصاف باريه
تعالى بما لا يليق به دليله وما قدروا الله حق قدره الآية

والثانى كفران النعمة بالفعل والمقال فهذا الكفر كفر من جهة اللغة ومن جهة الشريعة وقد اجتمعت الامة على الكافر الاصلى وهو المشرك واختلفوا فى كفر النعمة فنفاه قوم وهم القدرية والمرجئة وسائر الاشعرية واثبته سائر الامة من الاباضية والصفرية والشيعة والكفر المعهود عند العرب كفران النعمة وورد فى الشرع مصداقه قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر ام اكفر وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الى قوله ومن كفر اى ترك الحج وقوله عليه السلام حين سئل عن الحج اواجب فى كل عام فغضب فقال والذى نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تفعلوا ولو لم تفعلوا اذا لكفرتم وقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال عليه السلام سباب المؤمن فسق وقتله كفر وقال عليه السلام ان انتفى الرجل من ابيه كفر ومن ترك الصلاة كفر فى امثالها من الاحاديث فمن صادم هذه الآثار فليحاسب نفسه وليراقب ربه واما النفاق فاصله فى لغة العرب ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو احد ابواب جحره يستعمله مستخفيا يخرج منه عند الضرورة اذا خاف فاخفاه عن العيون وهو اسم شرعى فسره اهل العلم فقالوا انه اختلاف السريرة والعلانية واختلاف القول والعمل والمدخل والمخرج وهذه المقالة تروى عن الحسن البصرى ومعناها عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو قول جل الصحابة رضى الله عنهم وقد

ذكر الله عز وجل المنافقين في آي كثيرة من كتابه فاختلف
الناس فيهم فقال قوم هم مشركون خالف قولهم اعتقادهم
وقال آخرون بل خالف فعلهم قولهم والاصل في هذا قول
الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الآية وذلك ان
اصحاب رسول الله عليه السلام اختلفوا فيمن خلفوا بمكة
ممن آمن وصدق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم
القوم على حقيقة ما انتم عليه وهم اخواننا وانما ثقل عليهم
امر الهجرة والخروج من الوطن فهم مسلمون مؤمنون وقال
آخرون بل هم مشركون لتخلفهم عن الهجرة ولقعودهم بين
ظهراني قوم مشركين فانزل الله عز وجل فيهم هذه الآية
معاتبة للمؤمنين في اختلافهم وردا على الفريقين فسماهم
بخلاف ما سموهم به اذ سماهم البعض مؤمنين والبعض
مشركين وقال تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم
بما كسبوا فاخبر انهم ليسوا بمشركين ولا بمؤمنين لكنهم
منافقون واخبر انه اركسهم بما كسبوا ردا على من سماهم
مؤمنين وسماهم تعالى منافقين ردا على من سماهم مشركين
ثم قال عتابا للمؤمنين اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن
يضلل الله الآية فوقع العتاب هاهنا على من سماهم مؤمنين
ثم قال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فان مودتهم
ان يترك المؤمنون الهجرة كما تركوها هم فيكفرون كما كفروا ثم
قال ولا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فقد
انقطعت الولاية بين المؤمنين والكفار حتى يهاجروا في سبيل
الله ثم قال فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم

الآية فصح انهم قبل التولي لم يصدر منهم فعل يكونون به منافقين الا ترك الهجرة فان وقع التولي وهو الارتداد كان لهم حكم آخر وهو القتل فمن اثبت النفاق في الافعال المخالفة الاقوال فهو اقرب الى الحجة والمحجة ان شاء الله لانهم استدلوا بظاهر هذه الآية وقضوا بان النفاق في الافعال واستدل من شركهم بقول الله تعالى ومنهم من عاهد الله الى قوله فاعقبهم نفاقا الآية قالوا فلما اخبر عن الوعد باللسان وعقب النفاق في القلب علمنا انما سلبهم الايمان الذي يكون في القلب عقوبة لهم ولن يستقيم الايمان والنفاق في قلب واحد وقال الآخرون قد يصح ذلك ويقاوم ايمان القلب فان هذا النفاق دغل وغش في قلوبهم الى المؤمنين والذين قضوا بان النفاق في الضمير تعسفوا لانهم لا يصلون الى الاعتقادات الا بنصوص الشارع والذين قضوا بهذا قد ابعدوا عن انفسهم اسباب الشره لانهم هونوا قاعدة الخوف وسهلوا الطريق الى الجنة والذين قالوا انه في الافعال عظموا اسباب المخاوف فهم احزم وهو الصحيح ان شاء الله ولا يستحيل تصرفه في الوجهين جميعا والاحتجاج في هذا يطول تركته طلبا للاختصار وقد استفاض الحديث بذكر النفاق في الاقوال والافعال كقوله عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق حقا وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر وهو حديث صحيح عند الفريقين وقال عليه السلام اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي

حديث حذيفة رضي الله عنه انه قال كان الرجل يتكلم
بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها
منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات
وقيل له المنافقون اليوم اكثر اذ كان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكثر لانهم كانوا يخفونه
وهم اليوم يظهرونه وقال ايضا انما كان النفاق على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما اليوم فقد كفر واكفرا
مبينا وقيل للحسن يقولون لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو
هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو او غيره
فيما بلغنا لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ الارض
قال وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان
حاضرا اكنت تتكلم به قال لا قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين ووجهين في
الدنيا جعل الله له لسانين ووجهين في النار وقال شر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وحكى
الغزالي في كتابه ان ابن ابي مليكة قال ادركت ثلاثين ومائة
وفي رواية اخرى خمسين ومائة من اصحاب النبي عليه السلام
كلهم يخافون النفاق وفي كتابه قال قال رسوله عليه السلام
في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ومالم اعلم فقيل له اتخاف
يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من
اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء واراد بالاصابع القدرة
وفي حديث ابي سعيد الخدري انه قال القلوب اربعة قلب

اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح
فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها
الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح
والصديد فاى المدتين غلب حكم له بها قال الغزالى
وفى لفظ آخر ذهب به ولما روى الغزالى فى كتابه
هذه الاحاديث فى النفاق ولم يمكنه ردها اضطر
فقال النفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق
بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار قال
والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة او ينقص
من درجات عليين قال واصل هذا النفاق تفاوت
السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور
اخرى لايخلو عنها الا الصديقون وقد روى عن
جابر بن زيد وغيره فى النفاق وكفر النعمة احاديث
وآثار كثيرة تركت ذكرها اذ لا يمكن الاستدلال على
الخصم الا بما يقر به وبالله التوفيق وانما هربوا من
ان يجعلوا فى الكبيرة كفرا ونفاقا جنوحا الى الراحة
ومن قضى فى ذلك بالوعيد اذهب الطمع فى الـبـد
والله اعلم واما الشرك فمعناه فى اللغة التساوى كما
قدمنا قال الله تعالى اذ نسويكم برب العالمين وهو
ينصرف على وجوه كثيرة منها ان يقيم غير البارى
سبحانه فى مقام البارى تعالى فى العبادات والتسمية
بالالوهية كاهل الاوثان ومنها ان ينكر وجود الله
تعالى ومنها ان يجعل له شريكا فى خلقه مما لا يتوهم

للغير فيه شركة ولا صنع كمن نسب جسما من الاجسام
الى غير الله تعالى خلقا ومنها ان يصفه بما يخرجه من
معنى الالوهية وتكذيبه في كلامه وتكذيب رسله
وجهله البعث والمعاد وغير ذلك مما لا يسع جهله
ومنها الشركة في الافعال وذلك بان يتقرب العبد
الى غير الله عز وجل رياء وسمعة كما قال تعالى فمن
كان يرجو لقاء ربه الآية ومنها شرك الاكراه ولكن
لا يعاقب العبد عليه لانه قد ابيح له النطق به في حالة
الاكراه بشرط طمانينة الايمان في القلب ومنها الشرك
المركب في قلوب العباد من الجزع والهلع وقلة الثقة
بموعود الله عز وجل وثقتهم بانفسهم وقواهم وحيلهم
حتى انهم ليثقون بكلابهم ولذلك قال ابن عباس لاتزالون
تشركون تقولون لولا كلابنا لسرقنا ومن هذا المعنى اخبر
الله تعالى عنهم فقال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
قيل كانوا يقولون لولا استواء الريح لهلكنا وبالجملة
ان الشرك يلحق العبد في اقل الخطرات كما قال عليه السلام
الشرك اخفا في امتي من دبيب ذرة سوداء على صخرة صماء
في ليلة ظلماء فاذا كان الشرك اخفا من دبيب الذر فكيف
السبيل منه الى السلامة الا بعصمة الله تعالى وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بكر الصديق
رضي الله عنه الا ادلك على كلمات اذا قلتها برئت من الشرك
قال بلى يا رسول الله قال عليه السلام قل اللهم اني اعوذ
بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم والله تعالى

نسئله التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطاء والزلل فهو حسبنا ونعم الوكيل وقد رايت ان اثبت ها هنا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته الى كافة الخلق واختم بها قنطرة التوحيد اذ كانت من جنسها وموضعها هو الاليق بها وبالله تعالى العون والتوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كتبها للعلا بن الحضرمي هذا كتاب من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي نبي الله ورسوله الى خلقه كافة سيرة للعلا بن الحضرمي ومن معه من المسلمين عهدا عهده نبي الله اليهم ايها المسلمون اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا للعلا ابن الحضرمي فاني استعملته عليكم وامرته بتقوى الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له وان يلين لكم الجناح وان يحسن فيكم السيرة بالحق وان يحسن ولا يتكم ويشاورکم في الامور كلها وان يحكم بينكم وبين من لقي من الناس بما انزل الله في كتابه من العدل فاذا حكم وعدل واقسط واسترحم فرحم فاسمعوا له واطيعوا واحسنوا موازرته ومعونته فان لي عليكم من الله حقا عظيما وطاعة لا تقدرون على قدر ما يجب لي عليكم ولا تبلغ العقول كنه عظمة حق الله وحق رسوله وكما ان لله ورسوله على الناس عامة وعليكم خاصة حقا واجبا وطاعة ورضى ووقارا فمن

اعتصم بالطاعة وعظم حق اهلها ولزم امر الله تعالى وما
امرناه به من ولاية المسلمين فان له على المسلمين حقا واجبا
وطاعة واعلموا عباد الله ان في الطاعة دركا لكل خير يبتغى
ونجاة من كل شر يتقى وانا نشهد الله على من ولیناه شيئا
من امر المسلمين قل او كثر ولم يعدل فلا طاعة له وهو خليع
مما وليناه وقد برئت الذين معه ايمانهم وعهودهم وذمتهم
فليستخيروا الله عند ذلك وليستعملوا عليهم من افضل
افاضلهم سيروا على بركة الله وعونه وتوفيقه ونصره
وعافيته ورشده فمن لقيتموه فادعوه الى كتاب الله المنزل
وسنته وسنة نبيه على ان يحلوا حلال ما احل الله لهم في
كتابه ويحرموا حرام ما حرم الله عليهم في كتابه وان يخلعوا
الانداد وان يبرءوا من الشرك والكفر والنفاق وان يتركوا
عبادة الطواغيت واللات والعزى وان يتركوا عبادة عيسى
ابن مريم وعزير بن حروة والملائكة والشمس والقمر والنيران
وكل شئ يتخذ ويعبد من دون الله وان يتولوا الله ورسوله
وان يتبرءوا مما برئ الله ورسوله منه فاذا فعلوا ذلك واقروا
به فقد دخلوا في الولاية فبينوا لهم بعد ذلك كتاب الله الذى
تدعونهم اليه المنزل مع روح الله الامين جبريل عليه السلام
على صفيه من العالمين محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه
ارسله رحمة للعالمين عامة الاسود منهم والابيض
والجن والانس كتاب الله فيه بيان كل شئ كان قبلكم وما
هو كائن بعدكم ليكون حاجزا بين الناس يحجز به بعضكم عن
بعض ويحرم دماء بعضكم على بعض واموال بعضكم على بعض

وهو كتاب الله مهيمنا على الكتاب ومصدقا لما بين يديه
من التوراة والانجيل يخبركم فيه بما كان قبلكم مما فاتكم
دركه في ابائكم الاولين الذين اتتهم رسل الله واياته كيف
كان جوابهم وكيف تصديقهم بايات الله يخبركم بشانهم
واعمالهم واعمال من هلك منهم بعمله لتجتنبوا ان تعملوا
بمثله فيحق عليكم من عذاب الله وسخطه ونقمته مثل
الذى حق عليهم عند ذلك من شر اعمالهم وتهاونهم بامر
الله واعمال من نجا منهم لتعملوا مثل اعمالهم رحمة منه لكم
وشفقة من الله عليكم وهو هدى من الضلالة وبيان من
العمى واستقالة من العثرة ونجاة من الحيرة ونور من
الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد
من الغواية وبيان من اليقين وبلاغ من الدنيا الى
الآخرة وفيه كمال دينكم فاذا عرضتم عليهم كتاب الله
واقروا لكم به فقد استكملوا الولاية فاعرضوا عليهم
الاسلام والاسلام الصلوات الخمس وايتاء الزكاة
وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وصيام شهر رمضان
والغسل من الجنابة والطهور عند الصلاة وبر الوالدين
المسلمين وصلة الرحم المسلمين فاذا فعلوا ذلك فقد اسلموا
وادعوهم الى الايمان وبينوا لهم شرائعه ومعالم الايمان
شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان ما جاء به حق وان ما سواه باطل والاقرار
بالملائكة والكتب والنبيين قبل محمد والرسل كلهم اجمعين
وان الله بعثهم والاقرار بهذا الكتاب مصدقا لما بين يديه

من

من الكتاب والايمان بالبعث والحساب والجنة والنار والموت والحياة فاذا فعلوا ذلك فهم مؤمنون ودلوهم على الاحسان ان يوفوا الله بالذى عهد الى رسله وعهدت رسله به الى خلقه وسلامة صدورهم من كل غائلة وشنئان المسلمين والتصديق موعد الرب والوداع من الدنيا فى كل ساعة والمحاسبة للنفس عند استئناف كل يوم وليلة والتعاهد لما فرض الله عليهم واداه فى السر والعلانية فاذا فعلوا ذلك فهم محسنون ثم بينوا لهم الكبائر فان المهلكة فيها وهى الشرك بالله والله لا يغفر ان يشرك به والسحر والساحر ماله فى الآخرة من خلاق وقطيعة الرحم اولئك الذين لعنهم الله والفرار من الزحف وباؤا بغضب من الله والغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم لا يقبل منه وقاتل النفس التى حرم الله جزاءه جهنم والزانى يضاعف له العذاب وقاذف المحصنة لعن فى الدنيا والآخرة واكلة الربا فاذنهم الله ورسوله بحرب منه فاذا انتهوا عن الكبائر فقد استكملوا التقوى فادعوهم الى العبادة والعبادة الصيام والقيام والخشوع والركوع والسجود واليقين والرجوع والانابة والاخبات والتحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والصدقة بعد الزكاة والتواضع والسكينة والشكر والمواسات والدعاء والتضرع والاقرار بالمملكة لله والاستقلال لما عمل من عمل صالح فاذا فعلوا ذلك فقد استكملوا العبادة فاذنوهم عند ذلك بالجهاد وبينوه لهم ورغبوهم فيما رغبهم الله فيه من فضل الجهاد

وفضل ثوابه عند الله فان انتدبوا فبايعوهم وادعوهم
حين تبايعونهم الى كتاب الله المنزل وسنة نبيه عليه
السلام عليكم عهد الله وذمته وميثاقه وسبع كفالات
لاتنكثون ايديهم من بيعة ولا تنقضون امر وال من
ولاة المسلمين فاذا اقروا لكم بذلك فبايعوهم واستغفروا
الله لهم فاذا خرجوا يقاتلون فى سبيل الله غضبا لله
ونصر الدينه فمن لقوا من الناس فليدعوه الى مثل الذى
يدعوا اليه من كتاب الله واجابته وبيانه واسلامه
وايمانه واحسانه وتقواه وعبادته وهجرته فمن اتبعهم فهو
المستجيب المسلم المؤمن المحسن المتقى العابد المهاجر له
ما لكم وعليه ما عليكم ومن ابى هذا عليكم فقاتلوه حتى يفئ
الى امر الله والفيئ الى امر الله اما ان يسلم واما ان يعطى الجزية
عن يد وهم صاغرون من الذين اوتوا الكتاب وان لم يفئ
سفك دمه وغنم ماله وسبيت ذريته ومن اقر لكم
بالجزية واعطيتموه الذمة فاوفوا له بها ومن اسلم
واعطاكم الرضا فهو منكم ومن قاتلكم مجاهدا من بعد
ما بينتم له فقاتلوه وحاربكم فحاربوه وكايدكم فكايدوه
وجمع لكم فاجمعوا له وخادعكم فخادعوه من غير ان تعتدوا
واغتالكم فاغتالوه من غير ان تعتدوا وماكركم فماكروه
من غير ان تعتدوا سرا وعلانية فانه من انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل واعلموا ان الله معكم يراكم ويرى
اعمالكم ويعلم ما تصنعون فاتقوا الله وكونوا منه على حذر
وانما هذه امانة ائتمننى ربى عليها ابلغها عباده عذرا منه

اليوم وحجة يحتج بها على خلقه فمن بلغه هذا الكتاب من
الخلق اجمعين فعمل بما فيه نجا ومن اتبع ما فيه هدى ومن
خاصم بما فيه ظفر ومن قال بما فيه نصر ومن تركه ضل
حتى يراجعه فيعمل بما فيه فاسمعوه آذانكم واوعوه
قلوبكم فانه نور الابصار وربيع الافئدة وشفاء لما
في الصدور وكفى به آمرا وزاجرا ومعتبرا وعظة وداعيا
ومحتجا وهو الخير من الله ورسوله الذي لا شر فيه
كتاب من محمد بن عبدالله للعلا بن الحضرمي حين
بعثه الى البحرين يدعو الى الله ورسوله ويدعوا الى ما فيه
من حلال وينهى عن ما فيه من حرام ويدل على ما فيه من
رشد وينهى عن ما فيه من غي كتاب ايمن عليه نبي
الله العلا بن الحضرمي فان اصابت العلا بن الحضرمي
مصيبة الموت فخالد بن الوليد سيف الله على المسلمين
فليسمعوا له وليطيعوا ما عرفوا انه على الحق حتى يخالف
الحق الى غيره وخالد بن الوليد خليفة وقد اعذر اليهما
في الوصية بما في هذا الكتاب الى من معهما من المسلمين
ولم يجعل لاحد منهم عذرا في اضاعة شئ منه لا للوالي
ولا لجميع من صحبهما من المسلمين فمن بلغه هذا الكتاب
فلا حجة له ولا عذر ولا يعذر احد بجهل شئ ما في هذا
الكتاب ويسعهم جهل ما سواه كتب هذا الكتاب
لثلاث بقين من شهر ذي القعدة لاربع سنين مضين
من ظهور نبي الله عليه السلام الاشهرين شهد هذا
الكتاب يوم كتب معاوية بن ابي سفيان وعثمان بن

عفان يمليه عليه ونبي الله عليه السلام جالس والنقبا
رجل من قريش ورجل من بني سليم ورجل من عنيز ورجلان
من حمير ورجل من غسان ورجل من خزاعة ورجل من
جهينة واربعة من الانصار والمختار بن قلس العدى
وابو الدرداء السلمي وحذيفة بن اليماني العبسي وقصى
ابن ابي عمرة الحميري والضحاك بن ربيعة الحميرى
وشبيب بن مرة الغساني وميسر بن صعصعة الخزاعى
وعواد بن جناح الجهني وسعد بن معاذ الانصارى
ونوفل بن طلحة الانصارى وسعد بن عبادة الانصارى
وزيد بن عمير الانصارى شهدوا هذا الكتاب حين
دفعه نبي الله الى العلا بن الحضرمي وخالد بن الوليد وليتهما
عليه واوصاهما بما فيه وختمه نبي الله بخاتمه وجمعهما
ومن اراد الخروج معهما ثم امر عثمان فقرا عليهم جميع
ما في هذا الكتاب باعلا صوته والله على كل شئ وكيل
دعوة من نبيك ورسولك محمد يسئلك ان تنصر من عمل
بما في هذا الكتاب نصرا عزيزا واعنه على ما استعانك
عليه وعافه ما ابقيته واغفر له اذا توفيته والسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين تمت قنطرة الايمان
والتوحيد بتمام سيرة الدعوة بحمد الله وحسن عونه
والصلاة على محمد نبيه تتلوها قنطرة الصلاة *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيرا

(القنطرة الثالثة) قنطرة الصلاة ووظائفها

من الطهارات * الحمد لله الذى غمد العباد بلطائفه
وغمر قلوب اوليائه منهم بانوار الدين وو ظائفه وكلف
خلقه المفترضات وجعل من افضلها الخمس الصلوات
ورخص للعباد فى مناجاته ولم يقتصر على الرخصة
فى عباداته بل تلطف بالترغيب والدعوه اهانة
لضعفاء ملوك الخلق الذين لا يسمحون بالخلوه الا بعد
تقديم الهدية والرشوه سبحانه من ذى رحمة وامتنان
وفضل واحسان والصلاة على نبيه صاحب بيعة
الرضوان الذى انزل عليه القرآن هدى للناس وبينا
من الهدى والفرقان اما بعد فان الله سبحانه فرض
على المكلفين بعد معرفته وتصديق المرسلين عبادات الابدان
من الصلاة وصيام شهر رمضان وقدمها على ما يتعلق
من الحقوق فى الاموال لان النفوس على الاموال اشح
وبما يتعلق بالابدان اسمح فجعل الصلاة عصام معرفته
وعماد خدمته وسيدة القربات وغرة الطاعات
لانها مشتملة على خضوع له رهبة من سطوته ومتضمنة
على تضرع وابتهال اليه رغبة فى فضل مثوبته بعد
ان شرع لها شروطا لازمة من رفع الاحداث وازالة
النجاسات ليستديم العبد النظافة للقاء ربه والطهارة
لاداء فرضه فلما كانت الطهارة من شرائط الصلاه والنظافة
من وظائفها الواجبات كان ينبغى لنا ان نقدم على الصلاة
شرح الطهارات اذ كانت مقدمة عليها فى العبادات
وبالله التوفيق *(مقدمة فى اسرار الطهارة)* قال الله

تعالى يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال الله
تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وروى عن
النبي عليه السلام انه قال الطهور شطر الايمان وقال
عليه السلام مفتاح الصلاة الطهور وقال تعالى ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فليتفطن
ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر
اذ يبعد ان يكون المراد بقوله عليه السلام الطهور شطر
الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء الطاهر
وتخريب الباطن بابقائه مملوءا بخبث الاخلاق والصفات
فهيهات هيهات ما ابعد هذا المراد فى الدين الذى بنى على
الطهارة والنظافات وقد قال الله تعالى اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الآية وقال تعالى انما المشركون
نجس تنبيها على ان النجاسة ليست مقصورة على
الظواهر لانه قد يكون المشرك مغسول الثياب نظيف ظاهر
البدن وقال تعالى وثيابك فطهر اى قلبك فنق فى بعض
الاقوال وقال النبي عليه السلام فيما ورد عنه بنى الدين
على النظافة وهو لعمرى كذلك ظاهرا وباطنا فاذا الطهارة
لها اربع مراتب الاولى تطهير ظاهر البدن عن الاخباث
والفضولات والاحداث والثانية تطهير الجوارح من
الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة
والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله عز
وجل وهى طهارة الانبياء والصديقين والطهارة فى كل
رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى من عمل

السران ينكشف للعبد جلال الله تعالى وعظمته ولا
تتم معرفة الله سبحانه بالحقيقة فى سر الانسان
مالم يخل منه ما سوى الله تعالى من العلائق والاشغال
ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
لانهما لايجتمعان فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى
جوفه واما عمارة القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها مالم يتنظف
عن اضدادها من الرذائل المذمومة والعقائد الفاسدة
فتطهيره احد الشرطين وهو الشرط الاول الذى هو
شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى
وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى المحرمة هو احد
الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا بعد ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته
بالمحمودة من لم يتفرغ عن طهارة القلب من مذموم
الاخلاق وعمارته بالمحمود منها ولن يصل الى ذلك من لم
يتفرغ من طهارة الجوارح من المناهى المحظورة وعمارتها
بالطاعات المشروعة فكلما عز المطلوب وشرف صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن هذا
الامر يدرك بالمنا وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته
عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة
الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشر الاخير بالاضافة
الى اللب المطلوب فصار يستوعب اوقاته فى الاستنجاء

وغسل الثياب وتنظيف ظاهر البدن وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة ان الطهارة المطلوبة هى هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم فى تطهير القلوب وتساهلهم فى الامر الظاهر حتى انهم ما كانوا يغسلون ايديهم من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون ايديهم واصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات وفى طين الشوارع ويجلسون عليها ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم وبالله التوفيق واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب كما قدمنا فاعلم انا لسنا نشرع فى هذه القنطرة الا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر دون نظافة القلب والسرائر فيتحصل منها ثلاثة ابواب الاول فى الطهارة عن الخبث والنجاسات والثانى فى الطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالتقليم والاستحداد واستعمال النورة والختان والثالث الطهارة من الاحداث

* (الباب الاول) *

فى طهارة الاخباث ويشتمل على ثلاثة فصول الفصل الاول يتعلق بالمزال وهو النجاسات الثانى يتعلق بالمزال به وهو الماء وسائر ذلك الثالث بالازالة وكيفيتها

الفصل الاول فى المزال وهى النجاسات واعيان النجاسة
فى الجملة ثلاث مائعات وحيوانات واجزاء حيوانات
اما المائعات فطاهرة كلها الا البول والخمر وكل نبيذ
مسكر وكذلك القئ من الانسان والقلس والمنى على
اختلاف فى اصله هل هو طاهر او نجس والمذى والودى
والطهر من النساء واما الحيوانات فكلها طاهرة الا الكلب
والخنزير والمشرك وقد اختلف فيهم ايضا وكذلك السالم والفار
وذو ناب من السباع وذو مخلب من الطير والكلب المعلم
فى هذا كله اختلاف وتفصيل تركته مخافة التطويل وكذلك
ما تولد من هذه الحيوانات من الرطوبات والمائعات مختلف
فيه ما خلا البول والدم وما خلا الخنزير فانه متفق على
نجاسته فيما اعلم والحيوانات كلها اذا ماتت فنجسة هى
وما ماتت فيه ما خلا الآدمى المتولى والسمك والجراد ودود
الاطعمة وما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء
والعنكبوت والنمل واشباه ذلك ولا ينجس الماء بوقوع
شئ منها فيه ما خلا الآدمى اذا مات فيه واما اجزاء
الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع من الحيوان فحكمه حكم
الميت ما خلا الشعر والصوف والوبر واختلف فى شعر الخنزير
وفى العظم هل هما منجوسان ام لا الثانى الرطوبات الخارجة
من باطن الحيوان فكل ما ليس يتغير ولا له مقر فى البدن
فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط والبلغم ونحوه
وما له مقر وهو يستحيل الى غير اصله فهو نجس الا ما كان
غذاء الحيوان كاللبن فانه طاهر ما خلا لبن الخنزيرة والمشركة

وماكان تابعا للحمه فى التحليل والتحريم فمختلف فيه كلحمه واما غير اللبن فهو نجس كالمنى والمذى والودى وبيض الدجاج والقيح الذى غلب عليه الدم وروث الانسان ومالا يؤكل لحمه من ذى مخلب من الطير وذى ناب من السباع وروث الدجاج الاهلى والجلالة من البهائم وعرق السكران والدم والبول من جميع الحيوانات فهذه كلها نجسة قليلها وكثيرها ولايعفى عن شئ منها الاعن خمسة الاول طين الشوارع وغبار الروث فى الطرق فانه يعفى عنه مع تيقن النجاسة فيه اذاكان ذلك قليلا لا يتلطخ بالانسان لانه يتعذر الاحتراز عنه الثانى مايلصق باسفل الخف والنعل وذيل المراة من نجاسة لاتخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد المشى والدلك للخف والنعل وكذلك ذيل المراة يطهره مابعده اذاكانت النجاسة يابسة فتعلقت به فسقطت عنه الثالث دم البراغيث ما قل منه اوكثر فيعفى عنه الا اذا جاوز حد العادة فينبغى ان يغسل اذا تفاحش فى الثوب وكذلك دم اللحم اذا غسل المذبح ودم السمك لاباس به واختلف فى دم البعوض والبق والقمل فبعض شدد وبعض رخص الرابع القيح الذى غلب على الدم اعنى الصديد وكذلك البزاق الذى غلب على الدم واشباه ذلك مرخص فيه الخامس حرق الفار مرخص فيه اذ لم يغلب على الطعام الذى خالطه ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات

الخمسة يعرفك ان امر الطهارة على النسا هل في هذه الاشياء
وغيرها والله اعلم الفصل الثاني في المزال به النجاسة وذلك
بالجملة عشرة اشياء احدها بالماء الطاهر كغسل الثياب
وغيرها من جميع ما يمكن فيه الغسل الثاني بالمسح كالبدن
الاملس والحديد وما شاكلهما الثالث بالنضح كالحصير
المشكوك في طهارته والتليس المملوء طعاما اذا بال عليه
التيس ونحوه الرابع بالرشح كالقلل المنجوسة من خارج
والزقاق واشباه ذلك الخامس بالنار كالارض والحديد
والقلال المحمية بها السادس بالزمان كمعطن الابل
والمجزرة والمزبلة اذا ازيل ذلك منها فمكث زمانا سنة
او نحوها فانه يصلي فيها السابع الدباغ كجلد الميتة
ونحوه الثامن التترب بالتراب الابيض كصوف
الميتة واشباهها من الوبر والريش والشعر ونحو ذلك
التاسع بالوطا كالنعل والخف واشباههما العاشر
بالريح والمطر والشمس كالموضع المنجوس خارجا من
البيت اذا مكث اياما على الاختلاف الواقع فيه وهذه
الاشياء قد اشرنا الى شرحها في كتابنا المسمى بقواعد
الاسلام ولذلك اقتصرنا ها هنا على الاشارة والاجمال
دون الشرح والتفصيل وكذلك ما سياتي ان شاء الله انما
نشير الى ما لا بد منه اشارة دون تفصيل وبالله التوفيق
الفصل الثالث في كيفية الازالة نشير الى جملتها اشارة
لانا شرحناها في غير هذا الكتاب اعلم ان النجاسة لا
تخلو من ان تكون حكمية او عينية فالحكمية هي التي

ليس لها جسم ظاهر محسوس كالبول اليابس في الثوب والماء المنجوس واشباه ذلك مما لا ترى له عين قائمة فهذه النجاسة يكفي في ازالتها اجراء الماء على مواردها ثلاث مرات واما النجاسة العينية فلا بد من ازالة عينها وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذلك بقاء اللون يدل عليها الا فيما يتعذر ازالته من الثوب اذا صار كالصبغ فيه فهو معفو عنه بعد العرك والدلك والقرص ونحوه لانه لا يحل قطع الثوب من اجل نجاسته كما لا يحل قطع البدن من الحنا المنجوس الذي طبخ فيه وكذلك الرائحة بقاؤها يدل على بقاء النجاسة ولا يعفى عنها الا اذا كان الشئ له رائحة قائمة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحك والقرص كما قدمنا في اللون والذي يزيل الوسواس ان نعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لم نشاهد عليها نجاسة ولا قامت الحجة بها فحكمها الطهارة على الاصل الاول ولذلك قالت الاشياخ رحمهم الله لولا ثلاث جعلوها للنجس لصب عليهم من السماء كالمطر ومن الارض كالنبات احدها جعلوا النجس هو القاعد في موضعه الذي فيه والثاني جعلوا الطهارة هي القاعدة في الاشياء ما لم تر عليها نجاسة والثالث جعلوا للنجس الجهلان في المواضع المشكوك في حلول النجس فيها ما لم يتيقن به والله اعلم ويدل على هذا ترخيص المشايخ ابان بن وسيم وغيره رحمهم الله في مسائل كثيرة يطول الكتاب بذكرها

وليس هذا الكتاب موضعا لذلك و بالله التوفيق
(الباب الثاني من الطهارة) التنظيف عن الفضلات الطاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل والتنظيف عنه مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين ازالة للتفث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا وقالت عائشة كان النبي عليه السلام يدني الي راسه فارجله وهو معتكف وكان عليه السلام يامر بذلك ويقول ادهنوا غبا و يروى عنه انه قال من كانت له شعرة فليكرمها اى ليصنها عن الاوساخ و يروى انه دخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال عليه السلام اماكان لهذا دهن يسكن به شعره واصحابنا لا يستعملون ذلك على رؤسهم حتى يحتاج الى الترجيل والتدهين وانما ذلك على النساء فحق عليهن اكرام شعر رؤسهن بالترجيل والتدهين وفرقه عند الامتشاط لان ذلك من سنن ابراهيم عليه السلام الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن فينبغي ان ينظف برفق عند الغسل فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيل ذلك بالاستنشاق والاستنثار على ما سياتي ان شاء الله الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف اللثات من الصفرة التي تعلوها فيزال بالسواك والمضمضة على

[illegible]

ما يذكر ان شاء الله الخامس ما يجتمع فى اللحية من الوسخ
والقمل اذا لم يتعهد ذلك صاحبها ويستحب ازالة ذلك
بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر ان النبى عليه السلام
كان لا يفارقه المشط والمدرا فى سفر ولا حضر وهى سنة
العرب هكذا ذكر الغزالى فى كتابه وزعم انه عليه السلام
كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وانه يسرحها فى
اليوم مرتين والله اعلم بهذا السادس وسخ البراجم
وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل
ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام وتقول فقد الطعام
اشد علينا من ريحه فيجتمع لذلك فى تلك الغضون وسخ
فامرهم عليه السلام بغسل ذلك السابع تنظيف
الرواجب وهى رءوس الانامل وما تحت الاظفار من
الوسخ كانت العرب لا يحضرها المقراض فى كل وقت فيجتمع
فيها اوساخ فامرهم النبى عليه السلام بتنظيف ما تحت
الاظفار ووقت لهم فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة اربعين يوما وجاء فى الاثر ان النبى عليه السلام
استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام فقال
له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفو
رواجبكم ولا تستاكون مر امتك بذلك ويقال لوسخ
الظفر الاف ولوسخ الاذن التف وقيل فى قوله عز وجل
ولا تقل لهما اف اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ
وقيل لا تتاذى بهما كما لا تتاذى بما تحت الظفر الثامن
الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار

الطريق وذلك يزيله الحمام وقد روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري فهذا تعرض لفائدته وقال آخرون بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفاته ولكن لا باس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفاته بشرط ان يراعي داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات اما الواجبات فصون عورته عن نظر الغير ومسه فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده وان لا يدخل الرجل الحمام الا بمئزر وفي اباحة مس ما ليس بعورة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم وكذلك الواجب عليه في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب على قدر الطاقة ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن فعشر وهي النية يقصد بدخول الحمام التنظف المحبوب تزينا للصلاة ولا يدخله لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى ثم يعطي لصاحب الحمام الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وما ينتظره الحمامي مجهول ايضا فتسليم الاجرة دفع للجهالة وتطييب لنفسه ثم يرفع رجله اليسرى عند الدخول ويقول

بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت
الخلوة او يتكلف تخلية الحمام احترازا عن النظر الى
عورات الناس وتحفظا من قلة الحياء بالنظر الى ابدانهم
مكشوفة ثم لا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى
الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة
فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو
علمها الحمامى لكرهها ولا سيما الماء الحار وله مؤونة
وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر
نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه الى
جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام
من فوق ونعوذ بالله منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر
الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له
فى كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة فان المرء
ينظر بحسب همته فانه اذا دخل بزازا ونجارا وحائك
او بناء دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر
الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب ينظر
نسجها والنجار ينظر الى السقف يتامل كيفية تركيبها
والبناء ينظر الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها
فكذلك السالك لطريق الآخرة لا ينظر الى شئ الا و يفتح
الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد او نظر
الى حية تذكر افاعى جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر
الزبانية ومنكرا ونكيرا وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة

الصور وان رآى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع
كلمة ردا وقبول تذكر امره بعد الحساب من الرد والقبول
وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل ان لم
يكن ممن اقفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان
لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام
بل يسكت ان اجاب غيره وان شاء قال عافاك الله لابتداء
الكلام ولا باس بالمصافحة ثم لا يكثر الكلام فى الحمام
ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من
الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من
الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين وقد رخص
بعضهم ان يدلكه غيره ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل
على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى
يسئل عنه وعن ابن عمر قال ان الحمام من النعيم الذى احدثوه
هذا من جهة الشرع وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفى
الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل نومة فى الصيف
بعد الحمام تعدل شربة دواء وقال بعضهم بولة فى الحمام
قائما فى الشتاء انفع من شربة دواء وغسل الرجلين بماء بارد
بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد
على الراس عند الخروج وكذلك شربه هذا حكم الرجال واما
النساء فقد روى عن النبى عليه السلام انه قال لا يحل
لرجل ان يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحم والمشهور
انه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة
دخول الحمام الا نفساء او مريضة روى عن عائشة رضى الله

عنها انها دخلت حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلتدخل بمئزار سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه النوع الثاني ما يحذف من اجزاء البدن وهي ثمانية الاول شعر الراس يستحب حلقه لمن اراد التنظف وقد قال عليه السلام اللهم ارحم المحلقين ثلا ثا قيل والمقصرين قال والمقصرين وذلك عند الاحلال من الاحرام وقال تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين ولكن لا باس بتركه لمن يدهنه ويمشطه الا اذا تركه قزعا اى قطعا متفرقة في الراس فان ذلك منهي عنه وهو داب اهل الشطارة وكذلك ارسال الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعار لهم فانه اذا لم يكن شريفا صار ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم حفوا الشوارب واعفوا اللحا وقوله حفوا الشوارب اى اجعلوها حفا ف الشفة اى حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا اى يستقصي عليكم واما حلق الشارب فلم يبلغنا فيه خبر والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن بعض التابعين والله اعلم انه نظر الى رجل احفا شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن المغيرة بن شعبة انه قال نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي

على

على سود ويخص بعض علماء السلف في ترك السبالين
وهما طرفا الشارب قال لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه
غمر الطعام اذ لا يصل اليه وزعم ان عمر فعل ذلك وفعله
غيره وقوله عليه السلام اعفوا اللحا اى كثروها نظيره
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اى كثروا وفى
الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم
وكره بعض العلماء الحلق ورءاه بدعة الثالث شعر الابط
ويستحب نتفه فى كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على
من تعود نتفه فى الابتداء ولا بأس بحلقه على من تعود
ذلك اذ فى النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة
وان لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق وقد حد
بعضهم لنتف الابط اذا الصق الانسان عضده الى جنبه
خرج الشعر من الجانبين والله اعلم الرابع شعر العانة ويستحب
ازالة ذلك للرجال بالحلق وللنساء بالنتف او بالنورة للجميع
ولا ينبغى ان يتأخر عن اربعين يوما وقد حده بعضهم فى ذلك
اذا كان الشعر يدور بالاصبع وقد روى عن ابى عبيدة مسلم
رحمه الله انه قال لا اعلم فى قص الشارب وتقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة حدا محدودا الا اذا طال فازح
ذلك عن نفسك وقد قيل ان دفن الشعر والاظفار بدعة
والله اعلم الخامس تقليم الاظفار وهو مندوب اليها الشناعة
صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ وقد روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابا هريرة قلم اظفارك
فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ

فلا يمنع ذلك صحة الصلاة لانه كان عليه السلام يامر العرب
بقلم الاظفار وينكر مايرى تحت اظفارهم من الاوساخ
ولم يامرهم باعادة الصلاة اما الاثر لا يمنع وصول الماء اولانه
يساهل فيه للحاجة لاسيما فى اظفار الرجل ولو امر بذلك
لكان فيه فائدة وهو التغليظ والزجر عن ذلك قال فى كتاب
الغزالى ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار قال
ولكن سمعت انه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى
وختم بابهام اليمنى وابتدا فى اليسرى بالخنصر الى الابهام
وفى اليمنى من المسبحة الى الخنصر وختم بابهام اليمنى
قال فى كتاب الغزالى واما اصابع الرجل فالاولى عندى
اذ لم يثبت فيه نقل ان يبدا بخنصر اليمنى ويختم بخنصر
اليسرى كما فى التخليل والله اعلم قال فى كتاب الغزالى
واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم
الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه
وبين النبى الا درجة واحدة وهى درجة النبوة الفارقة
بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذى حصل المال
له باشتغاله به واقتداره على تحصيله والوارث هو الذى
لم يشتغل بالتحصيل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه
منه بعد ما حصل له والله اعلم السادس والسابع قطع
زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع فى اول الولادة
واما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة
فينبغى ان يخالفوا بالتاخير الى ان يشتد الولد وذلك
احب وابعد من الخطر وقد روى عن النبى عليه السلام

انه قال الختان للرجل سنة وللنساء مكرمة وينبغى ان لايبالغ فى خفض المراة اذ قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمى ولا تنهكى فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اى اكثر لماء الوجه ودمه واحسن فى جماعها انظر الى جزالة لفظه عليه السلام فى الكناية والى اشراق نور النبوة حتى انكشف له وهو امى من هذا الامر النازل قدره مالو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الثامنة ماطال من اللحية وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس وقد روى عن ابن عمر انه فعل ذلك وجماعة من التابعين ورخص فى الاخذ منها ابو عبيده مسلم فيما وجدت عنه واستحسنه الشعبى وابن سيرين فيما وجدت عنهما وقد زعم فى كتاب الغزالى ان الحسن وقتادة كرها ذلك وقالا تركها عافية احب الينا لقوله عليه السلام اعفوا اللحاء والامر فى هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وعن النخعى انه قال عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شئ حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل * (فصل) * وقال بعض العلماء فى اللحية

عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهي خضابها
بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها
والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الناس
وتركها شعثة لاظهار الزهد والنظر الى سوادها عجبا
بالشباب والى بياضها تكبرا لعلو السن وخضابها بالحمرة
والصفرة من غير نية تشبيها بالصالحين اما الاول
وهو الخضاب بالسواد فقد نهى عنه لقول النبي عليه السلام
خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه
بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار والسكينة
لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب
اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب الاسود خضاب الكفار
ويقال تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب
بالسواد فنصل خضابه وظهر شيبه فرفعه اهل المرأة الى
عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب
ولبست عليهم شيبك حكاه الغزالي في كتابه ويقال اول من
خضب بالسواد فرعون لعنه الله وفي كتاب الغزالي عن
ابن عباس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال
يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام
لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة
وهو جائز تلبيسا على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن
على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وعن
ابي عبيدة مسلم رضي الله عنه قال سمعت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يصبغ شعره قط بشيء ويقال ان ابا بكر

رضى الله عنه كان يصبغ وفى اثر بعض اصحابنا قال لا باس
بصبغ اللحية بالكتم والحمرة وفى كتاب الغزالى وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين
والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة
وبالخلوق والكتم للصفرة قال وخضب بعض العلماء بالسواد
لاجل الغزو وينشد *

يا خاضب الشيب بالحناء يستره * اهلا سالت له سترا من النار
لن يرحل الشيب عن دار الم بها * حتى يرحل عنها صاحب الدار

وفى كتاب الغزالى قال لا باس بالخضاب بالسواد اذا
صحت فيه النية ولم يكن فيه هوى ولا شهرة وينشد

تغطى الشيب جهلك بالخضاب * لتبقى فيك ابهة الشباب
فكيف وقد كساك الشيب ثوبا * كابيض ما يكون من الثياب

وقد روى ان ابن عباس رضى الله عنه كان يخضب لحيته
بالكتم وهو صبغ يؤتى به من بلد السودان فيما اظن والله
اعلم الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو
السن توصلا بذلك الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق
بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهار الكثرة
العلم ظنا بان ذلك يعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر
السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة لا يؤثر
الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة تؤكد
حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان
عمر يقدم ابن عباس رحمه الله وهو حدث السن على
اكابر الصحابة ويسئله دونهم وعن ابن عباس رضى الله

عنه انه قال ما اتى الله عز وجل عبده علما الا شابا
والخير كله فى الشباب ثم تلى قوله عز وجل قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله عز وجل انهم فتية
آمنوا بربهم الآية وقوله تعالى واتيناه الحكم صبيا
وكان انس بن مالك يقول فيما بلغنا قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس فى راسه ولحيته عشرون
شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب
فقيل او شين هو فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن
اكثم ولى القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة
فقال له رجل فى مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه
كم سن القاضى ايده الله قال مثل سن عتاب بن
اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
امارة مكة وقضاءها فافحمه وروى عن بعض العلماء
انه قال قرات فى بعض الكتب لا تغرنكم اللحا فان التيس
له لحية وعن ابى عمرو بن العلا انه قال اذا رايت طويل
القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق
ولو كان امية بن عبد شمس وعن ايوب السختيانى انه
قال ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم
منه وعن على بن الحسين انه قال من سبق اليه العلم
قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك ويروى
انه قيل لابى عمرو بن العلا ايحسن بالشيخ ان يتعلم من
الصغير قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به

الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى
عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن
هو في معنى الخضاب بالسواد وعن ابي عبيدة مسلم
رحمه الله انه قال اكره نتف الشيب قال ولا يفعله الا
خسيس وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى
والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف
بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه
للخلقة ونتف الفنكين بدعة وهما جنبتا العنفقة ويقال
شهد عند عمير بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنكيه
فرد شهادته وروى عن بعض قضاة المدينة انه
رد شهادة من كان ينتف لحيته قال واما نتفها
في اول الشباب تشبيها بالمرد فمن المنكرات الكبار
فان اللحية زينة للرجال ويقال ان لله سبحانه ملائكة
يقسمون والذى زين بنى آدم باللحا وهى من تمام
الخلقة وبها يتميز الرجال عن النساء وحكى عن
عن اصحاب الاحنف انهم قالوا وددنا ان نشترى
للاحنف لحية بعشرين الفا وعن شريح القاضى
انه قال وددت لو ان لى لحية بعشرة آلاف وكيف
تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم
والوقار والرفع فى المجالس واقبال الوجه اليه والتقديم
على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض
باللحية اذا كان المشتوم بلا لحية ويقال ان اهل
الجنة مرد الا هارون اخا موسى عليه السلام فان

له لحية الى سرته تخصيصاً له وتفضيلاً والله اعلم
السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزيين
للنساء والتصنع وعن كعب قال يكون فى آخر الزمان
اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم
كالمناجيل اولئك لاخلاق لهم السابع الزيادة فيها
وهو ان يزيد فى شعر العارضين من الصدغ وهو من
شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحا او ينتهى الى نصف
الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها
لاجل الناس وقال بعض العلماء فى اللحية شركان
تسريحها لاجل الناس وتركها شعثة لاظهار الزهد
التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب
وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق
والافعال وبالله التوفيق فهذا ما اردنا ان نذكره من
انواع التزيين والنظافة وقد حصل من ثلاث احاديث
من سنن الجسد اثنا عشر خصلة خمس فى الراس وهى فرق
شعر الراس والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك
على ما سياتى شرحها فى الوضوء ان شاء الله وثلاث فى اليد
والرجل وهى تقليم الاظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب
واربع فى الجسد وهى تنظيف الابط والاستحداد والختان
والاستنجاء بالماء على ما سياتى ان شاء الله فقد وردت
الاخبار بمجموع ذلك ولنقتصر على هذا فى تنظيف فضلات
ظاهر البدن ولنشرع الآن فى طهارة الاحداث *

* (الباب الثالث فى طهارة الاحداث) *

وينحصر هذا الباب في اربعة فصول الاول في سبب الوضوء
وهو قضاء حاجة الانسان الثاني في كيفية الوضوء الثالث
في الغسل من الجنابة الرابع في كيفية التيمم وبالله التوفيق
الفصل الاول في ادب قضاء الحاجة قال الله تعالى او جاء
احد منكم من الغائط تنبيها على ان البدء به قبل الطهارة
وفي الحديث اذا سمعتم النداء وحضر الخلاء فابدؤا بالخلاء
كل ذلك حث على فراغ الخاطر والذي ينبغي لمن اراد قضاء
الحاجة من البول والغائط ان يبتعد عن الناس في الصحراء
وان يستتر بشيء ان وجده وان لا تكشف عورته قبل
الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس
والقمر والريح والطريق وان لا يستقبل القبلة ولا
يستدبرها الا اذا كان في بناء والانحراف ايضا في البناء
احب الي وان استتر في الصحراء براحلته فقد اجاز
ذلك بعض العلماء وان يتقي الجلوس في متحدث الناس
وان لا يبول في الماء الجاري ولا الراكد ولا تحت الشجرة
المثمرة ولا في الاجحرة ولا في حريم المسجد ولا المقبرة
ولا في حرث الزرع ولا في طرقات الناس ولا في مواضع
المضرة وان يتقي البول في المكان الصلب وان يتقي مهاب
الرياح في البول تنزها عن رشاشه وان يتكئ في جلوسه
على الرجل اليسرى وان كان في بنيان او غار قدم الرجل
اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما وقد
روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه

ورخص بعضهم فى ذلك لعلة الضرورة ولا يبول فى المغتسل
قال عليه السلام فان عامة الوسواس منه ولا يستصحب
معه شيئا عليه اسم الله عز وجل ورسوله عليه السلام
وان لا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند
الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث
المخبث الشيطان الرجيم وان لا يخلط البول مع الغائط
ما وجد الى ذلك سبيلا لانه فيما قيل يجب الدعاء وان
يعد النبل قبل الجلوس وهى الحجارة الصغار للاستجمار وان
لا يستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة وان يستبرى من
البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب
ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر
وكان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة
الفقه وفى الحديث عن سلمان رحمه الله قال علمنا
رسول الله عليه الصلاة والسلام كل شئ حتى الخراءة
امرنا ان لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل
القبلة ببول ولا غائط ويقال ان رجلا من الاعراب خاصم
صاحبه فقال لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك
انى بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح
واستدبر الريح واقعى اقعاء الظبى واجفل اجفال النعم
وفى كتاب الغزالى قال والاقعاء هاهنا ان يستوفز على
صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه وان لا يسلم على من
كان مشتغلا بقضاء الحاجة ولا يرد ان سلم عليه ولا يقرأ
القرآن ولا يذكر اسم الله فاذا فرغ فليستجمر بثلاثة احجار غير

ملس ولاحرش وقيل بالرخصة بحجر واحد اذا كان له
ثلاث حروف وان لم يجد الحجر فالمدر وان لم يجده فالتراب
ولا يستنجي بعظم ولا روث ولا زجاج ولا فحم ولاماله
حرمة الطعام كقصب الزرع وشماريخ النخل وغير ذلك
ولا بماله حرمة في الشرع كحجارة المصلي واللوح وورق
الكتب وكيفية الاستجمار ان ياخذ الحجر بيمينه ويمسك
القضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار
فيمسح ثلاثا ثم ياخذ الحجر بيساره فيضعه على مقدم المقعدة
في موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر وياخذ
الحجر الثاني فيضعه على المؤخر ويمريه الى مقدم المقعدة وياخذ
الثالث فيديره حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة
ومسح من المقدم او المؤخر اجزاه ذلك والله اعلم ثم يقول عند
القيام الحمد لله الذي اطعمني طعاما طيبا واذاقني لذته
واذهب عني مضرته كيفية الاستنجاء فاذا انقطعت
الرطوبة بالاستجمار انتقل الى الاستنجاء بالماء ولا بد من
الجمع بين الاحجار والماء فالاحجار لتخفيف العين عن الموضع
والماء للانقاء وازالة الاثر والمستحب في صفة استعمال الماء
ان يصب الماء على اليد قبل مباشرتها النجاسة فيغسلها
ثلاثا ثم يجلس على المستنجى متمكنا على غير موضع صلب او
مكان نجس لئلا يتطاير عليه من الغسالة شيء ثم يذكر
الله تعالى مبتديا بغسل محل البول اولا ثم ينتقل الى محل
الغائط فيرسل الماء ويوالي الصب على يده اليسرى غاسلا
بها المحل ويسترخي قليلا ليتمكن من الانقاء ويجيد العرك

حتى ينقى وتزول اللزوجة وتطمئن النفس وتطيب
ويزول الشك عنها من غير تحديد عدد لان ذلك يختلف
بالكثرة والقلة والغلظة والرقة ثم ينفصل من المستنجى
بذكر الله تعالى والدعاء اليه يقول اللهم حصن فرجي
بالاسلام وطهر قلبي من النفاق وجسدي من النجاسات
وزوجني من الحور العين برحمتك يا ارحم الراحمين وليحذر
ان يتعرض للباطن بادخال الاصبع فيه فان ذلك منبع
الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن
وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء وان كان
يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه
ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي
الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعني
رش الماء ذكر ذلك ابن جعفر العماني وغيره والله اعلم
ثم اذا فرغ من الاستنجاء انتقل عن مستنجاه الى موضع
آخر للوضوء * (الفصل الثاني في فضل الوضوء) *
وكيفيته قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ويروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فاسبغ الوضوء
وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من امر
الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ
آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه
صلى الله عليه وسلم من طريق جابر بن زيد عن انس بن
مالك انه قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع

به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء
في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة
بعد الصلاة فذلكم الرباط قالها ثلاثا وعنه صلى
الله عليه وسلم من طريق جابر بن زيد رضي الله عنه
عن ابي هريرة انه عليه السلام قال اذا توضا العبد
المسلم فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة
نظر اليها بعينيه مع آخر قطر الماء ثم اذا غسل يديه
خرجت من يديه كل خطيئة بطش بهما ثم كذلك حتى
يخرج نقيا من الذنوب وفي حديث آخر ثم كان مشيه
الى المسجد وصلاته نافلة له وعنه عليه السلام انه توضا
مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله سبحانه الصلاة
الا به ثم توضا مرتين مرتين فقال من توضا مرتين
آتاه الله اجره مرتين وفي لفظ آخر من ضاعف ضاعف
الله له ثم توضا ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوءى
ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابي ابراهيم عليه
السلام وعنه عليه السلام انه قال من توضا على طهر
كتب الله له به عشر حسنات وعنه عليه السلام انه
قال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد
الوضوء ويروى ان الطاهر كالصائم وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من توضا فاحسن الوضوء ثم
رفع طرفه الى السماء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب
الجنة يدخل من اي باب شاء وعن عمر رضي الله عنه انه

قال الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وعن مجاهد انه قال من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه وفي حديث الربيع عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرء توضا فاحسن وضوءه ثم صلى الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلاة الاخرى حتى يصليها وعنه عليه السلام انه قيل له كيف تعرف من ياتي بعدك من امتك قال انهم ياتون غرا محجلين من اثر الوضوء والله اعلم * (كيفية الوضوء) * ثم اذا فرغ من الاستنجاء وازال كل نجس كان في بدنه فليشتغل بالوضوء وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قط خارجا من الغائط الا توضأ ويستحب للانسان ان يبتدي بالسواك قبل الوضوء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي بالسواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر اسم الله عز وجل في الصلاة وقد قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وكل وضوء وعنه عليه السلام انه قال مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا وقوله قلحا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام فيما بلغنا يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يزل عليه السلام يامر بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وعنه

عليه السلام انه قال عليكم بالسواك فانه مطهرة
للفم ومرضات للرب وعن علي انه قال السواك يزيد
في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبي عليه السلام
فيما بلغنا يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان
يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يحسن
ويزيل القلح اعني صفرة الاسنان ويستاك طولا وعرضا
وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند
كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير رائحة الفم بالنوم
او طول الازم او اكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من
السواك فيجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
لان النبي عليه السلام قال لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه
اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بالله من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا
قبل ان يدخلهما في الاناء ويقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة
واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي بالوضوء رفع الحدث
واستباحة الصلاة يقول في نفسه ارفع بوضوئي هذا جميع
الاحداث واتوضأ للصلاة طاعة لله ولرسوله عليه السلام
ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه فقد
شدد بعضهم في وضوئه انه لا يجزيه ثم يأخذ غرفة من الماء
لفيه فيتمضمض ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة
الا ان يكون صائما فيرفق لئلا يبلع الماء ويقول عند ذلك
اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك واطعمني من
ثمار جنتك ثم يأخذ غرفة اخرى لانفه ويستنشق ثلاثا

بان يصعد الماء بالنفس الى خياشيمه و يستنثر ما فيه ويقول
في الاستنشاق اللهم اشممني رائحة الجنة وانت عني راض
بفضلك و في الاستنثار يقول اللهم اني اعوذ بك من روايح
النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال الماء والاستنثار
ازالته وان اراد ان يجمع الفم والانف جميعا بالمضمضة
والاستنشاق فانه يجزيه ذلك ويجعل اصبعه في الفم والانف
عند ذلك ان لم يكن له عذر يمنعه من خروج الدم من الفم
او جرح في انفه ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدء
مسطح الجبهة الى منتهى ما يقابل الذقن من الطول ومن الاذن
الى الاذن في العرض و في كتاب الغزالي قال ولا تدخل في
الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الراس
قال و يوصل الماء الى مواضع التحذيف وهو ما يعتاد الناس
تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما
وقع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية
الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة وهما الحاجبان
والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب
والعذاران هما ما يوازي الاذنين من ممتد اللحية و يجب
ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقابل من
الوجه واما الكثيفة فلا و حكم العنفقة حكم اللحية في
الكثافة والخفة ثم يغسل ما ذكرنا ثلاثا ويفيض الماء على
ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين
ونحو ما يبدو من النقاب منهما وكذلك موضع الرمض ومجتمع
الكحل فينبغي ذلك كله فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك

ويرجو عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك واعوذ بك ان تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك وتخليل اللحية عند غسل الوجه مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ان كان في يده ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي العضدين فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كما ورد الخبر وعنه عليه السلام انه قال من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويمسح من مقدم راسه وقد قرن رؤس اصابع يديه حتى يبلغ القفا ثم يردهما الى حيث بدا ثم يصل كفيه الى صدغيه الى عظم اعالي اللحية ثم يردهما الى فوق ذلك لان العلماء انزلوا الراس منزلة العظمين وهما حد حلق المحرم راسه يفعل ذلك ثلاثا وان مسح بعض راسه اجزاه ويقول عند مسح الراس اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد افضل وذلك بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع كفيه على ظاهر الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من

الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني
منادي الجنة مع الابرار ويستحب مسح رقبته بماء
جديد لانه قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم
حرم شعري وبشري من النار وفك رقبتي من السلاسل
والاغلال يوم الخزي والبوار وليس بواجب استئناف الماء
للأذنين بل استحباب لانه قد روى عنه عليه السلام انه
مسح اذنيه مع راسه ولم يذكر عنه استئناف الماء لهما
ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل بخنصر اليد اليسرى
من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من الرجل
اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت
قدمي على الصراط يوم تثبت اقدام الابرار ويقول
عند غسل اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تزل قدمي
على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين والكفار ويبلغ
بالماء الى انصاف الساقين ويبالغ في غسل بواطن القدمين
كلتيهما لقوله عليه السلام ويل للعواقب من النار وويل
لبطون الاقدام من النار وذلك لمن ترك عرقوبيه وباطن
قدميه في الوضوء فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا
وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي
انك انت التواب الرحيم ثم يزيد في الدعاء يقول اللهم اجعلني
من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك

الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا
كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال الكلمات الاولى
بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش
فلا يزال يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم
القيامة ويكره في الوضوء امور منها ان يزيد على الثلاث
وان يسرف في صب الماء وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضأ ثلاثا فقال من زاد فقد ظلم واساء وعنه ايضا
قال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور
ويقال من ضعف علم الرجل ولوعه بالماء في الوضوء وقد
روى ان عبد الله بن مغفل سمع ابنا له وهو يقول اللهم اني
اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة فقال يا بني اذا سألت
فاسئل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي عليه
السلام يقول يكون في آخر الزمان قوم يعتدون في الدعاء والطهور
وقال بعض العلماء اول ما يبدأ الوسواس من قبل الطهور وعن
الحسن قال ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له
الولهان وفي حديث الربيع رحمه الله عن النبي عليه السلام
انه قال ان لبدء الوضوء شيطانا يقال له الولهان قال الربيع
انما قيل له الولهان لانه يلهي النفوس ويكره ان ينفض اليد
فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء
لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء نور قاله سعيد
ابن المسيب والزهري ولكن قد روى عن معاذ رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروى
عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كانت له منشفة

قال الربيع قال ابو عبيدة رحمهما الله المعمول عندنا ان لا
يمسح اعضاءه بعد الغسل وهو استحباب من اهل
العلم في نيل الثواب مادام الماء على اعضائه ويكره ايض
ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك
من جهة الطب والله اعلم و مهما فرغ من وضوءه واقبل
على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو
موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجات الله تعا
من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب جل جلاله
وليتحقق ان طهارة القلب انما هي بالتوبة والخلو عن الاخلاق
المذمومة وان مثل من اقتصر على طهارة الظاهر كمثل من
اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقذورات
واشتغل بتجصيص الظاهر البراني من الدار فما اجدره بالتعرض
للبوار والله اعلم وبه الحول والتوفيق *

* (الفصل الثالث في كيفية الغسل) * ونذكر منه ما لا
بد للمسترشدين منه قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا
اى فاغتسلوا وعن النبي عليه السلام انه قال تحت كل
شعرة جنابة فبلوا الشعر ونقوا البشر فاذا اراد الانسان
الغسل من الجنابة بعد المراودة وانقطاع الرطوبة فليقصد
الى موضع مستتر عن الناس فليقعد على المستحم ويضع
الاناء عن يمينه ثم يسمي الله عز وجل ويغسل يديه
ثلاثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة
ان كانت به ثم يتوضا وضوء الصلاة كما سبق الا غسل
قدميه فانه يؤخرهما وان غسلهما ثم وضعهما على الارض

كالاضاعة للماء ثم يتمضمض ويستنشق ثم يبدأ بامر
راسه فيغسله ثم يبدأ بميامنه ويصب الماء على شقه
الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من
بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس ويوصل الماء الى منابت
ماكثف منها او خف ويصب على ظهره وبطنه حتى يأتي
على سائر جسده ثم يتنحا عن موضعه فيغسل قدميه الا
ان يكون الموضع منحدرا فليغسل قدميه فيه او في غيره
وليتق ان يمس ذكره في اثناء الغسل فان فعل ذلك فليعد
الوضوء وان توضا بعد الغسل فحسن وليس عليه ذلك
الا ان انتقض وضوءه الاول ويتعهد معاطف البدن
ويدخل يده في سرته وليس عليه الا غسل ما ظهر من بدنه
وليس على المراة نقض ظفائر شعر راسها الا اذا علمت ان
الماء لا يصل الى خلل الشعر فلتنقضها والله اعلم فهذه
سنة الغسل والوضوء ذكرنا منهما ما لا بد منه لسالكي
طريق الآخرة من علمه وعمله وما سوى ذلك من المسائل
التي يحتاج اليها في عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب
الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران
النية واستيعاب البدن بالغسل مع امرار اليد ومن
الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين
ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين
الى الكعبين واما الترتيب والموالات فليستا واجبتين
وما سوى هذا من المضمضة والاستنشاق ومسح الاذنين
وغير ذلك سنن واستحباب والله اعلم والغسل الواجب

اربعة الغسل بخروج المنى ولالتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغتسال سنة كالغسل للجمعة وللعيدين وللاحرام ولوقوف عرفة ولمبيت المزدلفة ولدخول مكة وثلاثة اغتسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللمشرك اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا ولمن احتجم فكل ما ذكرنا سنة ومستحب وبالله التوفيق

الفصل الرابع في كيفية التيمم قال الله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقال عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وينبغي ان يقتصر في هذه الطهارة ايضا على ما لا بد منه لسالك طريق الآخرة اعلم ان من تعذر عليه استعمال الماء بفقد بعد الطلب او بمانع منعه عن الوصول اليه من سبع او عدو وحابس له او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره فامتنع من بيعه له الا باكثر من ثمن مثله او كان به جروح او قروح او مرض خاف من استعمال الماء معه فساد بعض اعضائه ولم يمكن له عزل ذلك الموضع او خاف تاخير البرء او زيادة المرض فانه يصبر حتى يدخل وقت الصلاة المفروضة فان كان آيسا من استعمال الماء باحد هذه الاعذار فليقصد الى التراب الطاهر الذي يصلح للحرث والنبات ويثور منه الغبار فلينو النية في ذلك ويقول في نفسه ارفع بتيممي هذا جميع الاحداث واتيمم للصلاة طاعة لله ولرسوله عليه السلام وليقل بسم الله وليضع يديه مع كفيه وهما

يا

يابستان مفرقا بين اصابعه على التراب اليابس ثم يرفعهما
ويقرن بعضهما الى بعض وينفضهما نفضا خفيفا فيمسح
بهما وجهه مستوعبا له ما رابيديه من اعلاه الى ان يستوفيه
وليراع الوترة وهي ما بين المنخرين ولا يتكلف ايصال
الغبار الى ما تحت الشعور خف او كثف يحصل ما ذكرنا
بالضربة الواحدة وليقل حين يرفعهما الى الوجه الله اكبر
ثم يردهما الى التراب فيضرب بهما ضربة اخرى ثم يرفعهما قارنا
لهما من عند ابهاميه فيضع اليسرى على ظاهر اليمنى ويمر
بها على ظاهر الكف ثم يعمل بكفه اليمنى على ظاهر كفه اليسرى
كذلك وان اخطأ شيئا من مواضع الوضوء لم يصبه التراب
فقد اجزاه وليس عليه ان يخلل بين اصابعه في التيمم فيما
وجدت في الاثر لان هذا مسح لا غسل فاذا صلى الفريضة
بذلك التيمم فله ان يتنفل كيف شاء فان لم يجمع بين
فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية والله اعلم (فصل)
ويجب على المتطهر بالماء او التراب عند فقد الماء ان يستصحب
حال وضوئه او تيممه عند فعل الصلاة واذا طرا عليه ما
ينقض طهارته وجب عليه الاتيان بها والا بطلت صلاته
لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة من احدث حتى يتوضأ
والذي ينقض الطهارة من الوضوء او التيمم هو كل نجاسة
تخرج من الجسد من اي موضع خرجت وعلى اي جهة خرجت
سواء كانت من القبل مثل البول والمني والمذي والودي
والدم او كانت من الدبر كالغائط والدم والدابة والحصاة
والريح وغيرها او سالت من الانف كالرعاف او من الفم

كالقيء والقلس او سفحت من جرح او قرح كالدم والصديد
الذي علته الدم او من سائر الجسد كالفصد والحجامة وكذلك
كل نجاسة من هذه الانجاس او غيرها تلاقي بدن المتوضي
من غيره سواء لاقته باختياره كلمسه النجس الرطب او
الميتة رطبة كانت او يابسة او ظهر كلب رطبا او غسل
ميتا غير متولي او ما اشبه ذلك او لاقته بغير اختياره
كدابة تبول او تذبح فيطير البول او الدم اليه فيمس جسده
وكذلك لحم الخنزير والمنجوس من الطعام والشراب وما
اشبه ذلك اذا مس بدنه وينقض الوضوء ايضا زوال
العقل باغماء او جنون او سكر او مرض برسام او نوم مضطجعا
واشباه ذلك وكذلك مس الفروج مباشرا بباطن كفه
من غير حائل بينه وبين الفرج ينقض الوضوء خطأ كان
او عمدا وهذا اذا مس الذكر او موضع الغائط من عورته
وكذلك عورة غيره تنقض الوضوء اذا مسها وكذلك ابدان
النساء الاجنبيات اذا مس ذلك على غير سبيل المعالجة
ما خلا الامة فانه لا ينقض من مس بدنها الا الفرج وكذلك
ذوات المحارم على هذا الحال واما ان قبل زوجته او سريته
فلا نقض عليه وكذلك غيبة المسلم وقول الكذب وقذف
المحصنات وبهتان البري والنميمة ولعن البهائم والاطفال
وجميع من لا يستحق اللعن والشرك بالله وتسمية الفروج
باقبح اسمائها كل ذلك ينقض الوضوء وكذلك الاستماع الى
جميع ما لا يحل استماعه مثل غيبة المسلم والسر من اثنين
اللهو والمزامير واستماع النوح والغنا وغير ذلك ينقض

الوضوء وكذلك النظر الى عورات الآدميين غير نفسه
او زوجته او سريته ينقض الوضوء وكذلك النظر فى
سر كتاب غير مباح كل هذا ينقض الوضوء عند اصحابنا
والله اعلم قد ذكرنا من النجاسات والفضلات والطهارات
الظاهرة على الابدان مالا بد منها لسالكى طريق الآخرة
وليحققوا ان نجاسات الباطن وفضلاته واوساخه من
الاخلاق المذمومة والاعتقادات الفاسدة التى يجب
التنظف منها اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق كملت
اسرار الطهارة بحمد الله وحسن عونه والصلاة على محمد
نبيه يتلوه اسرار الصلاة ان شاء الله *

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تمام قنطرة الصلاة فى ذكر اسرارها وفضائلها اعلم
ان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات
وغرة الطاعات قدم الله تعالى فرضها على الصيام لان الصلاة
اسهل عملا وايسر فعلا وجعل الله لها شروطا لازمة من
رفع حدث وازالة نجس كما قدمنا ليستديم العبد النظافة
للقاء ربه والطهارة لاداء فرضه ثم ضمنها تعالى تلاوة كتابه
المنزل ليتدبر ما فيه من اوامره ونواهيه ويعتبر باعجاز
الفاظه ومعانيه ثم علقها باوقات راتبة وازمان مترادفة
ليكون ترادف ازمانها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة
الخضوع له والابتهال اليه فلا تنقطع الرهبة منه والرغبة

فيه فاذا لم تنقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق
فبحسب قوة الرغبة والرهبة وضعفهما يكون استيفاؤها
على الكمال او التقصير فيها عن حال الجواز ثم من لطف الله
سبحانه بخلقه ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلا وجعل
لهم من الثواب قسطا وندبهم اليه ندبا وجعل لهم بالحسنة
عشرا ليضاعف ثواب فاعله ويضع العقاب عن تاركه
ونحن ان شاء الله في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد
للمكلف منه من اعمال الصلاة الظاهرة واسرارها الباطنة
وكاشفون عن دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع
والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في كتب الفقه
ومرتبون ذلك ان شاء الله على ستة ابواب الباب الاول
في فضل المسجد وفضل الاذان وفضل الصلاة الباب الثاني
في تفصيل الاعمال الظاهرة ومناهي الصلاة الباب الثالث
في كشف معاني اعمالها الباطنة الخفية الباب الرابع
في كيفية الامامة فيها وما على الائمة الباب الخامس في
صلاة الجمعة وسننها وآدابها المستحبة الباب السادس
في الصلوات المسنونة والنوافل المرغوب فيها الاول في فضل
المسجد وفضل الاذان وفضل الصلاة وفضل الخشوع والركوع
والسجود واتمام الاركان وصلاة الجماعة فيشتمل هذا الباب
على هذا الحال على ستة فصول الفصل الاول في فضل
الاذان قال الله سبحانه ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا الآية قيل انها نزلت في المؤذنين وقال تعالى
واذا ناديتم الى الصلاة الآية اراد بالنداء الاذان وعن ابن

عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ
القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم به قوما وهم به راضون
ورجل اذن في مسجد سبع سنين لا يأخذ على اذانه طمعا
ودعا الى الله ابتغاء وجهه ورجل ابتلى بالرق في الدنيا
فلم يشغله ذلك عن عبادة ربه وادى حق مولاه وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسمع صوت المؤذن جن ولا
انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه
وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤذن المحتسب
كالشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله ما دام في اذانه ويشهد
له كل رطب ويابس فاذا مات لم يدود في قبره وعن عبد الله
ابن مسعود رحمه الله انه قال لو كنت مؤذنا لما باليت ان لا
احج ولا اعتمر ولا اجاهد وعن عمر رضي الله عنه انه قال
لو كنت مؤذنا لكمل امري وما باليت ان لا انتصب لقيام ليل
ولا صيام نهار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اغفر للمؤذنين قال فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نتجالد
على الاذان بالسيوف فقال كلا يا عمر سيأتي على الناس
زمان يتركون الاذان على ضعفائهم فتلك لحوم حرمها الله على
النار يعني لحوم المؤذنين وعن سعيد بن المسيب انه قال
من صلى بارض فلاة صلى على يمينه ملك وعن شماله ملك
فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة وعن

النبي عليه السلام انه قال الامام ضامن والمؤذن مؤتمن
اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين ويقال ان المؤذنين
اطول الناس اعناقا يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا سمعتم الاذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن
وفي حديث آخر ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى
الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله عز وجل وارجوان اكون
انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء بين الاذان والاقامة
لا يرد وعنه عليه السلام انه قال من قال حين يسمع المؤذن
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا غفر له وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذى وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة
وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قال بلال قد قامت
الصلاة قال عليه السلام اقامها الله وادامها وينبغي لمن
سمع الاذان ان يقول كما يقول المؤذن الا في الحيعلتين فانه
يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي قوله
قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموات
والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن
من الاذان يدعو بالدعوة المتقدمة في الحديث وعن ام سلمة

رضي الله عنها انه عليه السلام علمها ان تقول عند اذان
المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات
دعاتك فاغفرلي وبالله التوفيق الفصل الثاني في فضل
المسجد قال الله سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
الى قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وقال تعالى
في بيوت يعني المساجد اذن الله ان ترفع اي تكرم وتصان
وتعظم وقيل ترفع تبنى ويذكر فيها اسمه الآية وروى
عن النبي عليه السلام انه قال من بنى مسجدا لله تعالى
ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له تعالى قصرا في الجنة
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من الف المسجد الفه
الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم
الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وفي بعض
الكتب يقول الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الحصاة لتناشد الذي يخرجها من
المسجد وفي حديث آخر عنه عليه السلام انه قال عرضت
علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت
علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية
اوتيها رجل ثم نسيها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
يأتي في آخر الزمان ناس يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا
ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله بهم
من حاجة وفي الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما

تاكل البهائم الحشيش وعنه عليه السلام انه قال
الملائكة تصلى على احدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه
مالم يحدث او يقم يقولون اللهم اغفرله اللهم ارحمه
وفى حديث آخر لا يزال العبد فى صلاة ماكان فى مصلاه
ينتظر الصلاة تقول الملائكة اللهم اغفرله اللهم ارحمه
حتى ينصرف او يحدث قيل وما يحدث قال يفسو او
يضرط وعنه عليه السلام انه قال من اتى المسجد لشئ
فهو حظه وعنه عليه السلام انه قال اذا دخل احدكم المسجد
فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه عليه السلام انه
قال اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه
وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك فاذا خرج فليقل
اللهم انى اسئلك من فضلك وفى حديث آخر عن عمرو
ابن العاص عنه عليه السلام انه كان اذا دخل المسجد
قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان عصم
منى سائر اليوم وعنه عليه السلام انه قال ان المسجد
لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار تنزوى اى
تنضم وتنقبض وفى حديث جابر بن عبد الله انه قال
اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا هذا وفى
يده عرجون بن طاب يعنى نوعا من الوان التمر قال
فنظر فراى فى قبلة المسجد نخامة فاقبل عليها فحتها
بالعرجون ثم قال ايكم احب ان يعرض الله عزوجل عنه
فقال ان احدكم اذا قام يصلى فان الله قبل وجهه فلا

يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره
تحت رجله اليسرى فان عجلت به بادرة فليقل بثوبه
هكذا ووضعه على فيه ثم دلكه اروني عبيرا فقام فتى
من الحي يشتد الى اهله فجاء بخلوق في راحته فاخذه عليه
السلام فجعله على راس العرجون ثم لطخ به على اثر النخامة
قال جابر فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم وعن
النخعي انه قال كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى
المسجد موجب للجنة وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من غدا او راح الى المسجد لا يريد غيره ليتعلم خيرا
او يعلمه ثم يرجع الى بيته كان كالمجاهد في سبيل الله يرجع
غانما وقال عليه السلام رهبانية امتي عمارة المساجد
وعن الحسن بن علي انه قال من ادمن الاختلاف الى المسجد
رزقه الله احدى خمس خصال اخا مستفادا في الله او رحمة
مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه
عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء وعنه عليه السلام
انه قال المساجد بيوت المتقين وقال انما جعلت لذكر
الله والصلاة وعن انس بن مالك انه قال من اسرج سراجا
في المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له
ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي حديث الربيع عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طهرت المساجد من
ثلاثة من ان ينشد فيها بالضالة او يتخذ فيها طريق او يكون
فيها سوق وقال ابن عباس ولا باس بانشاد الضالة على
ابواب المساجد وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم

انها قالت يا رسول الله افتنا فى بيت المقدس قال ايتوه فصلوا فيه وكانت البلاد اذ ذاك حربا فان لم تاتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال قال النبى عليه السلام ما امرت بتشييد المساجد ثم قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وفى حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وفى حديث انس انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى حيث ادركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم ثم انه امر ببناء المسجد فارسل الى بنى النجار فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا فقالوا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله قال انس وكان فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فامر عليه السلام بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة وفى حديث ابن عمر انه قال ان مسجد النبى عليه السلام كانت سواريه على عهده من جذوع النخل اعلاه مظلل بجريد النخل ثم انها نخرت فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل ثم انها نخرت فى خلافة عثمان فبناها بالآجر فلم تزل ثابتة حتى الآن وفى حديث آخر لم يزد فيه ابو بكر وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد النبى عليه السلام باللبن والجريد واعاد عمده قال مجاهد عمده خشب فغيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنا جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده

قال مجاهد من حجارة منقوشة وسقفه بالساج والله اعلم ويروى ان عليا كتب الى بعض قضاتنا ثم فقال احذروا التزاويق والشرافات فى المسجد فان المسجد جم قيل معناه كالشاة الجما التى لا قرون لها وعن النبى عليه السلام انه قال جعلت لى الارض مسجد الحديث وعن عطاء الخرسانى انه قال ما من عبد سجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت ويقال الصلاة فى المسجد باربع وعشرين صلاة وفى المصلى باثنتى عشرة وفى الحديث الصلاة فى مسجد النبى عليه السلام خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد وفى المسجد الحرام بمائة الف صلاة وفى بيت المقدس بخمسمائة صلاة والله اعلم وعن انس بن مالك انه قال ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة او ذكر الا فتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل عليها الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل نزله قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلى عليهم او يلعنهم وعن على بن ابى طالب انه قال اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض اربعين صباحا والله اعلم

*

(الفصل الثالث فى فضيلة الصلوات وعقوبتها)

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا اى فرضا موقتا وقال تعالى حافظوا على
الصلوات الآية وقال تعالى لنبيه عليه السلام اقم
الصلاة طرفي النهار وقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام حين
تكلم في المهد واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وقال تعالى مخبرا عن اسمعيل عليه السلام وكان يامر
اهله بالصلاة والزكاة الآية وقال تعالى مخبرا عن الانبياء
عليهم السلام واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
الآية في امثال هذه مما يطول به الكتاب وصح عن النبي
عليه السلام انه قال لكل شئ عمود وعمود الدين الصلاة
وعمود الصلاة الخشوع وخيركم عند الله اتقاكم وعنه
عليه السلام انه قال لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة
لمن لا وضوء له ولا وضوء ولا صلاة لمن لا صوم له ولا
صوم الا بالكف عن محارم الله وعنه عليه السلام
انه قال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الايمان
وقال بني الاسلام على خمس على ان يوحد الله تعالى واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت
من استطاع اليه سبيلا وعنه عليه السلام انه قال
من هانت عليه صلاته كان على الله اهون وعنه عليه
السلام انه قال الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال عليه
السلام اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى

المساجد في الظلمات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه
عليه السلام انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر
وعنه عليه السلام انه قال الصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقرآن حجة لك وعليك وعن ابي امامة
عنه عليه السلام انه قال من خرج من بيته متطهرا الى
صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح
الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر الحاج المعتمر وصلاة
على اثر صلاة لا لغو فيها كتب في عليين وعنه عليه السلام
انه قال زكوا تغنموا اصلوا تنجحوا وصوموا تصحوا وسافروا
تغنموا وعنه عليه السلام انه قال يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الفجر فيعرج الذين
باتوا فيكم فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون
الربيع بن حبيب عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال خمس صلوات كتبهن الله على العبد
في اليوم والليلة فمن جاء بهن لم يضيع من حقهن شيئا جاء
وله عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن نقص من حقهن
شيئا جاء وله عند الله عهد ان يدخله النار وعنه صلى
الله عليه وسلم من طريق سلمان الفارسي رحمه الله انه
قال الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فقد
علمتم ما قال الله في المطففين رواه جابر بن زيد عن سلمان
موقوفا وعنه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر اخوان عنده

هلك احدهما فقال عليه السلام وما يدريكم ما بلغت
به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب
احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك
يبقى من درنه شيئ قالوا لا شيئ قال صلى الله عليه وسلم
فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن
فانكم لا تدرون ما بلغت به صلاته وعنه عليه السلام
قال الصلاة علم الايمان فمن حفظها وحافظ عليها لوقتها
بحدودها وفرائضها وسننها فهو مؤمن وعنه عليه السلام
قال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من لقى الله وهو مضيع
للصلوات لم يعبأ الله عز وجل بشيئ من حسناته وعنه صلى
الله عليه وسلم انه سئل اى الاعمال افضل فقال الصلاة
لمواقيتها وعنه عليه السلام انه قال من حافظ على الخمس
باكمال طهورها ومواقيتها كن له نورا وبرهانا يوم القيامة
ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال مفتاح الجنة الصلاة وعنه عليه السلام
انه قال ما افترض الله عز وجل على خلقه بعد التوحيد
احب اليه من الصلاة ولو كان شيئ احب اليه منها
لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم
وقاعد وعنه عليه السلام انه قال من ترك الصلاة
كفر وقال عليه السلام العهد الذى بيننا وبينكم
ترككم الصلاة فمن تركها فقد كفر وفى خبر آخر من
طريق الربيع باسناد عنه عليه السلام قال ليس بين

العبد والكفر الا تركه الصلاة وعن علي بن ابي طالب
وجماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء انهم قالوا
تارك الصلاة كافر وعن علي ايضا من ترك الصلاة فقد
خرج من الايمان ابو سفيان محبوب بن الرحيل العبدي
رحمه الله عن المعتمر بن عمارة بن سالم بن ذكوان الهلالي
قال ما لقي الله عبد بذنب اعظم من ترك الصلاة
وعن عمر بن الخطاب رحمه الله انه قيل له الصلاة
يا امير المؤمنين فقال وجرحه ينبعث دما نعم ولاحظ
في الاسلام لاحد ترك الصلاة وعن ابن مسعود رحمه
الله قال من لم يصل فلا دين له وعن النبي عليه السلام
انه قال من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد
صلى الله عليه وسلم ويروى ان اول ما ينظر من عمل
العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت
منه وقبل سائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه
ورد سائر عمله وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
كان يكتب الى عماله ان اهم اموركم عندي الصلاة فمن
حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها
فهو لما سواها اضيع وقد عاب الله اقواما وذمهم
وتوعدهم بالوعيد الشديد والعذاب الاليم بتضييعهم
بعض حقوقها فكيف التارك لها فقال فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة الى قوله غيا وعن عمر بن عبد العزيز
قال اضاعوها اي ضيعوا حدودها ومواقيتها وقوله
فسوف يلقون غيا قيل واديا في جهنم وقال تعالى

فويل للمصلين الآية وقد امر الله نبيه بجهاد العدو ووضع
السيف في اهل الكفر بالله ولم يامره بالكف عنهم الا
بعد تاديتهم الصلاة وقرنها بالايمان به فقال تعالى
اقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة
الآية وجاء عنه عليه السلام انه نهى عن قتل المصلين
فثبت بدليل الخطاب قتل غير المصلين فلعمري ان الذى
عليه اكثر سلف الامة من كل المذاهب استتابة تارك
الصلاة فان تاب وارتدع وصلى والا ضربت عنقه وعنه
عليه السلام انه قال يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان
الله تعالى ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وكان ابو
بكر الصديق رضي الله عنه فيما بلغنا اذا حضرت الصلاة
قال قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها وفى
حديث ابى ذر رضي الله عنه انه قال من تهاون بالصلاة
ثلاثة ايام مع لياليها عاقبه الله بخمس عشرة خصلة
ست فى حياته وثلاث عند موته وثلاث فى قبره وثلاث
فى المحشر اما اللواتى فى الحياة فينزع البركة من رزقه
وعمره وينزع سيم الصالحين من وجهه ولا يستجاب
دعاءه ولا يقبل عمله ولا يجد ثواب عمله واما اللواتى
عند الموت فانه يموت جائعا عطشانا ذليلا واما
اللواتى فى القبر فضيق القبر وظلمته وعذابه فى البرزخ
حتى تقوم القيامة واما اللواتى فى المحشر فانه يسحب
على وجهه ويعذب عذابا اليما وينادى عليه مناد
هذا جزاء من ضيع ما افترض الله عليه وعنه عليه

السلام

السلام انه قال ما اعطى العبد خيرا من ان يؤذن لـه
فى ركعتين يصليهما وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضات
الرب وحب الملائكة وسنة الانبياء واصل الايمان
واجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة فى الرزق وراحة
الابدان وسلاح الاعداء وكراهية الشيطان وشفيع
لصاحبها عند الموت وسراج فى القبر وفراش لجنبه
وجواب منكر ونكير ومؤنس معه وزائر له فى قبره
فاذا كانت القيامة صارت الصلاة ظلا فوقه وتاجا
على راسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه
وسترا بينه وبين النار وحجة بين يدى الرب تعالى
وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة
لان الصلاة تحميد وتسبيح وتمجيد وتعظيم وقراءة
ودعاء فيها يتوصل العبد الى الملك الاعلى وبها يصرف
عنه البلاء كما حكى فى الخبر ان ادم عليه السلام
نزلت به قرحة فى ابهام رجليه ثم ارتفعت الى قدميه
ثم ارتفعت الى ركبتيه ثم الى حقويه فقام يصلى فنزلت
الى ركبتيه ثم قام يصلى فنزلت الى قدميه ثم قام
يصلى فذهبت من جميع جسده وعن عثمان بن عفان
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما توضأ عبد فاحسن الوضوء ثم اتى الصلاة الا غفر
الله له ما بينه وبين الصلاة الاخرى فالتمست ذلك
فى كتاب الله تعالى فاذا هو فى سورة المائدة فى قوله

اذا قمتم الى الصلاة الى قوله وليتم نعمته عليكم
فعلمت ان تمام النعمة على المصلين تطهيرهم من
الذنوب واتمام المغفرة وعن سعيد بن المسيب انه
قال حضرت الوفاة رجلا من الانصار فقال من فى
البيت فقالوا اهلك واخوانك وجلساؤك فى المسجد
فقال اقعدونى فاسنده ابنه الى صدره ففتح عينيه
وسلم على القوم فردوا عليه السلام وقالوا خيرا فقال
اما انى احدثكم حديثا ما حدثت به احدا منذ سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما احدثكم به الا
ايمانا واحتسابا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد
يصلى فى جماعة المسلمين لم يرفع رجله اليمنى الا كتبت
له حسنة ولا يضع رجله اليسرى الا محيت عنه سيئة
حتى ياتى المسجد فليقترب او يتباعد فاذا صلى الصلاة
انصرف وقد غفر له وكان عبد الله بن عمر فيما بلغنا يقول
ان خطايا الانسان فى راسه فاذا سجد انحطت الذنوب
والخطايا من راسه وعن النبى عليه السلام انه قال اول
ما يحاسب عليه الناس يوم القيامة الصلاة يقول
الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا الى صلاة عبدى
فان كانت تامة فاكتبوها تامة وان كانت ناقصة قال
انظروا الى ماله من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا
فريضته من تطوعه رحمة منه على عبده يريد ما نقص
منها سهوا والله اعلم

*

(الفصل الرابع في فضل الخشوع)

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة
الا على الخاشعين وقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون فاسمتا لها من الآيات ومعنى الخشوع
الخوف الثابت في القلب فاذا كان القلب خاشعا خائفا اورث
ذلك تيقظا فيه وسكونا في الجوارح كما قال عليه السلام
وقد نظر الى رجل يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه وقال تعالى اقم الصلاة لذكري وقال تعالى ولا
تكن من الغافلين وقال عز وجل لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم
وقيل من حب الدنيا وقيل ان المراد به ظاهره وفيه تنبيه
على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون
فكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته
وقال بعض العلماء الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة لها
والاعراض عما سواها وعن عمر بن دينار قال ليس الخشوع في
الركوع والسجود ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة
وقيل هو ان لا ترفع بصرك عن موضع سجودك وقال
بعضهم يحتاج المصلي الى اربع خصال حتى يكون خاشعا
اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الهمة
وهذا هو الاصل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مروي في الصحيح وقال
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا انما الصلاة تمسكن وتواضع

وتضرع وتبائس وتنادم وتقنع راسك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج وروى عن الله سبحانه فى الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل تقبل صلاته انما تقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر علىّ واطعم الجائع الفقير لوجهى وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمطلوب عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم للذى اوصاه اذا صليت صلاة فصل صلاة مودع قيل معناه مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وعن بكر بن عبد الله انه قال من مثلك يا ابن آدم اذا اردت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله

الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم
الخليل عليه السلام فيما بلغنا اذا قام الى الصلاة يسمع
اضطراب قلبه على ميلين وكان بعض العلماء اذا صلى
لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ويروى ان
الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجنى
من الحور العين فقال له بئس الخاطب انت تخطب
الحور العين وانت تعبث ويروى انه قيل لخلف بن
ايوب الا تؤذيك الذباب فى الصلاة فتطردها فقال
لا اعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى قيل له وكيف
تصبر على ذلك قال بلغنى ان الفساق يصبرون تحت
اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك
فكيف وانا قائم بين يدى ربى افا تحرك لذبابة ويروى
عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله
تحدثوا انتم فانى لست اسمعكم ويروى عنه انه كان
يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك ولم يشعر به حتى انصرف من
الصلاة وكان على بن ابى طالب اذا حضر وقت الصلاة
يتزلزل ويتلون فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول
جاء وقت امانة عرضها الله عز وجل على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وروى عن على
ابن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله
ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين
يدى من اريد ان اقوم وعن ابن عباس رضى الله عنه

انه قال قال داود عليه السلام الهى من يسكن بيتك
وممن تتقبل منه الصلاة فاوحى الله تعالى اليه انما
يسكن بيتى واتقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى
وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من
اجلى يطعم الجائع ويأوى الغريب ويرحم المصاب
فذلك الذى يضيء نوره فى السماء كالشمس ان دعانى
لبيته وان سألنى اعطيته اجعل له فى الجهل علما وفى
الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس
فى الجنان لا تتيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى
عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حان وقت
الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذى اريد
الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم اقوم فى
مصلاى فاجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت
قدمى والجنة عن يمينى والنار عن يسارى وملك
الموت وراءى واظنها آخر صلاتى ثم اقوم بين الرجاء
والخوف فاكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع
ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واجلس على التمام
واتشهد بالسنة واتبعها بالاخلاص ثم لا ادرى اقبلت
منى ام لا * (فصل) * اعلم ارشدك الله وايانا
لطاعته ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل
بجلال الله تعالى وعظمته ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا
فى الصلاة وفى غيرها بل فى جميع خلواته فان موجب الخشوع
معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة

تقصير العبد في حق عظمته تعالى فمن هذه المعارف
يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك
روى عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة
حياء من الله تعالى وخضوعا له وفي كتاب الغزالي قال
وكان الربيع بن خثيم فيما بلغنا من شدة غضه للبصر
واطراقه الى الارض يظن بعض الناس انه اعمى وكان
يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته
جاريته قالت لابن مسعود رحمه الله صديقك ذلك
الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان
اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره
وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله
لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر
لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود على الحدادين فلما
نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط وخر
مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة
ولم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى
الساعة التى صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود
عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع فيما بلغنا
يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمنى فيها الا ما اقول وما
يقال لى والله اعلم وروى عن ابى بلال مرداس رحمه الله انه
اجتاز على اعرابي يهنا بعيرا له بالقطران فلما رآه سقط مغشيا
عليه فجعل الاعرابي يقرأ فى اذنه ظن انه مجنون فلما افاق
قال له ليس بى ما ظننت ولكنى رايت القطران فتذكرت

قطر ان النار فقال الاعرابي لاجرم لا افارقك وروى عن ابى بلال ايمن انه مر بحدادين هو وصاحب له فلما نظر اليهم غشى عليه فلم يزل الرجل يرش على وجهه الماء حتى افاق ثم سارا فاستقبلتهما امراة جسيمة بهية ذات كسوة وهيئة فلما نظر اليها ابو بلال سقط مغشيا عليه فلم يزل صاحبه يرش الماء على وجهه حتى افاق فسارا فبينما هما يسيران اذا استقبلهما رجل على برذون فى هيئة عجيبة وخلفه غلمان فلما نظر اليه ابو بلال سقط مغشيا عليه فلم يزل صاحبه يرش الماء على وجهه حتى افاق فقال له يا ابا بلال يرحمك الله ما هذا الذى ارى اما المرة الاولى فقد علمت انك عاينت النار بذلك فحدثنى عنك حين رايت المراة والرجل فقال اما المراة فانى لما رايت عظمها وجسمها وما هى فيه ذكرت تقلبها فى النار فكان ما رايت واما الرجل فكنت اراه كثيرا هو يشهد مجالس المسلمين فذكرت سوابق الشقاء فكان ما رايت وذكر فى سيرة الاشياخ ان رجلا من اهل تنضج كان يصلى على ظهر دكان فعمل فى باطنه الاسفنج فلم يشم رائحته اشتغالا بما هو فيه وروى عن ام داود امراة ابى هارون رحمه الله انها كانت تصلى فدخل الحنش فى كمها وخرج من الكم الآخر ولم تكسر الصلاة قالت فحسست لينه على فخذى وكان عامر بن عبد الله فيما ذكر فى كتاب الغزالى من خاشعى المصلين قال وكان اذا صلى ضربت ابنته الدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث

نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز
وجل ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا
مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب
الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول فيما بلغنا
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكان مسلم بن يسار
منهم اذ لم يشعر فيما بلغنا بسقوط اسطوانة في المسجد
وفي كتاب الغزالي قال وتأكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج
الى القطع ولم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجري
عليه فقطعت وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من
الآخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر
هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من امر الدنيا فقال
لا في الصلاة ولا في غيرها فهذه صفة الخاشعين فثبت
بما ذكرنا من الاخبار والحكايات ان الاصل في الصلاة
الخشوع واحضار القلب على ما سيأتي ان شاء الله وان
مجرد الحركات قليل الجدوى والمنفعة في الآخرة وبالله التوفيق

(الفصل الخامس في فضل اتمام الاركان من الركوع والسجود)

وغير ذلك في الصلاة اعلم انه لا يستحق ثواب الصلاة
الا المقيمون لها بحدودها ووظائفها لان المصلين كثير والمقيمين
قليل ولذلك عظم الله سبحانه الصلاة فقال وانها لكبيرة
الا على الخاشعين الآية فكلما ذكر الله في كتابه صفة المؤمنين
نسبهم في الصلاة الى الاقامة بها فقال تعالى واوحينا
اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة الآية وقال تعالى والمقيمين
الصلاة الذين يقيمون الصلاة فاما لها وقال في المنافقين

فويل للمصلين وقال واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
في امثالها لان الصلاة هي خدمة الله تعالى في ارضه تتضمن
على جميع طاعات المتعبدين من الملائكة وغيرهم ولذلك
قيل ان الله تعالى خلق سبع سموات وحشاها بالملائكة
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وتعبدهم بانواع العبادات
فاهل سماء قيام حتى ينفخ في الصور واهل سماء ركع واهل سماء
سجد واهل سماء مرخية الاجنحة من هيبة الله تعالى
واهل عليين ومن حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض من المؤمنين فجمع الله عبادتهم كلها على
اختلافهم فيها للمسلمين في صلاة واحدة ليناولوا حظا
من عبادة اهل السموات وزادهم القرآن يتلونه فيها
فدل ما ذكرنا ان الصلاة امر عظيم وفرض جسيم وانها
معدن البر واساس الخير والاتيان بها على الكمال امر شديد
الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
ولذلك قال عيسى عليه السلام مثل الصلاة المكتوبة كمثل
الميزان من اوفى استوفى وعن يزيد الرقاشي انه قال كانت
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة
وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجلين
من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد
وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض قيل اشار بذلك
الى الخشوع وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله عز
وجل يوم القيامة الى عبد لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده
وعنه عليه السلام انه قال اما يخاف الذي يحول وجهه

في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وعن ضمام بن السائب
باسناده الى حذيفة بن اليمانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون
الصلاة حتى يقول آخر هذه الامة ما فينا منافق ولا كافر
وانا الاولياء الله حقا وحق على الله ان يدركهم الدجال وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال على المنبر ان الرجل
ليشيب عارضه فى الاسلام وما اكمل لله صلاته قيل
وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله
عز وجل فيها وروى عنه انه رأى رجلا لم يحسن صلاته
بقيام وركوع وسجود فعلاه بالدرة فقال والله لا نتركك
تظهر النفاق بين اظهرنا وسئل ابو العالية عن قوله
تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هو الذى
يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف عن شفع ام
عن وتر فانكر عليه الحسن فقال هو الذى يسهو عن
وقت الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذى ان
صلاها فى اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن
فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما وعن مطرف بن عبد الله
رفع الحديث الى عبد الله بن مسعود قال بينما هو جالس
فى مسجد الكوفة اذ دخل رجل بعد العصر وقد دنت الشمس
للغروب فجعل يصلى ولم يحسن صلاته فى قيام وركوع وسجود
فقال ابن مسعود الا من محتسب يقوم فيضرب عنق هذا
وروى عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى
الى العقوبة اسرع وقال بعضهم ان العبد يسجد السجدة عنده

انه تقرب الى الله تعالى بها ولو قسمت ذنوبه في سجدته على
اهل مدينته لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند
الله تعالى وقلبه مصغ الى هوى او مشاهد لباطل قد استولى
عليه وعن حذيفة رضي الله عنه انه نظر الى رجل يصلي لا يقيم
ظهره فلما فرغ قال اتالم ظهرك قال لا قال اما انك لو مت
على حالتك هذه كنت مخالفا لسنة رسول الله عليه السلام
واحسب اني رايت في بعض الآثار ان رجلا خفف ركوعه
وسجوده فقال له ابن مسعود منذ كم تصلي هذه الصلاة قال
منذ اربعين سنة او ما شاء الله فقال له ما صليت منذ
اربعين سنة وجاء عن النبي عليه السلام انه قال
من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها
وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة
تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى الصلاة لغير
وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها
ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك
الله كما ضيعتني حتى اذا كانت بحيث شاء الله لفت كما
يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما ترون في الشارب
والسارق والزاني وذلك قبل ان ينزل فيهم قالوا الله ورسوله
اعلم قال هن فواحش وفيهن العقوبة واسوء الناس سرقة
من الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته قال
لا يتم ركوعها ولا سجودها والآثار والاخبار في تعظيم
الصلاة كثيرة جدا ويكفي في ذلك تعظيم الله اياها في كتابه

في غير موضع قال تعالى قد افلح المؤمنون فبدأ اعمالهم
بخشوع الصلاة وختمها بالمحافظة عليها ثم عاب الانسان
وذمه بالجزع والهلع والمنع للخير الا اهل الصلاة فقال
ان الانسان خلق هلوعا الى قوله الا المصلين فوصفهم
فقال الذين هم على صلاتهم دائمون فوصفهم بحسن
اعمالهم فختمها بالمحافظة على الصلاة فقال والذين هم
على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون ثم
ندب اليها رسوله فقال اتل ما اوحي اليك من الكتاب
واقم الصلاة ففي تلاوة القرآن جميع الطاعة واجتناب
جميع المعاصي ثم خص الصلاة بالذكر وامره ان يامر
اهله بها فقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
ثم امر المؤمنين فقال واستعينوا بالصبر والصلاة
الآية وكذلك لما اخبر عن المؤمنين الاولين فقال والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر
المصلحين في امثالها ما يطول به الكتاب وحض عليها
رسول الله في جميع حالاته حتى عند خروج نفسه فقال
الصلاة الصلاة وفي لفظ آخر الصلاة الزكاة وما ملكت
اليمين ثم قال رفيع الدرجات هل بلغت ثم لم يتكلم بعدها
فيما قيل والله اعلم

(الفصل السادس في فضل صلاة الجماعة)

والوعد في تاركها وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلاثة في قرية ولا
في بدو ولا تقام فيهم الصلاة الا وقد استحوذ عليهم

الشيطان ثم قال عليه السلام وعليك بالجماعة وانما
ياكل الذئب القاصية قال الراوى للحديث يعنى بالجماعة
الصلاة فى الجماعة وفى حديث ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان آمر
بالصلاة فتقام ثم امر رجلا يصلى بالناس ثم انطلق
برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة
فاحرق عليهم بيوتهم ومن طريق آخر قال عليه السلام
لقد هممت ان آمر فتيتى فيجمعوا الى حزما من حطب
ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فاحرقها
عليهم قيل للراوى عن ابى هريرة الجمعة عنا او غيرها
قال صمت اذناى ان لم اكن سمعت اباهريرة ياثره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر جمعة ولا غيرها
وعن عبد الله بن مسعود رحمه الله قال من سره ان يلقى
الله مسلما فليحافظ على الصلوات المفروضات حيث
ينادى بهن فى الجماعة فان الله تعالى شرع لنبيكم سنن
الهدى وانهن من سنن الهدى ولقد اتى علينا زمان
وما يتخلف عنهن الا منافق معلوم نفاقه ولعمرى
لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم
سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وفى لفظ
آخر لكفرتم ولقد رايت الرجل يتهادى بين اثنين
حتى يقام فى الصف وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه
عذر لم تقبل منه الصلاة التى صلى قيل وما العذر قال

خوف او مرض فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله انى
رجل ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى من
رخصة اصلى فى بيتى قال هل تسمع النداء قال نعم قال
لا اجد لك رخصة ويقال كان بينه وبين المسجد وادٍ من
نخل فامر عليه السلام ان يشد له حبل من بيته الى المسجد
فكان يمشى اليه ومن طريق آخر قال ابن ام مكتوم يا رسول
الله ان المدينة كثيرة السباع والهوام فقال هل تسمع
حى على الصلاة حى على الفلاح فحيهلا واما فضلها
فقد قال عليه السلام صلاة الجماعة تفضل صلاة
الفذ بسبع وعشرين درجة وعن عثمان بن عفان عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى العشاء فى جماعة كان
كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان
كقيام ليلة وعن ابى بن كعب قال صلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما الصبح فقال اشاهد فلان قالوا لا
قال اشاهد فلان قالوا لا قال ان هاتين الصلاتين اثقل
الصلوات على المنافقين ولو تعلمون ما فيهما لاتيتموهما
ولو حبوا على الركب وان الصف الاول على مثل صف الملائكة
ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه وان صلاة الرجل مع الرجل
ازكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته
مع الرجل وما كثر فهو احب الى الله وفى بعض آثار قومنا عن ابى
سعيد الخدرى عنه عليه السلام انه قال اتانى جبريل عليه
السلام بعد العصر معه سبعون الف ملك فقال لى يا محمد
ان الله يقرئك السلام ويقول لك قد اهدى لك هدية

قال فقلت يا جبريل وما هذه الهدية قال صلاة الوتر وصلاة
الخمس في الجماعة فقلت له يا جبريل وما لامتي من صلاتها
في الجماعة فقال يا محمد ان كانا اثنين كتب الله لكل واحد منهما
بكل ركعة ثواب مائة وخمسين صلاة وان كانوا ثلاثة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثلثمائة صلاة وان كانوا
اربعة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ستمائة صلاة وان
كانوا خمسة كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب الف
صلاة ومائتي صلاة وان كانوا ستة كتب الله لكل واحد منهم
لكل ركعة ثواب الفي صلاة واربعمائة صلاة وان كانوا سبعة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة اربعة آلاف صلاة وثمانمائة
صلاة وان كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة
ثواب تسعة آلاف صلاة وستمائة صلاة وان كانوا تسعة
كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة ثواب تسعة وعشرين الف
صلاة ومائتي صلاة وان كانوا عشرة كتب الله لكل واحد
منهم ثواب ثمانية وثلاثين الف صلاة واربعمائة صلاة
فان زادوا على العشرة فلو كانت البحار مدادا والاشجار اقلاما
والثقلان كتابا لم يقدروا ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة من
صلاة الجماعة يا محمد تكبيرة ركعة واحدة يكبرها
المصلي المؤمن مع الامام خير له من مائة الف دينار
يتصدق بها على المساكين وسجدة واحدة يسجدها
المؤمن مع الامام خير له من عبادة سنة وركعة
واحدة يركعها المؤمن مع الامام خير له من عتق
رقبة والله اعلم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال

من

من صلى اربعين يوما صلاة الصبح في جماعة لا تفوته منها
تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق
وبراءة من النار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وعن
ابي هريرة انه قال لان تمتلئ اذن ابن آدم رصاصا مذابا
خير له من ان يسمع المنادي ثم لا يجيبه ويقال انه
اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب
الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت اعمالكم فيقولون
كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة ولا يشغلنا عنها
غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون
بعد السؤال كنا نتوضى قبل الوقت ثم تحشر طائفة
وجوههم كالشموس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع
الاذان في المسجد ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتاني آتيان في نومي فقالا انطلق معنا فانطلقت
معهما فاتيانى على رجل مضطجع واذا بآخر قائم على رأسه
بصخرة يهوى بها الى راسه فيشدخه بها ثم يأخذها
ويرجع بها اليه فما يصل اليه حتى يرجع راسه كما
كان فيفعل به مثل المرة الاولى فقلت سبحان الله ما هذا
فقالا لي انه كان ينام عن صلاة العتمة ويقال الصلاة
العشاء تثقل على من كان قبلنا ويكره النوم قبلها
والحديث بعدها لانها كالطابع على العمل ويروى ان
قوما كانوا في سفر لا يسترلون الله اذا نزلوا ولا
يستجمعون على امام فعميت ابصارهم فنودوا اذلكم

بانكم لا تستنزلون الله اذا نزلتم ولا تستجمعون على امام
فتنابوا الى الله وتضرعوا فرد الله عليهم ابصارهم ويقال
عن سعيد بن المسيب انه قال ما اذن المؤذن منذ عشرين
سنة الا وانا فى المسجد وعن محمد بن واسع انه قال
ما اشتهي من الدنيا الا ثلاثة اخا فى الله ان تعوجت
قومني وقوتا من الرزق عفوا بلا تباعة وصلاة فى
جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وعن الحسن
قال لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وعن
النخعي قال مثل الذى يؤم بالناس بغير علم كمثل
الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه
ويقال من اخذ تكبيرة الاحرام مع الامام كمن انفق
مائة ناقة سود الحدق ويروى ان السلف كانوا
يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول
ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة وفى حديث ابى
هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا
اعطاه الله تعالى مثل اجر من صلاها او حضرها ولا
ينقص ذلك من اجورهم شيئا والله اعلم *

(الباب الثانى فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة)

اعلم انه ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء وطهارة
الخبث من البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة
من السرة الى الركبة للرجل وجميع البدن للمراة هذا
اقل السترة وان كان الثوب واسعا فليستر الرجل

ظهره و عامة بدنه فان خرج الى المسجد فليخرج بنية
الزيارة و يدخل المسجد بنية العبادة و ينتصب للصلاة
قائما متوجها الى القبلة بنية الخدمة لله تعالى بالعبودة
مقراله بالربوبية و ليقم الصلاة و ليؤذن اولا ان رجا من
يصلي معه و لينتصب للصلاة جاعلا بين رجليه مقدار
مسقط نعل او اربعة اصابع يراوح بذلك بين قدميه
ولا يضمهما فان ذلك فيما بلغنا مما يستدل به على فقه
الرجل هذا ما يراعى في رجليه عند القيام و يراعى في
ركبتيه و معقد حزامه الانتصاب واما راسه فان
شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرقه قليلا والاطراق
اقرب الى الخشوع و اغض للبصر و ليكن بصره محصورا
على مصلاه في موضع سجوده فان لم يكن مصلا فليقرب
من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر
و يمنع تفرق الفكر و لا يخالف بين رجليه و لا يقف على
اطراف اصابع احدى رجليه و ذلك هو الصفن المنهى
عنه و ليرسل يديه ارسالا مع بدنه و ليخشع لله بقلبه
وجميع جوارحه و ليستقبل القبلة بوجهه وقلبه و ليعلم
انه مامور بالصلاة و التوجيه بها الى القبلة و ليعرف
صلاته تلك و يومه و شهره و ليرج ثواب الله في اداء فرضه
خائفا من عقابه في تضييع شيء من اوامره فاذا استوى
قيامه واستقباله و تخشعه فليحضر النية على اداء صلاة
معينة حضرية او سفرية و يقول رب اني عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفرلي فانه لا يغفر الذنوب الا انت

اللهم اعنى على اداء فريضتك التى فرضت على ان اودى
صلاة الظهر فريضة افترضتها على ويقول بقلبه هذه
الالفاظ ليتميز بقوله اودى عن القضاء وبالفريضة
عن النفل وبالظهر عن العصر ولتكن معانى هذه الالفاظ
حاضرة فى قلبه فانها النية والالفاظ مذاكرة وليجتهد
ان يستديم النية الى آخر التكبير حتى لا تعزب عن قلبه
فاذا احضر هذه الالفاظ كما ذكرنا فانه يقول اللهم اعنى
على اداء فرضك الذى افترضت على بان اودى صلاة الظهر
فريضة افترضتها على فى يوم معلوم وشهر معلوم متقربا
بها اليك راجيا بها ثوابك خائفا بها من عقابك مستقبلا
بها فرض قبلتك وهى الكعبة التى هى قبلة لاهل المسجد
الذى هو قبلة لاهل مكة التى هى قبلة لاهل الحرم الذى
هو قبلة لاهل الارض انى وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا من المسلمين سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك الله اكبر وينبغى له ان يضم
الهاء من الله بضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل
بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة
ولا يدخل بين باء اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم
التكبير ولا يضمه فاذا كبر فليسكت مقدار ما يبلع ريقه
وليقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم سرا ويجهر الذاكر
من اعوذ ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا فى قراءة السر

وجهرا فى قراءة الجهر ثم يقرأ فاتحة الكتاب بتمام تشديداتها
وحروفها جهرا فى موضع الجهر وذلك فى الصبح والركعتين
الاولتين من المغرب والعشاء ثم يقرأ سورة ان قدر او
ثلاث ايات من القرآن فما فوقها بعد الفاتحة جهرا ومعنى
الجهر تحريك اللسان بقطع الحروف حتى يسمع اذنيه وان كان
فى صلاة السر اقتصر على الفاتحة وذلك فى الظهر والعصر
والركعة الاخيرة من المغرب والاخيرتين من العشاء
ومعنى السر تقطيع الحروف باللسان دون ان يسمع
الاذن وان لم يحرك لسانه فذلك تكييف ولا يجزيه
والمستحب فى قراءة الصبح ان يقرأ من طوال سور المفصل
من سورة محمد عليه السلام الى تبارك الذى بيده الملك
ثم الى عبس ويقرأ فى العتمة من عبس الى والفجر وفى المغرب
من انا انزلناه الى قل هو الله احد ويقرأ فى الصبح فى السفر
من السور القصار من اذا زلزلت الى قل يا ايها الكافرون
وان قرأ بغير ما ذكرنا فجائز ثم اذا فرغ من قراءة السورة
فليفصل بين القراءة وتكبير الركوع بقدر قوله سبحان الله
ثم يركع بتكبير يمده الى انتهاء الركوع وليمد ظهره
مستويا راسه مع عنقه كالصفيحة الواحدة لا يكون
راسه اخفض ولا ارفع وليضع كفيه على ركبتيه
واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة ولينصب
ركبتيه ولا يثنيهما وليجاف مرفقيه عن جنبيه والمرأة
تضمهما وليقل سبحان ربى العظيم ثلاثا وان زاد على
الثلاثة الى سبعة فلا بأس ان لم يكن اماما ثم يرتفع

من الركوع الى القيام معتدلا حتى يرجع كل عضو الى
مفصله وليقل سمع الله لمن حمده ان كان وحده
وان كان مع امام فليقل ربنا ولك الحمد ثم يهوي الى
السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ثم كفيه مكشوفة
ثم جبهته وليكن اول ما يقع على الارض منه ركبتاه
ثم يداه ثم بعد ذلك جبهته مع انفه وليجاف مرفقيه
عن جنبيه وبطنه عن فخذيه والمراة في جميع ذلك تضمها
وليضع يديه على الارض بين اذنيه وركبتيه وليضم
اصابعهما ولا يفترش ذراعيه على الارض كافتراش الكلب
وليوصل الى الارض اكثر اصابع رجليه وليسبح ثلاثا يقوله
سبحان ربي الاعلى وان زاد على الثلاثة فحسن الا ان كان
اماما فليقتصر على الثلاث ثم يرفع راسه من السجود مكبرا
حتى يطمئن جالسا معتدلا حتى يرجع كل عضو الى مفصله
وليقعد بين رجليه وظاهر اليسرى مما يلي الارض وليضع
يديه على فخذيه منشورة اصابعهما ثم يرجع الى السجود مرة
ثانية وليفعل فيها كما فعل في الاولى ثم يقوم الى الركعة
الثانية ولا يعتمد على يديه في حين القيام الا ان يكون شيخا
كبيرا فلا باس والذي ينبغي له ان يقوم من الارض كقيام
المهر اذا تمرغ في الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة القيام
ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين القعود الى انتهاء القيام
كما يمده في حال هبوطه الى السجود مدا يستغرق ما بينهما
ثم يصلي الركعة الثانية كالاولى ثم يجلس للتشهد واضعا
ظهر قدمه اليمنى في اخمص اليسرى وظاهر اليسرى مما يلي

الارض واما المراة فلتفض الى الارض باوراكها وترد رجليها الى الجانب الايمن فليقرا التحيات الى التشهد وليقم بالتكبير الى اتمام الصلاة ثم يفعل فى بقية صلاته كما تقدم ثم يجلس فى آخرها للتشهد حتى يتمها ثم يسلم تسليمة واحدة يقول السلام عليكم يصفح بها وجهه على اليمين ثم الشمال وينوى به الخروج من الصلاة وقيل ينوى به التسليم على الحفظة ولا يسلم المأموم حتى يفرغ الامام من التسليم وليحذف السلام حذفا ولا يمده فهو السنة فهذه هيئة صلاة المنفرد وبالله التوفيق * (فصل فى المناهى الواردة فى الصلاة) * وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة فالصفن هو رفع احدى الرجلين مع القيام على اطراف اصابعها ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد واما الصفد فهو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد ونهى عليه السلام فى الصلاة عن اقعاء الكلب وهو عند اهل اللغة ان يجلس الانسان على مقعدتيه ناصبا ركبتيه ويجعل يديه على الارض كالكلب وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين ونهى عن التفات الثعلب ونقر الديك وذلك فى الركوع والسجود ونهى عن النظر قبل الوجه ونهى عن افتراش الذراعين فى السجود كما يفعل الكلب ونهى عليه السلام عن لباس السدل والكفت وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه اما السدل فمذهب اهل الحديث فيه فيما

ذكر في كتاب الغزالي هو ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه ولا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في داخل القميص ورخص في ذلك آخرون وهو فعل الربيع رحمه الله فيما ذكر ابو سفيان محبوب ابن الرحيل رحمه الله ولباس السدل عند اصحابنا هو ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه وقيل هو لبس الازار على الطول كما تسدل الذوايب والله اعلم واما الكفت فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكفت في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي في هذا للرجال خاصة وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة ارابع ولا اكفت شعرا ولا ثوبا واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام والصلب في معناه فيما وجدت واما المواصلة فهي اربعة اثنان على الامام وهو ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على الماموم وهو ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع في قوله عليه السلام اذا حضر العشاء واقيمت الصلاة فابدوا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلاة وهو متعصب ولا يصلين احدكم

وهو غضبان ولذلك قال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الحديث سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات الى الشئ وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصباء وان تصلى بطريق من يمر بين يديك ونهى ايضا ان يشبك بين اصابعه او يفرقعها او يستر وجهه او يضع كفه على الاخرى او يدخلها بين فخذيه في الركوع وحكي عن بعض الصحابة قال كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ونهى عن صلاة الرجل وهو يدافع الاخبثين وان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير ويكره العبث بشئ من جوارحه وان يجعل في فمه او في غيره ما يشغله عن الصلاة وان يسوى الحصباء بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث انه لو سل ذلك الحائط سقط فقد بطلت صلاته ولا يدخل اصبعه في انفه ولا في فيه ولا في شئ من مغابن جسده ولا يمس جسده حديد ولا نحاس ولا رصاص ولا ذهب ولا حرير ولا يستقبل النائم ولا الميت ولا النار ولا العجل ولا جميع ماله صورة وشرح هذه المعاني يطول فليرجع فيه المسترشد الى كتب الصلاة او سؤال اهل التقى من العلماء وقد روى عن على بن ابى طالب انه قال ان في الصلاة اثنى عشر الف مسئلة يجمع ذلك اركان الصلاة وبالله التوفيق

*

* (فصل في تمييز فرائض الصلاة من سننها وفضائلها) *

اعلم انا قد ذكرنا هيئة الصلاة هاهنا مشتملة على ما فيها
من الفرائض والسنن والفضائل وذلك مما ينبغي لمريد
طريق الآخرة ان يراعي جميعها لان الله تعالى قد اوجب
علينا الصلاة وجعل لها اصولا واركانا لا تتم الا بها
فمن ترك شيئا منها عامدا انتقضت صلاته وان كان
ساهيا استدركه وسجد للسهو وسن فيها رسوله
عليه السلام سننا واجبات اكيدات فمن تعمد ترك
شيء منها عامدا اعاد صلاته وان سهى سجد للسهو
وجعل فيها فضائل مندوبا اليها من احرزها اجر ومن
تركها لم يوزر وبالله التوفيق اما جملة فرائضها فعشرون
منها عشرة قبل الدخول فيها وعشرة بعد الدخول فاللواتي
قبل الدخول فيها احداها الطهارة من الاحداث وازالة
النجس قبل الطهارة والثانية طهارة الثوب والثالثة
طهارة البقعة المصلى عليها والرابعة دخول الوقت لادائها
والخامسة الستر للعورة من الركبة الى السرة للرجل وللمرأة
الحرة جميع جسدها ما خلا الوجه والكفين من زينتها والسادسة
القيام مع القدرة في حال فعلها والسابعة استقبال القبلة
في جميعها والثامنة النية بالقلب عند التلبس بها والتاسعة
استصحاب حكم النية في سائرها والعاشرة العلم بكيفيتها
واما العشرة التي بعد الدخول فيها فاحداها الاحرام بلفظ
التكبير او ما يقوم مقامه عند بعضهم في اولها والثانية
القراءة بام القرآن فصاعدا والثالثة الركوع فيها والرابعة
الاعتدال في الركوع والرفع منه في قول بعضهم والخامسة

السجود بعد الركوع والسادسة الفصل بين
السجدتين والاعتدال فيهما على قول بعضهم والسابعة
الجلوس بعده والثامنة التحيات على اختلاف بين العلماء
في أيتهما الفريضة الاولى والاخيرة منهما والتاسعة
ترتيب الافعال في جميعها والعاشرة استصحاب الخشوع
فيها من اولها الى آخرها * (وسننها عشرون) * اليه
احداها الاذان لها في المساجد وحيث الائمة فرض على الكفاية
وسنة لكل احد في خاصة نفسه للرجال دون النساء والثانية
الاقامة للصلاة في حق الرجال والثالثة الصلاة بالجماعة
والرابعة التوجيه والخامسة الاستعاذة بعد التكبير
والسادسة قراءة البسملة والسابعة قراءة السورة مع
ام القرآن في الركعتين الاولتين من المغرب والعشاء وركعتي
الفجر والثامنة الجهر بالقراءة في موضع الجهر وهو فيما قدمنا
مع صلاة الجمعة والتاسعة الاسرار بفاتحة الكتاب
في الظهر والعصر وآخر المغرب والعشاء والعاشرة الانصات
لقراءة الامام اذا جهر والحادية عشر قراءة فاتحة الكتاب
للمأموم وراء الامام والثانية عشر تكبير الركوع والسجود
الا عند الرفع من الركوع فيقول الامام او المنفرد سمع الله
لمن حمده ويقول المأموم ربنا ولك الحمد والثالثة عشر
التعظيم في حال الركوع ثلاثا والرابعة عشر التسبيح في حال
السجود ثلاثا والخامسة عشر السجود على سبعة اراب
والسادسة عشر التحيات مع الاسرار بها والسابعة عشر
التسليم منها والثامنة عشر التيامن بالسلام على اليمين

ثم اليسار والتاسعة عشر الدعاء بعد الصلاة والعشرون الصلاة على النبي عليه السلام * (وفضائلها) * عشر احداها الاذان للمسافر والثانية الاقامة للنساء والثالثة توجيه ابراهيم عليه السلام والرابعة اطالة القراءة في الصبح وتخفيفها في المغرب وتوسطها في العشاء والخامسة مباشرة الارض بالجبهة والكفين عند السجود مع ايصال الانف والسادسة التجافي في الركوع والسجود بالضبعين عن الجانبين والسابعة الدنو من السترة للامام والمنفرد والثامنة الصلاة اول الوقت والتاسعة وضع البصر في موضع السجود والعاشرة المشي اليها بالوقار والسكينة والله اعلم * (فصل) * فان قال قائل تمييز فرائض الصلاة عن سننها معقول اذ تفوت صحتها بترك ركن من اركانها دون بعض سننها فاما تمييز السنن عن الفضائل فغير معقول لانه ان كان الكل مامورا به فما معنى سجود السهو لجبر السنة دون الفضيلة فان كان العقاب يتوجه لترك السنة فهي لاحقة بالفرض وان كان لايتوجه فما معنى تمييزها عن الفضيلة اذ كان العقاب لايتوجه الى ترك الكل والثواب مرجو على الكل فاعلم ان اشتراك الجميع في الثواب والعقاب والاستحباب لايدفع تفاوت درجاتها وسينكشف لك ذلك بمثال ذكره الغزالي في كتابه قال وذلك ان الصلاة كانها صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها ولا تكون كاملة الايمان باطنة واركان ظاهرة كما ان الانسان صورة صورها الله سبحانه ولا يكون انسانا كاملا الا بمعان باطنة واعضاء ظاهرة فالمعنى

الباطن هو الحياة والروح والاعضاء الظاهرة قسمان بعضها ينعدم الانسان بانعدامها كالقلب والدماغ والكبد وكل عضو تفوت الحياة بفواته والقسم الثاني اعضاء لا تفوت الحياة بفواتها ولكن تفوت بها منافع الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت الحياة بفواتها ولا تبطل منافعها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها الحسن والجمال ولكن يفوت بها الكمال كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وامرنا الله بامتثالها فروحها وحياتها الباطنة هي الخشوع والاخلاص والنية وحضور القلب كما سياتي ان شاء الله فنحن الآن في اجزائها الظاهرة والركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والدماغ والكبد في صورة الانسان اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من الاسرار والاجهار والتكبير في الركوع والسجود والتعظيم والتسبيح وسائرها يجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصلاة بفواتها بالسهو كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على فرائض الصلوات دون سننها لا تقبل منه فلذلك يجبر نقصانها بسجود السهو لان من اهدى الى ملك من الملوك جارية حية مقطوعة الاطراف

مشوهة الخلقة فقد استخف بالملك وتعرض للعقوبة
واما الفضائل والهيئات من تمام الصلاة وهيئة
اللباس واول الوقت وسائر ذلك من الفضائل التي هي
وراء السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين
واللحية والاهداب وحسن اللون واما الهيئات ولطائف
الاداب في تلك السنن من اطالة القراءة والتفكر فيها وطول
السجود والدعاء وغير ذلك فهي مكملات للصلاة تجري
مجرى استقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها من
اسباب الحسن والجمال فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب
بها الى ملك الملوك وتتحفه بها كجارية يهديها طالب القربة
الى بعض السلاطين يتقرب بها اليه وهذه التحفة تعرض
على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة
في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان
اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه
ان يتميز لك السنة عن الفرض ثم يتعلق بفهمك أنه يجوز
تركها اذ كانت فضيلة ولا تستدرك اذ كانت اكيدة
اذ لا عقاب عليها فتتركها فان ذلك يشبه قول الطبيب
ان عمش العينين وتشويه الخلقة لا يبطل وجود الانسان
ولكنه لا يقبله السلطان اذا اهدى اليه بل ربما يعاقب
مهديه اليه اذ كان ذلك استخفافا بحقه فهكذا ينبغي
ان تفهم مراتب السنن والهيئات والفضائل فكل صلاة
لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي التي تخاصم صاحبها
في الدنيا قبل خصومة الرب تعالى يوم العرض الاكبر اذ ورد

في الحديث انها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع
الاخبار والآيات التي اوردناها في اتمام اركان الصلاة
يظهر لك وقعها وسنشير بعد هذا ان شاء الله الى شرح
معانيها الباطنة وفهم اسرارها الخفية ما تزداد به
يقينا ان شاء الله وبه الحول والتوفيق ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم *(الباب الثالث)*
في الشروط الباطنة من اعمال القلب في الصلاة وهذا
الباب يشتمل على ثلاثة فصول احدها في ذكر اشتراط
الصلاة بالخشوع وحضور القلب الفصل الثاني في معانيها
الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها الفصل الثالث
فيما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلاة لتكون
صالحة لزاد الآخرة وبالله التوفيق *(الفصل الاول)*
في بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك
كثيرة فمن ذلك قوله عز وجل اقم الصلاة لذكري
فظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في
جميع صلاته كيف يكون مقيم الصلاة لذكره تعالى
وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي ظاهره التحريم
وقوله عز وجل حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران
وهو مطرد في الغافل المستغرق الهمة في الوسواس
وافكار الدنيا وقوله عليه السلام انما الصلاة تمسكن
وتواضع حصرها بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد
وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر
بين الاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه

صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من فحشاء الوساوس وعنه عليه السلام انه قال كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل عن الاخلاص وغيره من معاني الصلاة وقوله عليه السلام ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه عزوجل كما جاء في الحديث عنه عليه السلام انه قال للمصلي ثلاث خصال البر يتناثر على راسه من اعنان السماء الى مفرق راسه والملائكة تحف به من لدن قدميه الى اعنان السماء وملك ينادي لو يعلم هذا العبد من يناجي ما انفتل في امثاله من الاحاديث والكلام مع الغفلة ليس بمناجات البتة وبيانه ان الزكاة وان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس لانها اخراج مال محبوب الى النفس وكذلك الصوم قاهر للهوى كاسر للشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منها المقصود اذا صحت النية في بدء الامر مع الغفلة في سائر عملها وكذلك الحج افعال شاقة شديدة وفيها من المجاهدة ما يحصل بها الابتلاء والامتحان كان القلب حاضرا مع افعاله اولم يكن اذا صحت النية في ابتدائه واما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجات فلا يخلو ان يكون المقصود منه كونه خطابا او محاورة امتحانا للقلب بالخضوع او يكون المقصود منه الحروف والاصوات امتحانا للسان باعمال التصويت كما تمتحن المعدة والفرج

بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة وانقطاع المال المشوق ولا شك ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل اذ ليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاى سؤال فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاى مشقة فى حركة اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد اعتياد اللسان ذلك هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثنى عليه واسئله حاجة ثم خرجت الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم فيبعد ان يقال ان هذا بر فى يمينه ولو جرى هذا على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لما صار بارا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن حاضرا هو فى قلبه ولو جرت هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا ان المتكلم غافل عنه لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يقصده بالخطاب عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه محجوب عنه بحجاب الغفلة فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت

لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ورسوخ عقد الايمان بذلك هذه احكام القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لاسبيل الى انكارها فى النطق وتميزها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوعا بين يديه وهو غافل عنه ٧ واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة مايقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما ارى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة بلا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فاما اذا اضيف اليها حضور القلب بالمناجات فحينئذ تتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره من القربات والضحايا التى هى مجاهدة النفس لتعظيم الملك الأعلى قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى الصفة التى استولت على القلب وغلبت عليه حتى حملته على امتثال الاوامر هى المطلوبة منكم فكيف الامر فى الصلاة فهذا مايدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قال قائل فان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها فقد خالفت به اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند تكبيرة الاحرام فاعلم انه قد تقدم فى قنطرة العلم ان الفقهاء لا ينظرون

٧ او يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه صح

فى

فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة
بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح
وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان
بفعل الصلاة فاما انه هل ينفع فى الآخرة فليس
ذلك من حدود الفقه بعلم الاحكام الظاهرة على انه
لا يمكن ادعاء الاجماع فى هذا اذ نقل عن الحسن انه قال
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وعن
سفيان الثورى انه قال كل صلاة امر لم يخشع فيها
القلب فسدت وعن معاذ بن جبل اذا عرف المصلى من
على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له
وروى ايضا مسندا عن جابر بن زيد رحمه الله انه قال اجمع
علم العلماء على ان ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها
ورفع ايضا مسندا الى النبى صلى الله عليه وسلم وادعى مثل
هذا الاجماع عبد الواحد بن زيد فيما ذكر الغزالى فى كتابه
وروى عن عمار بن ياسر رحمه الله عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ان العبد ليصلى الصلاة ولا يكتب له منها
نصفها ولا ثلثها ولا ربعها الى عشرها وانما يكتب للعبد
من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا
فكيف لا يتمسك به وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء
المتورعين وعن علماء الآخرة المحتاطين اكثر من ان يحصى
والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآيات ظاهرة
فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر
يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس

احضار القلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الخاشعين المخلصين وقليل ماهم واذا لم يمكن اشتراط ذلك فى جميع الصلاة لضرورة العجز فلا بد ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة واولى اللحظات لحظة تكبيرة الاحرام فاقتصر الشرع فى التكليف على ذلك ونحن مع ذلك نرجو ان شاء الله ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك لها بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حال الساهى اشد من حال التارك كيف لا والذى يحضر خدمة الملك ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعد فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما اتفقوا عليه من الصحة مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة فان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك فبقدر الزيادة عليه

نبسط الروح في اجزاء الصلاة وكم من حي لاحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير كحي لاحراك به وبالله التوفيق *

*(الفصل الثاني في بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة)

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها فيشتمل حينئذ هذا الفصل على ثلاث جمل الاولى في تفصيل هذه المعاني الثانية في اسبابها الثالثة في علاج اكتسابها

الجملة الاولى في التفاصيل وفيها ستة اقسام القسم الاول في حضور القلب ومعناه تفريغ القلب عن غيرها هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم تكن فيه غفلة عن كل شيء هو مشتغل به فقد حصل حضور القلب الثاني في التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا في معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو المراد بالتفهم وهذا امر يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات فكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلاته ولم تكن قبل ذلك حضرت بقلبه فمن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها

تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة
الثالث التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والفهم
اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم
لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما الرابع
الهيبة وهي زيادة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه
التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب
وسوء الخلق من العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة
لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة
فالهيبة خوف مصدره الاجلال الخامس الرجاء ولا شك
انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلاته ثواب الله عز وجل كما انه خائف لتقصيره عقاب
الله عز وجل السادس الحياء وهو زائد على الجملة لان
مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور
التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون
توهم تقصير وارتكاب ذنب وبالله التوفيق
الجملة الثانية في اسباب هذه المعاني الستة اما
حضور القلب فان سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك
فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب
شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه فالقلب اذا لم
يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما
الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج
لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة

لا تنصرف

لا تنصرف اليهما ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط
بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى
وان الصلاة وسيلة الى الآخرة فاذا اضيف هذا الى
حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما
حضور القلب فى الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك
اذا حضرت بين يدى بعض الاكابر ممن يقدر على مضرتك
ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك
الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا
تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن فى
تقوية الايمان وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع ان
شاء الله واما التفهم فان سببه بعد حضور القلب ادمان
الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه هو علاج
احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر
الشاغلة هو قطع موادها اعنى النزوع عن تلك الاسباب
التى تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف
عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب
يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب
غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر واما التعظيم
فهى حالة للقلب تتولد فى القلب من معرفتين احداهما
معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وذلك من اصول
الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه
والثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا
مسخرا مربوبا فيتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار

والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تمتزج
معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة
التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الامن على
نفسه يجوزان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون
الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة
حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف
فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته
ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك
الاولين والآخرين لم ينقص ذلك من ملكه مثقال ذرة
هذا مع مطالعة ما يجرى على الانبياء والاولياء من المصائب
وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من
ملوك الارض وبالجملة كلما ازداد العلم بالله تعالى ازداد الخشية
والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل
وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في
وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء
فاستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام
بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلها وميلها الى الحظ
العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال
الله سبحانه والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب
وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا
انبعثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب

هذه

هذه الصفات فكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في باب اليقين والله اعلم * (فصل) * اعلم ان القلب يخشع بقدر اليقين ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي قدمنا ذكرها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس ما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار فيما بلغنا سقوط اسطوانة في المسجد اجتمعت الناس عليها وبعضهم يحضر الجماعة

مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وبما روى من
ان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام كان يسمع على ميل وجماعة
كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير
مستبعد فان اضعافه مشاهد فى همم بنى الدنيا وخوف
ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ
الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك او وزير
ويحدثه بمهمه ويخرج من عنده ولو سئل عن من حوله
او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال
همه بنفسه عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات
مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه
وتعظيمه فان موضع نظر الله سبحانه القلوب دون
ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس
يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمانينة
والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه
يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى
فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ
الصور يوم القيامة فى الدار الآخرة ولا ينجو منها الا من
اتى الله بقلب سليم وبالله التوفيق * (الجملة الثالثة) *
فى بيان الدواء النافع فى حضور القلب اعلم ان المؤمن
لا بد ان يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له
ومستحييا من تقصيره ولا ينفك عن هذه الاحوال
بعد ايمانه وان كان قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها
فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر

وغيبة القلب عن المناجات والغفلة عن الصلاة ولا
يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء
في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ
الا بدفع سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا
خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع
او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف
فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل فيكون الابصار
سببا للافكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا
للبعض فمن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجرى
على حواسه ولكن الضعيف لا بد ان يتفرق به فكره
وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يقصر نظره في موضع
سجوده او على طرف انفه وان يقرب من غض البصر حتى
لا يحقق النظر او يصلى في بيت مظلم ولا يترك بين يديه
ما يشغل حسه وان يقرب من حائط عند صلاته حتى
لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع
والطرق وفي المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش
المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت
صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم
والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا
يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا
يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع
الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابة الا محاها
واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به

الهموم فى اودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض النظر لا يغنيه فى ذلك فان ما وقع فى القلب من قبل كاف فى الشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره او يعينه على ذلك بان يستعد له قبل تكبيرة الاحرام ولو بطرفة عين ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه والعرض عليه وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة من جميع ما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال الاوزاعى كانوا يستحبون ذكر المعاد وشبهه عند حضور الصلاة فانه قلما قام رجل الى الصلاة وقلبه مشغول بشئ الا غلب عليه فى صلاته وقد روى عن النبى عليه السلام قال لعثمان بن شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القرآن الذى فى البيت او قال القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغى ان يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذى يقطع مادة الداء من اعماق العروق وذلك ان ينظر فى الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك فى انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهما بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات بقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه

اضرعليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روى
انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى اتاه بها
ابوجهم وعليها علم فصلى بها ثم نزعها بعد صلاته
وقال عليه السلام اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى
آنفا عن صلاتى واتونى بانبجانية له وهى كساة لابى
جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم
نظر اليه فى الصلاة اذكان جديدا فامر ان ينزع عنه
ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد اتخذ
نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى
عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول
سائل لقيه ثم امر عليا فيما بلغنا ان يشترى له
نعلين سبتيين جردا وين فلبسهما وكان صلى الله
عليه وسلم فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على
المنبر فرماه وقال نظرت اليه ونظرت اليكم وروى ان
طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار
فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر
كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه
من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة ضعه حيث
شئت وعن رجل آخر انه صلى فى حائط له والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر
ذلك لعثمان فقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه
عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع

لمادة العلة ولا ينجي غيره واما الذى ذكرناه من التلطف
بالتسكين والرد الى فهم الذكر فانه انما ينفع فى الشهوات
الضعيفة والهمم التى لا تشغل الا حواشى القلب فاما
الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال
تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلواتك فى
شغل المجاذبة ومثال ذلك كمثل رجل تحت شجرة اراد ان
يصفو له فكره فكانت اصوات العصافير تشوش عليه
فلم يزل يطيرها بعصى هى فى يده ويعود الى فكره فتعود
العصافير ويعود الى تطييرها بالعصا فقيل له ان هذا
اسير السوانى ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة
فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت فى القلب وتفرعت اغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وكانجذاب
الذباب الى الانجاس والاقذار والشغل يطول فى دفعها
فان الذباب كلما ذب اب ولاجله سمى ذبابا فكذلك الخواطر
وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد منها ويجمعها
اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب
الدنيا حتى مال الى شئ منها لا ليتزود منها ولا ليستعين
بها على الآخرة فلا يطمعن فى ان تصفو له لذة المناجات
فى الصلاة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته
وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف
لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغى ان يترك المجاهدة
ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا

هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع فبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا لاجرم ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لايحدثون فيهما انفسهم بشئ من امر الدنيا فعجزوا عن ذلك وذلك لامطمع فيه لامثالنا وليته يسلم لنا من الصلاة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثال الماء الذى يصب فى قدح فيه خل فبقدر مايدخل فيه من الماء يخرج الخل لامحالة ولايجتمعان فنسئل الله العفو والعافية مما ابتلينا به من الشهوات انه مقيل العثرات

* (الفصل الثالث من هذا الباب فى بيان تفصيل)
* (ماينبغى ان يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من اعمال)

الصلاة اعلم ايها المسترشد لسلوك طريق الآخرة انه ينبغى لك ان لاتغفل ولاعن التنبيهات التى فى شروط الصلاة واركانها اما الشروط والسوابق فهى الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية اما الاذان فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يابلال قيل فى كتاب الغزالى معناه ارحنا بالصلاة وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه

فيها صلى الله عليه وسلم واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط منك وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضائح سريرتك التي لا يطلع عليها الا ربك عز وجل فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يسترها الندم والحياء والخوف فتستفيد في احضارها في قلبك بانبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف

التفريغ

عن غيره فكذلك القلب لا ينصرف الى الله عز وجل الا
بالتصريف عن ما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه
وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته امه واما
الانتصاب قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى
الله عز وجل وليكن راسك الذى هو ارفع اعضائك مطرقا
مطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها
على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترأس
والتكبر وليكن على قلبك هاهنا ذكر خطر المقام بين يدى
الله عز وجل وهول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم فى
الحال انك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك
فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت
تعجز عن معرفة كنه جلاله وعظمته تعالى بل قدر فى دوام
قيامك فى صلواتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من
رجل صالح من قومك واهلك او ممن ترغب فى ان يعرفك
بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك
وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك
تدعين معرفة الله تعالى وحبه افلا تستحيين من اجترائك
عليه مع توقيرك عبدا من عباده وتخشى الناس ولا تخشاه
وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة كيف
الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه كما

تستحيي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم
على اجابة الله عز وجل فى امتثال امره بالصلاة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها والاخلاص بجميع
ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه وطلبا للقربة متقلدا المنة منه تعالى لاذنه لك
فى المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم فى
نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجل وترتعد
فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما
التوجيه فاول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر
السموات والارض حنيفا وليس المراد بالوجه وجه ظاهر
البدن فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه
مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه
وانما وجه القلب هو الذى يتوجه به الى فاطر السموات
والارض فانظر اليه اهو متوجه الى امانيك وهمك
فى البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر
السموات والارض اياك ان يكون اول مفاتحتك المناجات
بالكذب والاختلاف ولا ينصرف الوجه الى الله تعالى الا
بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان
عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا
قلت حنيفا ومعناه مسلما مائلا عن غير الله اليه فينبغي
ان تخطر ببالك ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه
ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى ان تعزم

عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال
فاذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك
الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس فكن منتفيا من
هذا الشرك وغيره واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت
نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا
الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه
واذا قلت ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين فاعلم ان هذا حال عبد مفقود عن نفسه
موجود لسيده فانه ان كان يصدر في افعاله عن
رضاه وغضبه في قيامه وقعوده ورغبته في الحياة
ورهبته من الموت فكان جميع ذلك لامور الدنيا لم
تكن ملائما للحال فاجتهد لاخلاص جميع افعالك
واحوالك لله تعالى والتبري عن حولك وقوتك الا له
تعالى واما التسبيح في قولك سبحانك اللهم فاعتقد
تنزيه الله تعالى عن جميع نقائص الصفات وفي قولك
تبارك اسمك وتعالى جدك اعتقد تعظيم الله ووصفه
بجميع محامد الصفات وكمال الذات ولا اله غيرك
اعتقد وحدانيته وافراده عن خلقه بالالوهية والعبادة
وانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه في اسم ولا صفة ولا ذات
ولا فعل الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه

قلبك وان كان في قلبك شئ هو اكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب كما يشهد على المنافقين انهم لكاذبون اذ يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فان كان هوالك اغلب عليك من امر الله فانت اطوع له منك لله عز وجل فقد اتخذته الها وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما بمجرد اللسان وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه واعتقد بالتكبير تعظيم الله عن كل شئ وحرم على نفسك ما كان حلالا لك في غير الصلاة واما الاستعاذة فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله سبحانه وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه ان يعيذك منه هو تركك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال له اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت في مكانه غير هارب منه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا بتبديل المكان والهرب فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال عز وجل فيما

روى عنه لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود
له سوى الله سبحانه فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان
الشيطان لا في حصن الرحمن واعلم ان من مكايده شغله
اياك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك
بذلك عن فهم ما تقرا من القرآن لان كل ما يشغلك عن فهم
معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود معانيها والله اعلم واما القراءة فالناس فيها
ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه
وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كانه يسمعه من
غيره وهي درجة اصحاب اليمين ورجل سبق قلبه الى المعاني
اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون
اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم
ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة
المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك
لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناه ان
الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا
كانت الامور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله معناه ان
الشكر لله اذ النعم كلها من الله ومن يرى من غير الله عز وجل
نعمة او يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث انه مسخر له
من قبل الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته
الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك
انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم
استشعر قلبك التعظيم والخوف بقولك ملك يوم الدين

ابن الوليد حين شكى اليه انه يفزع فى نومه فقال له اذا
اخذت مضجعك فقل بسم الله اعوذ بكلمات الله التامات من
غضبه وعذابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان
يحضرون وكان ابن عمر يامر من ادرك من اولاده ان يقولها
وان لم يدرك كتبها وعلقها عليه ومنها اذا قام للتهجد فى الليل
فليقل اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد
انت قيوم السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات
والارض ومن فيهن انت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاءك
حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت
وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وفيك خاصمت
واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت انت الهى لا اله الا انت ومنها اذا استيقظ عند
الصباح فليقل الحمد لله الذى احيانا بعدما اماتنا واليه البعث
والنشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله
والعزة لله والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة
الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم انى اسئلك ان تبعثنا
فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوء او نجره
الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما
جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى الآية اللهم
فالق الاصباح اسئلك خير هذا اليوم وخير ما فيه بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء
الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت

بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال امسينا
بالله الى آخر الدعاء ويقول اعوذ بكلمات الله التامات العامات واسمائه
من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربي
آخذ بناصيتها الآية ومنها اذا اضل شئ فليقل اللهم رب
الضالة وهادى الضالة تهدى من الضلالة اردد على ضالتي
بقدرتك وسلطانك فانها بيدك ومن عطائك وفضلك ومنها
اذا اشترى خادما او دابة ظليأخذ بناصيتها وليقل اللهم انى
اسئلك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما
جبل عليه ومنها اذا اهنا بالنكاح مسلما فليقل بارك الله فيك
وبارك عليك وجمع بينكما بخير ومنها اذا قضيت الدين فقل
للمقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك ومنها اذا راى مبتلا
فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه به وفضلنى عليه وعلى
كثير من خلقه تفضيلا ومنها اذا مرض فليقل اللهم انى
اسئلك تعجيل عافيتك وصبرا على بلائك وخروجا من
الدنيا الى رحمتك ومنها اذا فرغ من الاكل فليقل الحمد لله
الذى يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا واطعمنا وسقانا
وكل بلاء حسن ابلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافى ولا
مستغنى عنه الحمد لله الذى اطعمنا من الطعام وسقانا
من الشراب وكسانا من العراء وهدانا من الضلالة وبصرنا
من العمى وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلا ومنها اذا
خاف من سلطان ودخل عليه فليقل اللهم احرسنى بعينك
التى لا تنام واكنفنى بكنفك الذى لا يرام ولا اهلك وانت

رجاءى فكم من نعمة انعمت بها على قل عندى شكرها فلم
تحرمنى وكم بلية ابتليتنى بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى
اللهم انى اعوذ بك من شره واجعل كيده فى نحره وقال ابن
مسعود اذا خفت ظلم سلطان فقل اللهم رب السموات السبع
ورب العرش العظيم كن لى جارا من فلان واشياعه واتباعه من
الجن والانس ان يفرط على احدهم او يطغى عز جارك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خاف قوما
قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم والادعية
فى هذه الاحوال كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وبالله التوفيق
(القسم السادس فى آداب الدعاء) وهى بالجملة عشرة
الاول ان يترصد له اوقاتا معلومة شريفة كيوم عرفة من السنة
ورمضان من الشهور وليلة الجمعة من الاسبوع ووقت
السحر من الليل وعند نزول المطر وحضرة الاذان وحضرة
الصف فى سبيل الله فان هذا كله قد وردت فيه آثار تركتها
مخافة الاكثار الثانى ان يغتنم الدعاء عند الاحوال الشريفة
مثل خلف الصلاة وبين الاذان والاقامة وفى السجود
وعند افطار الصائم ونزول الغيث وغير ذلك كما تقدم تركت
الآثار فى ذلك مخافة التطويل وقيل مثل ذلك عند حضور الطعام
لاشتغال القلوب وقيل ايضا عند حضور العرس والله اعلم
الثالث ان يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه بحيث يرى
بياض ابطيه فى ذلك مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
وقال سلمان عليه السلام ان ربكم يستحيى من عبده
اذا رفع يديه ان يردهما صفرا وقال ابو الدرداء ارفعوا

هذه الايدى قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغى ان يمسح بها وجهه
عند آخر الدعاء روى ذلك عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس كان اذا دعا عليه السلام ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلى وجهه ولا يرفع بصره الى السماء قال عليه
السلام لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء
او لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر
وعن ابى موسى قال قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما
دنونا من المدينة رفع الناس اصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس
انكم لا تدعون اصم ولا غائبا وان الذى تدعون بينكم وبين
اعناق ركابكم قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ووصف
زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا الخامس ان لا يتكلف السجع
فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال تضرع والتكلف
لا يناسبه قال عليه السلام سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
والطهور وقيل فى قوله تعالى انه لا يحب المعتدين قيل معناه
التكلف للاسجاع وقال عليه السلام اياكم والسجع فى
الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما
يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها
من قول وعمل والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة المتقدمة
وقال بعض السلف ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان
الفصاحة والانطلاق السادس التضرع والخشوع مع احضار
القلب قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال ويدعوننا رغبا
ورهبا وقال عليه السلام اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع
تضرعه وفى الحديث ان الله تعالى اوحى الى بعض الانبياء صبحك

من عينك الدموع ومن نفسك الخضوع ومن قلبك الخشوع
ثم ادعني فاني قريب مجيب وفى الخبر اوحى الله الى بعضهم
ادعني وفرائضك ترتعد ولا بد من احضار القلب وفى الحديث
ان الله لا يستجيب من قلب ساه ولا لاه وينبغى ان يجزم
بالدعاء ويؤمن بالاجابة وفى الحديث لا يقل احدكم اللهم اغفر
لى ان شئت ليعزم على المسئلة فان الله لامكره له فاذا دعا
احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ وليلح فى الدعاء
ويكرره ثلاثا ولا ينبغى ان يستبطئ الاجابة لقوله عليه السلام
يستجاب لاحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى فاذا دعوت
فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى دعوت الله
منذ عشرين سنة حاجة فما اجابنى وانا ارجو الاجابة قيل وما
هى قال ان يوفقنى لترك مالا يعنينى وقال صلى الله عليه وسلم
اذا سأل احدكم ربه مسئلة فتعرف فيه الاجابة فليقل الحمد
لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا ابطأ عنه شئ من ذلك
فليقل الحمد لله على كل حال وقيل قول الله تعالى مخبرا عن موسى
وهارون قال قد اجيبت دعوتكما قيل دعا موسى فامن هارون
فوقعت بعد اربعين سنة من يوم الدعاء وقيل ان نوحا عليه
السلام دعا على قومه فوقعت بعد مائة سنة قال تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وانشدوا *

اتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل قاتلة ولكن * الى امد وللامد انقضاء

وينبغى له ان يستفتح الدعاء بذكر الله والصلاة على رسوله
والتوبة من ذنوبه ولا يبدأ بالسؤال ويقال انه عليه السلام

يستفتح الدعاء ويقول سبحان ربي الاعلى الوهاب وقال اذا
سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله اكرم من ان
يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى وليخلص الدعاء
لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل من مسمع السابع التوبة
ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بقلب متضرع وهو السبب
القريب في الحاجة وعن كعب قال خرج موسى بن عمران يستسقي
بالناس ثلاثا فلم يسقوا فاوحى الله اليه ان فيكم نماما فلا
استجيب لك ولا لمن معك قال يارب ومن هو حتى نخرجه قال
ياموسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل
توبوا الى الله باجمعكم من النميمة فتابوا فسقوا وعن سفيان
قال بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة
والاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى
الله الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ
ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم بالدعاء فاني لا اجيب لكم
داعيا ولا ارحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا
فمطروا وقال مالك بن دينار قحط بنو اسرائيل فخرجوا مرارا
فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجسة
وترفعون الى اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من
الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا
وروى ان سليمان عليه السلام خرج يستسقي فمر بنملة
ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا
خلق من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب
غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطون المطر وانا استبطئ الحجر وروى ان عيسى عليه السلام خرج بالناس يستسقى فلما اصحروا قال لهم من اصاب ذنبا فليرجع فرجعوا الا رجلا واحدا فقال له عيسى امالك من ذنب فقال والله ما اعلم من شئ غير انى ذات يوم اصلى فمرت امراة فنظرت اليها بعينى هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعى فى عينى فانتزعتها فاتبعت المراة بها قال له عيسى ادع فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صب فسقوا وقال يحيى الغسانى اصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا يستسقون بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت فى توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اننا ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثانى انك انزلت فى توراتك ان نعتق ارقاءنا فانا ارقاءك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت فى توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وروى ان عمر استسقى بالعباس فلما فرغ عمر رحمه الله من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم لمكانى من نبيك عليه السلام فهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة فانت الراعى فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما اتم كلامه حتى ارخت السماء

كالجبال وفى ذلك يقول حسان بن ثابت *

سال الخليفة اذ تتابع جدبه * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس
احى المليك به البلاد فاصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

وعن الشعبى قال خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار فقالوا يا امير المؤمنين ما رايناك استسقيت فقال سالت الله بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الثامن ان يكون مطعم الداعى ومشربه حلالا فان ذلك عليه المدار وهو شرط فى اجابة الدعاء قال سعد يارسول الله ادع الله ان يجعلنى مجاب الدعاء قال اذا اردت ذلك فطيب طعمتك ويقال الرحمة مخزونة فى مخازن الله تعالى ومفاتيحها الدعاء واسنان المفتاح لقمة الحلال ويقال ان اهل آخر الزمان يعيشون بالحرام المجهول فلا يقبل دعاؤهم ولكن لا يؤاخذون به وقيل لا يقبل به دعاء الدنيا خاصة دون الآخرة التاسع ان ياتمر الداعى باوامر الله وينتهى عن مناهيه فان المتقى كريم على الله والعاصى والفاجر ممقوت عند الله قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال الا ان يكون الداعى مظلوما فان دعاءه مقبول على من ظلمه وفى الحديث اتقوا دعوة المظلوم فانها ترفع فوق السحاب يقول الله وعزتى لانصرنك ولو بعد حين ولكن لا ينبغى للعاصى

ان يترك الدعاء لما يعلم من نفسه ولكن يتوب ثم يدعو
وقال سفيان لا يمنع احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه
فان الله تعالى قد اجاب شر الخلق ابليس قال انظرني الى
يوم يبعثون ولا ينبغي ان يسئل الدعاء من غيره ويتمادى
على الاصرار قال رجل لعدى بن قيس ادع الله لى قال
يا ابن اخى سالت من قد عجز عن نفسه ولكن اطع الله
يغفر لك دون دعاءى العاشر ان لا يتجاوز الحد في الدعاء
فان ذلك يقع موقع التحكم على الله تعالى وذلك ان يقول اللهم
احيني ولا تمتني او احي من مات من اهلي قبل يوم القيامة
واجعل درجتي مثل درجة الانبياء عليهم السلام وهب لى ملكا
مثل ملك سليمان عليه السلام وكذلك لا يدعو دعاء يوقع
موقع السخط على الله تعالى مثل ان يقول اللهم اهلكني او افقرني
وما اشبه ذلك الا ان يقيد ذلك فيقول امتني ان كان الموت
خيرا لى او افقرني ان كان الفقر خيرا لى والله اعلم فان قيل ما
فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له قيل له ان القضاء رد البلاء
بالدعاء فان الدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة
كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات
من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك
البلاء والدعاء يتعالجان وليس من شروط الاعتراف بقضاء
الله ان لا تحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم مع انه
قال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقد روى ان ابليس اللعين
قال لعيسى عليه السلام يا روح الله الست تزعم انه لن يصيبك
الا ما قدر الله لك قال بلى قال فارم نفسك اذا من ذروة الجبل فان

قدرلك السلامة فتسلم قال ياعدو الله ان الله يختبر عبده وليس للعبد ان يختبر ربه ثم فى الدعاء ايضا من الفائدة انه ذكر الله ويستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادة وقد قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق ان لا تنصرف قلوبهم الى الله الا عند نزول حاجة بهم او حلول قارعة والانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله تعالى بالتضرع والاستكانة ولذلك صار البلاء موكل بالانبياء والاولياء لانه يرد القلب بالتضرع واما الغنى فسبب البطر والطغيان فى غالب الاحوال قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وبالله التوفيق

(الفصل الثانى) فى فضيلة الذكر ويتفرع منه اربعة اقسام الاول فى فضيلته على الجملة ويدل على ذلك قوله تعالى اذكرونى اذكركم وعن ثابت البنانى قال انى اعلم متى يذكرنى ربى ففزعوا منه فقالوا ومتى تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرنى وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا قال ابن عباس بالليل والنهار فى البر والبحر والحضر والسفر والغنى والفقر والصحة والمرض والسر والعلانية وقال واذكر ربك فى نفسك الآية وقال فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ذكر الله لكم اعظم من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله اعظم من كل عبادة سواه فى سائر الآيات وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل

بين الفارين وقال يقول الله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى
وتحركت شفتاه بى وقال ايضا ما عمل ابن آدم من عمل انجى له
من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد الا ان تضرب
بسيفك حتى ينقطع قالها ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم من
احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وسئل عن
افضل الاعمال قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله تصبح
وتمسى وليس عليك خطيئة وقال عليه السلام لذكر الله
بالغدو والعشى اعظم من حطم السيوف فى سبيل الله ومن
اعطائك المال سحا وقال يقول الله تعالى اذا ذكرنى عبدى فى
نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء
خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا
تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه
يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال سبعة يظلهم الله فى
ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجل ذكر
الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع من خشية الله تعالى
وعن ابى الدرداء عنه عليه السلام قال الا انبئكم بخير
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الذهب والفضة وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال عليه
السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى
اعطيته افضل ما اعطى السائلين وقال بعض
السلف بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن آدم اذكرنى

بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما
وقال بعض العلماء ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على
قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته
وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر
ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله تعالى ما
احسنه واعظم وافضل من ذلك ذكر الله عز وجل عند ما
حرم الله و يروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر
الله عز وجل وعن ابى موسى عنه صلى الله عليه وسلم قال
مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت وعن
ابى هريرة عنه عليه السلام قال ان لله ملائكة يطوفون
بالطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله
تنادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى سماء الدنيا
فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادى قالوا يسبحونك
ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول ما يسئلونى قالوا
يسئلونك الجنة قال يقول وهل راوها قال يقولون لا والله يارب
ما راوها قال فيقول وكيف هم لو انهم راوها قال يقولون لو انهم
راوها كانوا اشد عليها حرصا وطلبا واعظم فيها رغبة قال
وكذلك النار على هذا الحال قال فيقول اشهدكم انى غفرت
لهم فيقول ملك فيهم فلان ليس منهم وانما جاء لحاجة قال
هم قوم لا يشقى جليسهم القسم الثانى فى فضيلة مجلس
الذكر قال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون
الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال

ايضا مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم وبدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وعن داود عليه السلام قال الهى اذا رايتنى اجاوز مجلس الذاكرين الى مجلس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال النبى صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفى الف مجلس من مجالس السوء وعن ابى هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول دعهم فاذا افترقوا اخذت باعناقهم وعن ابى هريرة انه دخل السوق فقال اراكم ها هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم تقسم فى المسجد فذهب ناس الى المسجد فقالوا ما راينا ميراثا تقسم قال ماذا رايتم قالوا قوما يذكرون الله ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم *

(القسم الثالث) فى فضيلة التهليل قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة

وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يات
احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك
وعن ابن مسعود انه قال ان الله عزوجل قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم بينكم ارزاقكم ان الله يعطى المال من يحب ومن
لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب ومن بخل بالمال
ان ينفقه وهاب العدو ان يجاهده فليكثر من قول لا اله
الا الله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اكثروا من قول لا اله الا الله قبل
ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص
وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق
وهى العروة الوثقى وقال لابى هريرة ان كل حسنة تعمل
توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لو
وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع
والارضون السبع ومن فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك
وعن عمر رضى الله عنه انه قال من قال فى سوق من الاسواق
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى
ويميت وهو على كل شئ قدير كتبت له الف الف حسنة
ومحيت عنه الف الف سيئة وبنى له بيت فى الجنة
ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا
تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى
جنبها * (القسم الرابع فى التسبيح) * عن ابى هريرة عنه عليه
السلام قال من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة فى كل يوم
حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه

وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى
الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده قال بعضهم سمعته
عليه السلام يقول اذا قام من الليل سبحان الله رب العالمين
الهوى من الليل ثم يقول سبحان الله وبحمده الهوى وعن ابن
عباس انه عليه السلام مر بجويرة بنت الحارث وهي
في مصلاها تسبح وتذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع
النهار فقال لو تكلمت باربع كلمات اعدتهن ثلاث مرات هي
افضل مما قلت سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة
عرشه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله مدد كلماته
والحمد لله كذلك وعن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات
انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولله الحمد ولا حول
ولا قوة الا بالله ولحاتم بن حازم سبحان من ستر القبيح * ولم
يزل برا بعبده * لا تعجبن من احمق * نال الغنى من غير كده
والعاقل لا يستتب * فكلهم يسعى بجده * ولصرمة بن انس
سبحان الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال

آخر

سبحان من لا يخيب من قصده * من قصد الله صادقا وجده
قد شمل الخلق فضل نعمته * كل الى فضله يمد يده
ولزيد بن عمرو او لورقة بن نوفل *
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعود له * وقبلنا سبح الجودي والجمد
وعن ابي هريرة قال من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر

يعني بالهوى ساعة

مثل ذلك وحمد الله مثل ذلك وختم المائة بلا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ
قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر * (الفصل الثالث) *
في الاستغفار والصلاة على النبي المختار قال الله تعالى استغفروا
ربكم انه كان غفارا وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك الى آخر الآية وعن ابن مسعود قال في كتاب الله
آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر له قوله
والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخره وقوله فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا وكان عليه السلام يكثر ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم
وروى انه قال لهم في طريق الحديبية وقد افضوا من وعر
الى سهل قولوا نستغفر الله ونتوب اليه ففعلوا فقال انها
الحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها وقال من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اني لاستغفر الله سبحانه واتوب
اليه في اليوم سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل
يوم مائة مرة وعن علي قال عجبت ممن يهلك والنجاة معه قالوا وما هي
قال الاستغفار وعن وهب قال لقي ابليس اللعين يحيى بن زكريا عليهما
السلام فقال اخبرني عن طبائع ابن آدم عندكم قال صنف منهم مثلك
معصوم لا نقدر منه على شئ وصنف ثان هم في ايدينا كالكرة في ايدي
الصبيان قد كفونا انفسهم وصنف ثالث هم اشد علينا ندرك من احدهم
حاجتنا ثم يفسدها بالاستغفار فلا نحن نايس منه ولا نحن ندرك ما نريد

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين ياوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وفى حديث آخر غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وعن حذيفة قال كنت ذرب اللسان فقلت يا رسول الله خفت ان يدخلنى لسانى النار قال اين انت من الاستغفار فى اليوم مائة مرة وقال لعائشة ان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى استغفاره اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطيئتى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شئ قدير وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان تقول اللهم انت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ابوء لك بنعمتك عندى وابوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت واعوذ بك من شر ما صنعت من قالها نهارا موقنا فمات قبل ان يمسى فهو من اهل الجنة ومن قالها ليلا فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة وعن على قال اذا حدثنى احد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حلفته واذا حلفته صدقته وحدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يذنب ذنبا ثم يحسن الطهور ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة

الآية وعن ابي هريرة قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم وعنه انه ليرفع لعبده الدرجة في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا وقال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فالذنب داؤكم والاستغفار دواؤكم وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وقال وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفى ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى وهو اللهم استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيت به في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام ولابي العتاهية

استغفر الله من جرمي ومن جنفي * اني وان كنت مستور الخطاء

لم تبك نفسك ايام الحياة لما * تخشى وانت على الاموات بكاء
وكان عامر بن عبد القيس يغدو فيقعد على قارعة الطريق الاعظم والناس
متصرفون في حوائجهم فاذا رآهم ذاهبين يمينا وشمالا قال يارب غدا الغادون
في حوائجهم وغدوت اليك اسألك المغفرة ولبعضهم ان تعف عن عبدك
المسيء عفوا * فضلك ماوى للفضل والمنن * اتيت بما استحق من خطاء * فجد
بما استحق من حسن * (فصل) * في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وعظم واحسن وانعم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشرى يرى على وجهه فقال جاءني جبريل عليه السلام فقال اما
ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك
الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل او ليكثر وقال ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة وقال
بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال اكثروا الصلاة علي
يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه
عشر سيئات وقال من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وقال ان في الارض ملائكة سائحين يبلغوني
عن امتي السلام وقال ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وبلغنا عن كعب بن عجرة انه لما نزلت ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية قلنا يا رسول الله كيف نصلي عليك
قال قولوا اللهم صل على نبيك محمد وعلى من صلح من آل محمد كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ومن غيره وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وقال بعض العلماء الصلاة على النبي فريضة
وهذا يؤيده قول الملائكة من ذكرت عنده يا محمد ولم يصل عليك ابعده الله

لان الفرض ما يتعلق بتركه العقاب وقال بعضهم انها فريضة عند كل
صلاة وقال اصحابنا فيما وجد انما فرض ذلك مرة واحدة مع الذكر وبعد
ذلك ما صلى كان تطوعا وعن ابن مسعود قال اذا صليتم على النبي فاحسنوا
الصلاة عليه فانها فريضة امركم الله بها وقيل لم تؤمر امة ان تصلي على
نبيها الا هذه الامة فضلا من الله ونعمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا صليتم على فصلوا على الانبياء فانهم ارسلوا كما ارسلت والله اعلم فصل
في التفكر والاعتبار اعلم ان التفكر مرآة القلب وبالتفكر الخالص يتوصل
الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب يتوصل الى الصدق في الاعمال
وقد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه في مواضع لا تحصى واثنى على
المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية وقال النبي صلى
الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فان بهذا المغرب
ارضا نورها بياضها مسيرة الشمس فيها اربعون يوما بها خلق من
خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين
الشيطان منهم قال ما يدرون اخلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد
آدم قال وما يدرون ان خلق آدم وقد ذم الله تعالى اقواما وبخهم لتركهم
التفكر والنظر فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الآية
يعني ملك السموات والارض وما خلق الله من شئ اى والى ما خلق الله من
شئ يعني ما يرونه فيتفكروا فيعلموا ان الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يحيي الموتى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيبادروا بالتوبة قبل
ان يموت
وروى ان ابا ريحانة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اقبل من بعض غزواته فتوضأ
ثم قام في مسجده فقرأ سورة ثم اخرى ثم كذلك حتى اذن المؤذن فاتته امرأته فقالت
له غبت في غزوتك ثم قدمت فلم يكن لي منك حظ ولا نصيب فقال والله ما خطرت
على بالي ولو ذكرتك لكان لك على حق قالت فما الذي شغلك قال لم يزل قلبي يهوي

فيما وصف الله في الجنة من ازواجها ونعيمها حتى اذن المؤذن وقال الحسن ان من افضل العمل الورع والتفكر ومن لم تكن حياته في التفكر في خطيئته فليحتسب حياته وقال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الحواريون لعيسى عليه السلام هل على الارض مثلك قال نعم من كان نطقه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال لقمان الحكيم طول الوحدة الجمع للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الآخرة وقيل في قوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض الاية قيل معناه امنع قلوبهم عن التفكر فيها وقال الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ويروى ان الله تبارك وتعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همته وهواه فان كانت همته وهواه لي جعلت صمته فكرا وكلامه حمدا وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى افضل العبادات وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليل بلا قلب وقال بعض الحكماء الفضائل اربعة احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس والله اعلم * (فصل) * اعلم ان مجاري الفكر غير منحصرة وثمراتها غير متناهية ونحن نضبط مجاريه بالاضافة الى امهات الاعمال الدينية والاعمال المكتسبة بها في اربعة فصول والخامس في المخلوقات الاول في المعاصي والسيئات الثاني في الطاعات الثالث في الصفات المهلكات الرابع في المنجيات (الفصل الاول) في المعاصي والسيئات فينبغي للعبد ان يتفكر في صبيحة كل يوم ويفتش جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه جملة هل هو في الحال متلبس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيحترز منها بالتباعد عنها فينظر في اللسان فيقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والنميمة والمزاح والمماراة والمداهنة والخوض فيما لا يعني

والتغني والنياحة والبهتان وغير ذلك من معاصي اللسان فيقدر
اولا في نفسه انها مكروهة عند الله منهي عنها ثم يتفكر في وعيد
القرآن والسنة الوارد فيها الدال على شدة العذاب لمن يتعاطاها
ثم يتفكر في احوال الانسان كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر
كيف يحذر منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد وان
لا يجالس الا صالحا دينا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه ثم يتفكر
في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب واللهو والبدعة وانه انما
يسمعه من زيد مثلا او غيره من السفهاء والجهال فيحترز
بالاعتزال عنهم او بالنهي لهم عن ذلك مهما سمعه منهم ويتفكر في
عينه انه متعرض للنظر الى ما لا يحل من محاسن امرأة او عورة انسان
فيحترز بالاغضاء العين والتباعد عن مواضع ذلك ويتفكر في
بطنه انه انما يعصي الله فيه اما بكثرة الاكل والشرب من
الحلال فتقوى عليه بذلك الشهوة او ياكل من الحرام فيبطل
عمله او من الشبهة فيطول عليه التوبيخ في المعاد ولا يصفو له
قلب للعبادة ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في
في وجوه الاكتساب منه والاحتراز عن الحرام وان الله لا يقبل
صلاة عبد في جوفه او في ثوبه او ماله درهم حرام وان اكل
الحلال اساس العبادات كلها فهكذا يتفكر في اعضائه فمهما
حصلت له بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة
طول النهار حتى يحفظ اعضاءه كلها *(الفصل الثاني في الطاعات)*
فلينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف
يحرسها عن التقصير والنقصان او كيف يجبر نقصانها بكثرة
النوافل ثم يرجع الى اعضائه عضوا عضوا فيتفكر في الافعال

التي تتعلق بما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ويتفكر في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام فيقول انا قادر ان نستعمل العين في مطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر ان انظر الى فلان بعين التعظيم وادخال السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الاحتقار حتى يكون ذلك زجرا له عن معصية الله تعالى فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع حكمة او علم او قراءة او ذكر او كلام ملهوف فيقول كفرت بنعمة الله في تعطيله وتضييعه وكذلك يتفكر في اللسان فيقول اني قادر ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسؤال عما يعنيني وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال على الفقراء وادخال السرور عليهم ولو بكلمة طيبة فانها صدقة ويقول اني قادر على ان اتصدق بفضول مالي فاني مستغن عنه ولعل تباعة او مظلمة كانت في ذمتي فاتداركها قبل ان يزول عني هذا المال وازول عنه بالموت ومهما احتجت فان الله يرزقني من حيث لا احتسب او احتجت اليه الآن فاني الى ثواب الايثار بر لغيري وقضاء تباعتي احوج فيفتش عن اعضائه وجملة بدنه واموالة واولاده وانه قادر ان يطيع الله تعالى بجميع ذلك فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها وفيما يرغبه الحق للمبادرة اليها ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مكان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات من القلب والجوارح كلها

(الفصل الثالث في الصفات المهلكات) التي محلها القلب من الشهوة والغضب والبخل والتكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وسخط المقدور والاصرار والامن

والاياس وغيرذلك فليتفقد من قلبه هذه الصفات فان وجدها
فيه او بعضها فليبادر الى علاج قلبه منها والتوبة عنها فان كان منزها
عنها فليتفكر في كيفية امتحانه فان النفس تدعى البراءة من المذموم
وتسخو بالوعد من المحمود فاذا امتحنت ظهر منها غيرذلك فاذا ادعت
مثلا التواضع والبراءة من الكبر فينبغى ان يجرب نفسه بحمل حزمة
حطب امام الناس ان كان منظورا اليه عند الناس وكذلك الاولون
يفعلون فاذا ادعت الحلم جرب نفسه بالتعرض لشتم سفيه اياه
ثم يجربها في كظم الغيظ عنه وكذلك في سائر الصفات فاذا دلت
العلامات على وجود هذه الصفات فيه بادر الى علاجها والتوبة منها
واذا احس من نفسه العجب بعمله او بحاله فيتفكر ويقول انما عملي بيدي
وجوارحي وقوتي فان ذلك ليس مني ولا الي انما هو من خلق الله وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق قدرتي وارادتي وحرك اعضاءي
بقدرته فكيف اعجب بنفسي او عملي ولا قوام لنفسي الا بخالقي
واذا احس من نفسه شهوة الطعام والجماع تفكر في ان هذه صفات
البهائم ولوكان ذلك صفة كمال لكان للمقربين فمهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهائم اشبه ومن الملائكة ابعد وكذلك يقدر
في نفسه الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج منه وكذلك سائر
الصفات ولابد له من العلم بها وعلاجها * (الفصل الرابع في المنجيات) *
وهي التوبة والندم والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة
الله تعالى وتعظيمه والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع
والتواضع له وغيرذلك فليتفكر العبد كل يوم في قلبه هل
هو متصف بهذه الصفات المقربة الى الله تعالى ام لا

فان اتصف بها فليحمد الله وليحرص على الزيادة منها والثبات
عليها وان لم يتصف بها فليتبادر الى اكتسابها فان اراد ان
يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر
في الوعيد الوارد فيها وليحقق لنفسه انه متعرض لمقت الله حتى
ينبعث له حال الندم وان اراد ان يكتسب حال الشكر فلينظر
في احسان الله واياديه ونعمه اليه وفي ارساله جميل الستر عليه مع
تضييعه شكر نعمه والتعرض لسخطه فان ذلك يبعثه على الشكر
حتى يتصف به وان اراد محبة الله والشوق اليه فليتفكر
في جلال الله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في افعاله وعجائب
حكمته ثم ينظر في الموت وسكرته والقبر ووحشته ثم اهوال
الحشر ثم الحساب ومناقشته ثم خطر الامر عنده وليتفكر في الجنة
ونعيمها والنار وانواع عذابها وليكن فكر العالم في خفايا صفات
قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها واما امثالنا الغرقا في
الذنوب والجهل والخطايا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا
بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء
لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار
فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا
ان الهروب من النار ترك الشبهات والحرام والمعاصي فنحن منهمكون
فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات فنحن مقصرون في
الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص
على الدنيا والتكالب عليها فيقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء
اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا
فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسئل الله تعالى ان يصلحنا

ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا والله اعلم * (الفصل الخامس) * في التفكر في المخلوقات اعلم ان التفكر في الخالق بحر لا يدرك غوره جملة ولا تفصيلا ولكن نشير الى بعض جملته لان كل ما في الوجود نوعان الله سبحانه وفعله والتفكر في ذات الله وصفاته محظور لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق ويقال ان الله تعالى اوحى الى بعض الانبياء لا تخبروا عبادي بصفاتي فينكرون او قال فيتكبرون الشك مني ولكن اخبروهم عني بما يفهمون وانما على الانسان الايمان بالله تعالى على ما هو عليه من حقيقة وجوده وحقائق صفاته اما المخلوقات فمنها ما لا يعرف اصلها فلا يمكن التفكر فيها الا من حيث انها مخلوقة مصنوعة محتاجة عاجزة وذلك قوله تعالى الذي خلق الازواج كلها الى ومما لا يعلمون وقال ويخلق ما لا تعلمون ومنها ما يعرف اصلها ولا يشاهد بالبصر منا وذلك كالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر فيها غامض على الراسخين من العلماء فكيف غيرهم ومنها ما يعرف اصلها ويدرك بالبصر وذلك كالسموات وملكوتها كالشمس والقمر والنجوم وغيرها وكالارض وما فيها وعليها من الجبال والشجر والدواب والبحار وغيرها وكالجو وما فيه من الغيوم والثلوج والامطار والرعود والصواعق والارياح والشهب وغيرها فهذه الاجناس لا تنحصر انواعها ولا يدرك العقل اقسامها وصفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجارى الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها الله تعالى وفي حركاتها وتقلبها علم

غامض لا يعلمه الا الله تعالى وحكم لا يحيط بها الا خالقها وكل
ذلك دلائل على وحدانيته وجلاله وكبريائه وهي الآيات
الدالة عليه واشار القرآن الى الحث على التفكر فيها كما قال ان في
خلق السموات الى قوله لآيات لاولي الالباب في امثالها من القرآن
والاشتغال بشرح معنى من معاني هذه الآيات يستدعي الى
تصنيف مجلدات ينقضي العمر دونها ولكن من رزقه الله عقلا
رادعا يردعه عن هجوم الشهوات وعلما نافعا يعتصم به عند ورود
الشبهات فلا بد ان يرزقه النظر في ملكوت الارض والسموات
وقد قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض ثم قال وما تغني
الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فنسئل الله العصمة والعون والتوفيق
وروي عن بعض العلماء انه قال ان لله اقواما انعم عليهم فعرفوه وشرح
صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر له فصارت
قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت العظمة
وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول
في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد
ما لا يمكن لواصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا
وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا فهذه طريقة
من الفكر لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من
يشاء ولابي العتاهية *

ان للدهر فاعلمن اثارا * فالى كم ان لا نرى الاقدارا
من رأى عبرة ففكر فيها * لم يزده التفكر الا اعتبارا
لو عقلنا اذ النهار يسوق الليل والليل اذ يسوق النهارا
لرأيناهما بمر حثيث * يطويان الاعمار والآثارا

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التفكر نصف العبادة
والجوع العبادة وعن عون بن عبد الله قال قلت لابي الدرداء
اى عبادة ابي الدرداء كان افضل قال التفكر والاعتبار ويروى
ان ام ابي ذر سئلت عن عبادة ابي ذر قالت كان نهاره اجمع في
ناحية يتفكر فهذا الذى نبهنا عليه فيه كفاية لمن رزقه الله
التفكر وبالله التوفيق * (الفصل الرابع) * في ترتيب العبادة
على الاوراد والاوقات اعلم ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات
وعمارتها باوراد العبادة على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم احب العباد الى الله تعالى الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة
بذكر الله تعالى فلا تظنن المراد بسير الشمس والقمر على حساب معلوم
وماخلق الله الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امر الدنيا
بل ليتعرف بها مقادير الاوقات ليشتغل فيها بالطاعات والتجارة
لدار الآخرة يدل على ذلك قوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اى يخلف احدهما الآخر فيتدارك
ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر وبالله التوفيق
فاما ترتيب الاوراد في العبادة ففي النهار سبعة اوراد فمن بين
طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد ومن طلوعها الى زوالها وردان
ومن الزوال الى العصر وردان ومن العصر الى المغرب وردان
وفي الليل اربعة اوراد من المغرب الى وقت النوم وردان ومن
النصف الاخر الى الفجر وردان فاما الورد الاول من النهار فهو
وقت شريف لقوله تعالى والصبح اذا تنفس واقسم به لفضيلته
اما ترتيبه فاذا انتبه المريد للعبادة من نومه فينبغي ان
يبدا بذكر الله فيقول الحمد لله الذى احيانا بعدما اماتنا واليه

النشور الى آخر الدعاء الذى ذكرناه قبل هذا وينوى بلبس ثوبه ستر عورته ثم يقضى حاجة الانسان ممتثلا لآدابها ومجتنبا للمناهى الواردة فيها ثم يستاك ان قدر على ذلك وليتوضأ ممتثلا للسنن والآداب فيه ثم يركع ركعتى الفجر فى بيته اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى المسجد داعيا فى طريقه بالدعاء المتقدم قبل هذا ويمشى وعليه السكينة والوقار ويدخل المسجد مقدما رجله اليمنى داعيا كما تقدم ثم يقف فى الصف الاول ان وجد متسعا ولا يزاحم ولا يتخطى رقاب الناس ثم يصلى ركعتى التحية للمسجد ان صلى ركعتى الفجر فى بيته والا فليصلهما ثم يدعو منتظرا الجماعة ولا ينبغى ان يدع الصلاة فى الجماعة عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ويستحب التغليس فى الفجر اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم قال فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا انصرف بعد ما صلى عند طلوع الشمس كتبت له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة وان جلس حتى يركع كتبت له بكل ركعة الف الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة وكان عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر وقد روى ان اباهريرة قال لرجل دخل المسجد قبل الفجر ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله ثم ينبغى ان يشتغل الانسان بعد ركعتى الفجر بالتسبيح والدعاء والاستغفار الى ان تقام الصلاة فيقول استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى

القيوم واسئله التوبة سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا
آدابها ظاهرا وباطنا في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد
في المسجد الى طلوع الشمس يذكر الله تعالى وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لان اقعد في مجلس اذكر الله تعالى فيه
من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع
رقاب وقد قيل انه كذلك يفعل وروي في فضل ذلك ما لا يحصى
وقال فيما يروي عن الله تعالى يا ابن آدم اذكرني بعد الفجر ساعة
ومن بعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما وينبغي ان لا
يتكلم ويشتغل بالدعاء وذكر الله وقراءة القرآن وينبغي ان
يكرر هذه الكلمات العشر فقد ورد في تكريرها فضائل يطول
ذكرها فالاولى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل
شئ قدير الثانية سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الثالثة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح والرابعة سبحان الله العظيم وبحمده
الخامسة استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو واسئله التوبة
السادسة اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معط لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد السابعة لا اله الا الله الملك الحق
المبين الثامنة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ في الارض
ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة اللهم صل على محمد
وعلى من صلح من آل محمد عبدك ورسولك النبي الامي العاشرة
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اني اعوذ

بك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون فهذه
العشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل
له مائة وهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة لان لكل
واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة
نوع تنبيه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة الى كلمة
نوع استراحة واما الدعاء فيدعو بما قدر عليه من الادعية
المأثورة المتقدمة واما القراءة فيستحب له ان يقرا
جملة من الآيات منها سورة الحمد و قل اللهم مالك الملك
الآيتين وقوله لقد جاءكم رسول الآية وقوله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها و قل الحمد لله الذى لم
يتخذ ولدا الخ وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا من آخر
سورة الحشر وقل هو الله احد والمعوذتين و قل يا ايها
الكافرون وآية الكرسى كل واحدة من هذه السور يقرأها
سبعا وان اضاف اليها غيرها من القرآن فحسن وبالجملة
فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان يتدبر
كما تقدم فضل ذلك وقد اقتصر اصحابنا فى ذلك على
قراءة القرآن وقد قال عليه السلام افضل عبادة امتى قراءة
القرآن وينبغى له التفكر ايض كما تقدم فيما ينفعه من المعاملة
بينه وبين ربه وان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره
وليحضر فى قلبه النيات الصالحات فى اعماله وليتفكر فى
نعم الله تعالى ليكثر شكره عليها و ينبغى له ان يتخذ الشيطان
مجنا وهو الصوم ليضيق به مجارى الشيطان الصارف له
عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الفجر الا ركعتى الفجر

وفرض الصبح الى الطلوع وكان عليه السلام واصحابه يشتغلون فيه
بالاذكار فهو الاولى والورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة
النهار اعني بالضحوة انتصاف ما بين الطلوع الى الزوال وذلك
مقدار ثلاث ساعات او ما شاء الله فله فيه وضيفتان احدهما
صلاة الضحى والاولى فيها ان يصلي ركعتين اذا ارتفعت الشمس
مقدار ربع وهو المراد بالاشراق في قوله يسبحن بالعشي والاشراق
لان الصلاة تقع عند انقضاء وقت الكراهية اذ قال عليه السلام
ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها
فيصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت
الاقدام بحر الشمس كما روي انه عليه السلام خرج على اصحابه
وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلا صوته الا ان صلاة
الاوابين اذا رمضت الفصال والوضيفة الثانية في هذا الوقت
ينبغي له ان يشتغل بنوع من الخيرات اما تشييع جنازة او عيادة
مريض او اعانة على بر وتقوى او حضور مجلس علم او ما يجري مجراه
من قضاء حاجة مسلم او اشتغال بكسب معاش ان كان تاجرا
فبصدق وامانة وان كان صانعا فبنصح واتقان وكذا ما اشبه
هذا من وجوه المكاسب ولا ينبغي ان ينسى ذكر الله في جميع اشغاله
فمهما حصلت له الكفاية فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته
وقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت
يستره او حاجة لا بد له منها وقل ما يعرف الانسان ما لا بد له
منه لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون
اليه فيجمعون ما لا ياكلون ويزعمون انه لا بد لهم منه والله
يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه الورد الثالث

من ضحوة النهار الى الزوال فينبغى له ان يشتغل فيه بما تقدم من
وجوه الخير مع ما لابد منه من كسب المعاش ثم ينبغى له ان لا يغفل
عن القيلولة فهى سنة يستعين بها على قيام الليل كما يستعين
بالسحور على صوم النهار فان كان لا يقوم الليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل
بخير فالنوم احب اليه من مخالطة اهله الغفلة اذ فى النوم الصمت
والسلامة وقد قيل يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل
اعمالهم فان لم ينم واشتغل باعمال الخير فذلك افضل اعمال النهار وفضل
ذلك الوقت كفضل احياء الليل لانه وقت غفلة الناس ثم اذا نام
فينبغى ان ينتبه قبل وقت الزوال ليستعد بالوضوء للصلاة والله
اعلم الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر فاذا استعد
فلينصت لفراغ المؤذن وجوابه وليصل اربع ركعات قبل يفصل
بينهما بالسلام وقيل لا يفصل اذ صلاها النبى عليه السلام وقال
احب ان يرفع لى فيها عمل ثم يصلى الظهر ثم يصلى ركعتين ثم اربعا اذ
كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها ثم يجمع بين التسبيح والذكر
والدعاء كما تقدم الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر يستحب فيه
العكوف فى المسجد مشغولا بالذكر او بالصلاة او بفنون الخير من التعلم
والتعليم او الوعظ فان كان بيته اسلم لدينه فالبيت افضل فى حقه ويكره
النوم فيه لمن نام قبل الزوال اذ تكره نومتان فى النهار ولكن لما كان النوم
غذاء الروح كان لا بد من استيفاء حقه بالليل او بالنهار وليراع الاعتدال
لان اقلاله ربما يفضى الى اضطراب البدن الا ان يتعود السهر تدريجا
فقد تمرن النفس عليه من غير اضطراب الورد السادس دخول صلاة
العصر وهو العشى الذى اقسم الله به فى قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفى خسر وليس فى هذا الورد الا اربع ركعات بين الاذانين ثم يصلى العصر

ويشتغل بالاقسام المذكورة في الورد الاول الورد السابع اذا
اصفرت الشمس وترى صفرة في ضوءها فيستحب فيه التسبيح
والاستغفار كما تقدم لقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار فجميع ما ذكرنا طريق الى الله تعالى وفي الخبر
الايمان ثلاث وثلاثون طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل
الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الانبياء
فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق فالناس وان اختلفت
طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط فاقربهم الى الله اعرفهم بره واعبدهم
له واحب الاعمال الى الله ادومها وان قل كما ورد في الحديث وقد
قال عليه السلام من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله
وسئلت عائشة عن عمله عليه السلام فقالت كان عمله ديمة
ويستحب ان يقرا عند الغروب والشمس والليل والمعوذتين ولتغرب
الشمس وهو في الاستغفار واذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال
ليلك الدعاء كما تقدم وقد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يحاسب
نفسه ولا يغفل والله اعلم بيان اوراد الليل وهي خمسة
الاولى اذا غربت الشمس فانه يصلي المغرب وركعتين
بعدها يقرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد ويصليهما عقيب المغرب من غير ان يتكلم بينهما
ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق
ما تيسر له وعن عائشة عنه عليه السلام قال
افضل الصلوات عند الله تعالى صلاة المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم
بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعده ركعتين

بنى الله له قصرين فى الجنة ومن صلى بعدها اربع ركعات
غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وفى حديث آخر من
صلى بعد المغرب ست ركعات عدلت له عبادة سنة وكانه صلى
ليلة القدر وعنه عليه السلام قال من عكف نفسه ما بين المغرب
والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او بقرآن كان حقا على
الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام
ويغرس له بينهما غروسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال
من صلى بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال
الاسود ما اتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا ورايته يصلى ويقال
فيه نزل تتجافى جنوبهم عن المضاجع الورد الثانى دخول وقت
العشاء الى وقت نومة الناس وهو استحكام الظلام ينبغى
ان يراعى فيه ثلاثة امور الاول ان يصلى سوى فرض العشاء
عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا
بعد الفرض ركعتين ثم اربعا يستحب ان يقرأ فيهن آخر البقرة
وآية الكرسى واول الحديد وغيرها الثانى ان يصلى ثلاث عشرة
ركعة احداهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبى عليه السلام
صلاها من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم اول الليل والاقوياء
من آخره والحزم التقدم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام
الا اذا كان له ذلك عادة فآخر الليل افضل ثم يقرأ فى هذه الركعات
ما كان يكثر قرآءته عليه السلام مثل يس والسجدة ولقمان وسورة
الدخان وتبارك الملك والواقعة والزمر ويروى انه كان يقرأ
المسبحات كل ليلة ويقال فيها آية افضل من الف آية وفى خبر آخر
انه يقرأ فى ركعات الوتر سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون

فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاثا الثالث الوتر فليوتر ان
لم يكن عادته القيام والا فآخر الليل افضل اذ قال عليه السلام
صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بواحدة الورد الثالث
النوم ولا باس ان يعد من الاوراد اذا احسنت فيه النية لانه قيل
اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله عز وجل فانه يكتب مصليا حتى
يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فاذا تحرك وذكر الله استغفر له
الملك ودعا له وقال معاذ لابى موسى الاشعرى كيف تصنع فى قيام
الليل قال اقوم الليل اجمع واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ
لكنى انام ثم اقوم فاحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك
وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال عليه السلام
اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة
وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث
احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا
وطهارة الباطن هو المؤثر فى كشف حجب الغيب الثانى ان يعد طهوره
وسواكه عند راسه وينوى القيام للعبادة عند التيقظ فكلما انتبه
استاك كذلك عادة السلف ويقال ان النبى عليه السلام يستاك
مرارا عند نومه وان لم تمكنه الطهارة فليمسح اعضاءه بالماء فقيل يستحب
ذلك وان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر
فذلك يستحب وقال عليه السلام من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم
يصلى من الليل فغلبته عيناه كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه
من الله تعالى الثالث ان لا يبيت الا ووصيته عنده مكتوبة
فانه لا يامن من القبض فى النوم ويقال ان من مات من غير وصية

لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيامة فتتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية الرابع ان ينام تائبا سليم القلب لجميع المسلمين وعن النبي عليه السلام قال من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر الله له ما اجرم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفراش وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نعود وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم ومن لم تسمح نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلفه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام آخر الليل فقد كان السلف الاصفياء نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا كانوا قليلا من الليل ما يهجعون السابع ان ينام مستقبل القبلة وذلك على وجهين اما مستلقيا على قفاه واما على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة كاستقبال اللحد الثامن الدعاء كما تقدم قبل هذا ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة والهكم اله واحد الآية يقال ان من قراه عند النوم يحفظ عليه القرآن فلا ينساه ويقرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الآية وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر بني اسرائيل يقال انه يدخل في شعاره ملك موكل يحفظه ويستغفر له ويقرا المعوذتين في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده روى ذلك من فعل النبي عليه السلام وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد

لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة
مرة التاسع ان يتذكر عند النوم نوع وفات والتيقظ نوع
بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم
تمت فى منامها فكما ان المستيقظ يشاهد احوالا لاتناسب احواله
فى النوم كذلك المبعوث يرى ما لايخطر بباله ومثل النوم بين
الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان
يا بنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم كما انك تنام فكذلك
تموت وان كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه
بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك فيحق على العبد ان
يفتش عن قلبه على ماذا ينام اما الغالب على قلبه حب الله
ولقاءه اوحب الدنيا وليتحقق انه يتوفاه على ماهو الغالب عليه
ويحشره على مايتوفاه فان المرء مع من احب وما احب العاشر
الدعاء عند تقلبا تـ بما كان عليه السلام يقوله وذلك
لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما
العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر مايرد على قلبه عند النوم
ذكر الله فهو اول مايرد على قلبه عند التيقظ فهو علامة الحب
ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ماهو الغالب عليه فليجرب
نفسه فانها علامة تكشف عن باطن القلب فاذا استيقظ قال
الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الدعاء
المتقدم الورد الرابع يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى
ان يبقى سدسه وبه اقسم الله تعالى والليل اذا سجى وفى
هذا الوقت لاتبقى عين الا وهى نائمة الا الحى القيوم وسئل
النبى عليه السلام اى الليل اسمع فقال جوفه وقال داود

عليه السلام الهى انى احب ان اتعبد اليك فاى وقت افضل
فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام
اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل
حتى تخلو بى واخلو بك وارفع الى حوايجك وسئل النبى عليه السلام
اى الليل افضل قال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وقال ركعتان
يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها
ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما عليهم وعنه عليه السلام قال
ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسئل الله تعالى خيرا
الا اعطاه اياه وقال يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك
حيا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وانت تريد رضى ربك
يا ابا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور
الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال عليكم بقيام الليل فانه
دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله وتكفير الذنوب ومطردة
للداء عن الجسد ومنهات عن الاثم وقال رحم الله رجلا قام من
الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح فى وجهها
الماء وقال من استيقظ فايقظ امراته وصليا ركعتين كتبا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال يوسف بن مهران بلغنى ان
تحت العرش ملكا على صورة ديك براثنه من اللؤلؤ وصيصته من
زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحه فزقا
فقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وزقا
فقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحه وزقا فقال ليقم
المصلون فاذا اصبح ضرب بجناحه وزقا فقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم
ويروى ان الله تعالى قال ان عبدى الذى هو عبدى حقا هو الذى لا ينتظر لقيامه

صياح الديك * فصل * اعلم ان قيام الليل عسير الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا اما الظاهرة فاربعة الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشراب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام الثانى ان لا يتعب نفسه بالنهار بالاعمال التى تعيا بها الجوارح فان ذلك مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سبب لتقليل النوم بالليل الرابع ان لا يكتسب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسى القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة فالذنوب كلها تقسى القلب وتمنع من قيام الليل ولاسيما اكل الحرام ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان الرجل ليأكل اكلة او يفعل فعلة يحرم بها قيام سنة واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب من الحقد وفضول الدنيا فالمستغرق بهموم الدنيا لا يتسنى له القيام وان قام فلا يتفكر الا فى مهماته وفى مثل ذلك قيل * وانت اذا استيقظت ايضا فنائم * الثانى خوف غالب فى القلب مع قصر الامل كما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة طال شوقى فما اقدر ان انام ولذى النون *

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا من الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت لكيما يخضعا

وقال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم بذلك رجاؤه وشوقه لثوابه فيهيجه الشوق وطلب المزيد رغبة فى درجات الجنة وخوفا من النيران الرابع حب الله تعالى وهو اشرف البواعث له وذلك

من قوة الايمان فانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به
ربه واذا احب الله عز وجل احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بمناجاته
ولا ينبغي ان يستبعد هذا الذي يشهد له العقل والنقل اما العقل
فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او للملك بسبب انعامه كيف
يتلذذ بالخدمة له والخلوة به حتى لا يأتيه النوم والرجاء في حق الله
سبحانه اصدق وما وعده تعالى ابقى وانفع واما النقل فاكثر من
ان يحصى وقال بعض العلماء القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض
الصديقين ان لي عبادا يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق
اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقتهم
احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال
يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب
الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم
وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا
الي بانعامي فهم بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك
يعني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون
من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية
لو كانت السموات السبع والارض في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي
عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم
احد ما اريد ان اعطيه وشكى بعض
المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة

تجلب النوم فقال استاذه ان لله عز وجل نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المستيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذي تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جوف الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وبالله التوفيق وهــذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر الوظيفة في هذين الوقتين الصلاة فاذا طلع الفجر انقطعت اوراد الليل ودخلت وراد النهار فيقوم فيصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم ليقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها فيقول واذا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت له به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك عليها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعبادة وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك اربعة امور صوما وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمعها كل يوم غفر له وفي رواية اخرى دخل الجنة وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني مفاصل جسده وهي ثلاث مائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك على الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله والله نسأله الفوز والتوفيق والعصمة من الخطأ والزلل وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآلــــه ❊

القنطرة الخامس عشرة قنطرة القوادح في الطاعات وهما الرياء والعجب وما ينشأ عنهما من مفسدات العبادة ومحبطات الطاعات وهذه القنطرة تحتوي على بابين وخمسة فصول الباب الاول في الرياء احذر يا اخي على عملك مما يفسده عليك فان الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك والمرائي ممقوت عند الله تعالى وقد شهدت بذلك الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى فويل للمصلين الى قوله الذين هم يراؤن وقوله والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد فحكي عن مجاهد انه قال هم اهل الرياء وقال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل انهم عملوا اعمالا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيات وكان بعض العلماء اذا قرا هذه الاية قال ويل لاهل الرياء وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية يقال انها نزلت فيمن طلب الاجر والثناء بعمله ويقال نزلت في رجل كان اذا صلى وصام او تصدق فذكر بخير ارتاح لذلك وزاد في عمله لمقالة الناس واما الاخبار فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جازى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وسأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة قال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي الحديث عنه عليه السلام ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشركة فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته له كله فاني لا اقبل الا ما كان خالصا لي وقيل ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة اذا التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم تكن الرؤس في الدنيا الم نرخص بيعك وشراءك الم تكرم وما اشبه هذا وعن النبي

عليه السلام ان الجنة تكلمت فقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما يدعى يوم القيامة
للحساب رجل قد جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال
فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسلي فيقول بلى يارب
فيقول ما صلت فيما علمت فيقول يارب قمت به اناء الليل واطراف
النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت
ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الم
اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يارب فيقول
ما عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت
وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان سخي فقد
قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول ما فعلت فيقول
امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت
وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جرئ
فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي
ابي هريرة فقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم قال
عليه السلام انهم لم يتوبوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم وعن
ابن عمر قال قال عليه السلام من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله
به وقال عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو
يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال عيسى
عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته
ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف
عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم
الرزق وقال عليه السلام لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء

وقال عمر لمعاذ بن جبل ورآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي عليه السلام يقول ان ادنى الرياء شرك وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهذا ايماء الى خفايا الرياء وقال عليه السلام ان المرائي ينادى عليه باربعة اسماء يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وعن شداد بن اوس قال رايت النبي عليه السلام يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال عليه السلام لما خلق الله الارض فمادت باهلها فاوتدها بالجبال فقالت الملائكة ما خلق الله ربنا خلقا اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء فاطفأ النار فامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله فقالت يا رب ما اشد من خلقت من خلقك فقال الله لم اخلق شيئا اشد من ابن آدم حين تصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلقا خلقته وروي ان رجلا قال لمعاذ رحمه الله حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظن الرجل انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله قال يا معاذ قلت له لبيك يا رسول الله بابي انت وامي قال اني لاحدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حيث اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا اطلعت به الى سماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول

الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان
الا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل
صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري
انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال فتصعد الحفظة بعمل العبد
يبتهج له نور من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انى ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان
يتكبر على الناس في مجالسهم قال فتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة
حتى يجاوزوا بها الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك بها قفوا واضربوا
بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه
العروسة المزفوفة الى زوجها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان
يحسد الناس ومن يتعلم ويعمل بمثل عمله فكل من كان يأخذ فضلا من
العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى
غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام
فيجاوزون الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله
اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع

عمله يجاوزني الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة املاك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه انى احجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا فى المدائن امرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى فتشيعه ملائكة السموات حتى يقفوا بين يدى الله تعالى ويشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدى وانا الرقيب على نفسه انه لم يردنى بهذا العمل واراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ فكيف النجاة مما ذكرت قال اقتد بى وان كان فى عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى الناس وعن اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الاخرة ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والاخرة ولا تمزق عرض المسلمين فتمزقك كلاب النار يوم القيامة

في النار قال الله والناشطات نشطا اتدرى ماهن يا معاذ قلت ماهي بابي انت وامي قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي وامي يارسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة القران من معاذ حذرا مما في هذا الحديث والله تعالى اعلم واما الاثار فروى عن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يطاطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلب قال وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لاشئ لك فساله ثلاثا كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الشركاء عن الشركة وسال رجل ابن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقال هذا لله وللرحم فان الله لا شريك له والاثار في هذا كثيرة تركتها حبا للاختصار

﴿ الفصل الاول في بيان حقيقة الرياء ﴾

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع واصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير فالمرائي هو العابد والمرائى هم الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرائى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها وينحصر ذلك

في خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهي البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكل اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال غير الطاعة اهون من الرياء بالطاعة فيرائي اهل الدين والدنيا بابدانهم واموالهم واعمالهم وزيهم في بدانهم ولباسهم فاما رياء اهل الدين ببدنهم فيرائي العبد بالنحول واصفرار اللون ليوهم الناس انه شديد الاجتهاد وبالخوف والحزن وضعف الصوت وغور العيون وذبول الشفاه اعلاما للناس بذلك انه صائم فالنحول دليل على قلة الغذاء وكثرة الاحزان والاصفرار دليل على قيام الليل وليس هذا رياء على الحقيقة وانما هذا تسميع بلسان الحال لا بلسان المقال واما رياء اهل الدنيا بالابدان فسمنها وحسنها وصفاء الوانها واما رياء اهل الدين بالزي فبشعث الروس وحلق الشوارب واستيطال الشعر وفوقه اظهارا لكونه متابعا للرسول في زيه وكذلك غلظ الثياب وآثار السجود وتشمير القمص وقصر الاكمام وخصف النعال وحذوها على زي اهل الدين ومن هؤلاء من يؤثر حمد اهل الدين والدنيا ليحمده الفريقان فينفق عندهم ليصل الى اغراضه منهم فيلبس الثياب الحسان لينفق عند اهل الدنيا ويقصر اكمامها ويشمر ذيولها لينفق عند اهل الدين وكذلك يلبس النعال الخشان محذوة على نعال اهل الدين ويبالغ في جودة الثياب ليتقرب من السلاطين زعم انه انما يتقرب اليهم لقضاء حوائج المسلمين ومنهم من يتصنع بالطاعة لينفق عند المسلمين والمخالفين ومن هؤلاء من لو اعطى من الاموال الخطيرة ما اعطى لما خرج عن زيه الذي شرف به لئلا يقال خرج من الاقتداء بنبيه عليه السلام واما الرياء بالاقوال فيرائي اهل الدين بالنطق بالحكم واقامة الحجج عند اهل المنازل

وبالحفظ للحديث واقوال المختلفين وذكر الله بالالسن والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وتضعيف الصوت عند رد الجواب وتحسينه ورفعه
عند القراءة والتأوه عندها ليدل بذلك على المخافة ويرائي اهل الدنيا
بالنطق بالطاعة وغيرها من الفصاحة عند المحاورة وحسن الصوت
وانشاد الشعر والنحو والغريب واللغة وكان السلف اذا اجتمعوا يكرهون
ان يذكر الرجل احسن ما عنده وأما الرياء بالاعمال فيرائي اهل الدين
بطول الصلاة وتحسين ركوعها وسجودها وبالصوم والغزو والحج
وطول الصمت وبذل الاموال واطعام الطعام والاخبات في المشي
اذا لقي الناس بارخاء الجفون وتنكيس الرؤس والتثبت عند السؤال
ومنهم من يمشي سريعا فاذا اطلع عليه اهل الدين مشى مشية اهل الدين
فاذا جاوزهم عاد الى ما كان عليه ويرائي اهل الدنيا بصحبة اهل الدين
من العلماء والعباد ليقال فلان يمشي الى فلان العالم او العابد ويصحبه
ويتردد اليه اما لينفق عند الملوك او ليولى القضاء او ليستشهد او
يستودع او يوصى اليه فيخون الامانة والله اعلم ❊

﴿ الفصل الثاني في مراتب نفي الرياء ﴾

من مختصر الرعاية قال للشيطان في الرياء ثلاثة احوال احدها ان يخطر
الرياء والثانية ان يزينه للعبد والثالثة ان يدعوه اليه ويحثه عليه بعد
ان يحببه اليه فاسعد الناس من يدفع الخطرة عن قلبه ويليه الذي
يدفعها بعد تحسينه له ويليه الذي لا يتماطاه بعد حث الشيطان
عليه ودعائه اليه وهذا جار في جميع المعاصي قال ويندفع دعاء
الشيطان الى الرياء والى جميع انواع المعاصي بشيئين احدهما كراهية
المعصية والرياء والثاني الامتناع مما كرهه وانما تحصل الكراهية بتذكر
ما في تلك المعصية من سخط الله وبما ذكرناه من مضار الدارين

فان الله تعالى جبل الانسان على محبة ماينفعه وكراهية مايضره وخلق النفس ميالة الى ماينفعها غافلة عما يضرها والشيطان عون لها على ذلك وخلق العقل ليدفع اعظم الضررين بادناهما ويقدم اعلا النفعين على ادناهما فالشرع هو المعرف للضرر والنفع والعقل كالبصر لايرى النفع والضرر الا فى نور الشرع كما ان البصر لايرى الحسن والقبيح الا فى نور واذا زين الشيطان المعصية وحببها الى النفس امتلا القلب بحبها فنسى العبد ما كان عزم عليه من الطاعة والاخلاص فيغفل عما فى الفعل من مضرته فى دينه ودنياه وانما ينقطع ذلك باستجلاب التذكر لما فى الذنب من المفاسد التى تزيد على ما فى الشهوة من المصالح فاذا علم ما فى طاعة الشهوة من الضرر العظيم كرهتها النفس حينئذ لانها مجبولة على دفع اعظم الضررين بالتزام اخفهما ولاشك ان ضرر الذنوب فى الدنيا والاخرة اعظم من ضرر فوات شهوة فانية فاذا اطلعت النفس على ذلك صارت مع العقل فغلب جند الرحمن جند الشيطان اذ لايتصور فى العادة ان يتذكر العبد ما فى الطاعة والاخلاص من مصالح الدنيا والاخرة وما فى الرياء والمعصية من مفاسد الدنيا والاخرة ثم يقدم على الرياء والعصيان مع علمه بما فيهما من فوات المصالح وحصول المفاسد والذى يضعف دواعى الرياء يذكر الانسان الايات والاخبار المتقدمة وما يحرمه الله من توفيقه واصلاح قلبه ومقته تعالى له على ذلك اذا اطلع على قلبه وهو معتمد للرياء ويحبط عمله ويحرم ثواب الاخرة ويعاقبه اذا تحبب الى العباد بما يبغضه عند الله ويزين لهم بما يشينه عنده ويقرب اليهم بما يبعده مع انهم لايملكون له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا مع ان رضاهم غاية لاتدرك فقد يرضى بعضهم مايسخط الاخرين

مع انه يجهل ما يصلح له من المنزلة في قلوبهم وما يناله من منافعهم ولا يامن ان يطلعهم الله تعالى على ريائه فيمقتونه ويحرمونه ويضرونه ولا ينفعونه فيخسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فاذا تحقق ما ذكرناه وواظب عليه اضمحل دينه ورياءه شيئا شيئا ويندرج اليه الاخلاص شيئا شيئا الى ان يصير من المخلصين فـائـدة فاذا اخطر الشيطان قلبه الرياء في شيء من الطاعات كالصلاة مثلا فلا يلتفت اليه ولا يشتغل به فتنقص صلاته ولكن يزيد في تحسينها باحضار الخشوع واتمام الركوع والسجود ارغاما للشيطان وكذلك سائر الطاعات فـائدة اخرى اعلم ان الشيطان يدعو اولا الى ترك الطاعة فان اطاعه الانسان وتركها فهو مراده وان لم يطعه دعاه الى الرياء بها فان اطاعه ابطلها عليه وان لم يطعه اوهمه ان ترك العمل خيفة الرياء لخلاص فاعلم انه كاذب في ايهامه اذ ليس ترك العمل من اجل الناس خوفا لمراآتهم اخلاصا انما الاخلاص ايقاع الطاعة خالصة لله تعالى دون الناس فلا يترك الانسان الطاعة لاجل ما ذكرنا عن الشيطان فان عارضه في اثناء الطاعة وقال له انك مراء فلا يتركها لكن يزيد فيها ويحسنها ولا يشتغل به وبالله العون والتوفيق

الفصل الثالث في الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاية وقال الا لله الدين الخالص وقال النبي عليه السلام ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم منها اخلاص العمل لله تعالى وقال انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وقال عليه السلام يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال لمعاذ من اخلص العمل لله اربعين

يوماظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ويقال كتب بعضهم الى
اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل منها وقال بعض العلماء
في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز فالعلم بذر والعمل
زرع وماءه الاخلاص ويقال مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص
وقال الحسن ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا
فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال بعض العلماء الامر
كله يرجع الى اصلين فعل من الله لك وفعل منك له فارض بما فعل
واخلص فيما تفعل فاذا فعلت بهذين فزت في الدارين مسئلة
واختلفت اقوال العلماء في معنى الاخلاص فقيل معناه ان يكون
سكون العبد وحركته لله خالصة وقال بعضهم الاخلاص في العمل
ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه وقيل الاخلاص
تصفية العمل من الكدورات وقال المحاسبي هو اخراج الخلق
عن معاملة الرب وقيل دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها
وقيل سئل النبي عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربي
الله ثم تستقيم كما امرت فهذا هو الاخلاص حقا وقال بعض العلماء
اجمع الفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم
بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق
لله في الاعمال وطيب المطعم والله اعلم مسئلة والاخلاص
معناه ان يريد الله تعالى بطاعته ولا يريد بها سواه وله اقسام
احدها ان يريد الخلاص من العقاب والثاني ان يريد الفوز
بالثواب والثالث ان يريدهما جميعا والرابع ان يفعل ذلك حياء
من الله تعالى والخامس ان يفعل ذلك حبا لله تعالى من غير
ملاحظة ثواب ولا عقاب والسادس ان يفعل ذلك اجلالا لله

٢ اي كما لا تعبد معه الها ولا تعبد الا اياه وان تستقيم في عبادته كما امرك ربه

تعالى وتعظيما واما الرياء فهو ان يريد الناس بطاعة الله سبحانه وهو
ضربان احدهما ان لا يريد بتلك الطاعة الا الناس والثاني ان يريد
الناس ورب الناس وهذا اخف الريائين لانه اقبل على الله من وجه
وعلى الناس من وجه واما الاول فقد اعرض عن الله تعالى بالكلية
وكلاهما محبط للعمل لقوله من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته لشريكي
ولا يتصور شرك الرياء ممن عبد الله تعالى تعظيما واجلالا لان تعظيمه
يمنعه من ان يعصيه بشرك الرياء وكذلك الحياء ايضا يمنعه وكذلك
الحب مانع من عصيان المحبوب فيما يتقرب به اليه والله تعالى اعلم

الفصل الرابع فيما يورثه الرياء من الخصال المذمومة منها
حب الرياسة والمباهاة بالعلم والعمل والتفاخر بالدين والدنيا
ومحبة العلو والتكاثر بالمال وغيره من الدنيا وبالعلم والعمل والتحاسد
عليهما من غير منافسة بل خوفا ان ينال من يحاسده مثل منزلته
والحمد بما لم يفعله ولم يفعله وود الخلق عن غيره من العلماء اليه لئلا
يقال هو اعلم منه وحب الغلبة في المناظرة وترك تعلم ما لا يستغنى
عنه وحب التعظيم والاجلال له وتسخير العباد والاحتقار لهم
وان لا يرد عليه شيء من اقواله وافعاله وان لا يساوى في العلم بامثاله
وان يصر على الخطأ كي لا تنكسر رياسته وان وعظ عنف وان
وعظ انف والمبادرة بالجواب حين يسال هو او غيره يريد بذلك
ان يعلو عليه وامثال هذه مما يطول بها ويشرحها الكتاب

الفصل الخامس في اظهار العمل للاقتداء

وله حالان احدهما ان يكون ممن لا يقتدى به فلا يظهر شيئا من
اعماله التي هي تطوع لانه لا يامن على الرياء ولا يثق بالاقتداء واما
الفرائض فيجب اظهارها لئلا يساء به الظن او يبرا منه واما ان

ممن يقتدى به فان كان ذلك العمل من اعمال العلانية كالجهاد والحج
وغيرهما وامن من الرياء فله اجران اجر العمل واجر النسبة الى الاقتداء
لان الدال على الخير كفاعله وقد ورد في الخبر ان عمل العلانية يضاعف
سبعين ضعفا اذا كان اظهاره على نية الاقتداء كما ان اسراره خوفا
من الرياء يضاعف سبعين ضعفا واما ان عمل الطاعة فاخبر بها
الناس فان كان ذلك ليعظم عند الناس فهذا مسمع وفي الخبر من
سمع سمع الله به وان اخبر بها ليقتدى به فان كان ممن يقتدى به فلا
باس وقد حكى فعل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين الذين
يقتدى بهم باقوالهم وافعالهم وان كان لا يقتدى به فلا يتحدث
بشيء من ذلك مخافة التسميع والتصنع للناس وبالله التوفيق

الباب الثاني في العجب واسبابه

اعلم ان العجب قادح في العمل مهلك لصاحبه وهو آفة المتعبدين
من الاولين والاخرين وافته اعظم من آفات الذنوب لان الذنوب
ربما انتبه العبد فتاب منها والعجب لا يكاد يتوب عاذنا الله تعالى
منه وقد قال النبي عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلام النادم ينتظر التوبة
والمعجب ينتظر المقت وقال لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو
اكبر من ذلك العجب العجب وقال عليه السلام لو ان عبدا قدم على الله
باعمال اهل السموات واهل الارض من انواع البر والتقوى لم يزن
ذلك عند الله مثقال ذرة مع ثلاث خصال الاعجاب واذى
المسلمين والقنوط من الرحمة وعن ابن مسعود رحمه الله قال
الهلاك في اثنين القنوط والعجب وصدق رحمه الله لانه اذا اعجب
زكى نفسه ولم يتهمها وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قيل لا تبرؤها

وعن مطرف بن عبد الله قال لان ابيت قائما فاصبح نادما احب الى من
ان ابيت قائما فاصبح معجبا وعن عيسى عليه السلام قال كم من سراج
قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب فدل ما ذكرنا على ان العجب
مفسد للطاعات وهو من اكبر الافات على المتعبدين لان من اعجب
بعمله لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه فيفضي به ذلك الى العزة والكبر
على العباد حتى يصير المعجب كان له منة على الله تعالى لاستعظامه
اعماله وكذلك يمن على العباد بما يسديه اليهم من معروفه ولحسنا
في زعمه فما اجدره بان يحبط الله سبحانه عمله باعجابه ويكله الى
نفسه وبالله التوفيق ﴿ فصل في اسباب العجب ﴾
اعلم يا اخي وفقك الله ان سبب العجب استعظام واستكثار لما
فيك من خير وعلم وعمل بزعمك فاما العلم فمعرفة الكتب والسنة
واجماع الامة ويقع الاعجاب ايضا بالراى للصواب وهو القياس
الصحيح ويقع ايضا بالراى للخطا وهو القياس الفاسد وهو خطا من
وجوه احدها زيغه عن الحق والثاني فرحه بالباطل والثالث انه
تعجب بما لا يجوز اعجابه والعجب فرحه بالنفس باضافة العمل اليها
وحمدها عليه مع نسيان ان الله تعالى هو المنعم به عليه والمتفضل
بالتوفيق له واما اذا فرح بذلك لكونه منة من الله عليه واستعظمه
لما يرجو عليه من ثواب الله عز وجل ولم يضف ذلك الى نفسه ولم
يحمدها عليه فليس بعجب قال بعض العلماء وكذلك اذا علمت
ان كل نعمة من الله تعالى ثم استعظمت شيئا من اعمالك ناسيا
غافلا عن كونه من الله تعالى ومن نفسك غير حامد لنفسك عليه
فلست بمعجب ولو احضرت كونه نعمة من الله تعالى كان ذلك افضل
قال لان الفرح بنسبة النعمة الى الله تعالى مامور به في كتاب الله تعالى

قال عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وانما الشر
والاعجاب في نسبة تلك النعمة الى النفس ونسيان كونهما من الله
تعالى فما اجدر من فعل ذلك ان يكله الله تعالى الى نفسه كما فعل
تعالى باصحاب نبيه عليه السلام يوم حنين اذ اعجبتهم كثرتهم
فنسبوا النصر الى الكثرة ونسوا نسبته الى الله فذلوا وانهزموا مع
انهم خير خلق الله تعالى وقد يؤدى العجب الى الادلال على الله تعالى
وهو ان يرى العبد انه له عند الله قدرا عظيما قد استحقه واستحق
الثواب عليه مع الامن من عقاب الله تعالى وليس رجاء المغفرة
مع الخوف من الله تعالى ادلالا وللادلال علامات منها ان يناجى
ربه بادلاله عليه بعمله ومنها ان يستنكر ان ينزل به بلاء ومنها
ان يستنكر ان ينصر عليه غيره او ترد دعوته مع كونه عاملا بالعمل
الذى استعظمه حتى حمله على العجب والادلال فما اجهل المدل
على الله تعالى بعلمه او بعمله كيف يدل على ربه لان انعامه عليه
واحسانه اليه والشكر لربه على نعمه اولى به من الادلال عليه *
والشكر على النعم من جملة النعم ولذلك قيل ضاحك معترف بذنبه
خير من باك مدل على ربه والله تعالى يقول ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال سيد الاولين
والاخرين ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته فائدة لا يقع العجب الا
لصفة كمال او ما يعتقد انه صفة كمال فمن اخطا فى اعتقاده او
فى مسئلة فرع من الفروع فانما اعجب من جهة ظن انه على الصواب
فاعجب بصوابه اذ لا يصح الاعجاب الا بما يعلم او يظن انه من
باب السرور وما فرح اهل البدع بخطاياهم الا لاعتقادهم انهم مصيبون

وقد ذم الله فرحهم فى قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما
لديهم فرحون فصل فيما ينفى الاعجاب بالعلم والعمل والراى والصواب
ينفى ذلك باستحضارك ان الذى وفقك للعمل انما هو الله عز وجل
وان النفس لا صنع لها فى ذلك وان من الخطا ان تنسب الخير الى من
لا تعرفه الا بالشر وتقطعه عن من له الامر كله وان النعم كلها من الله
فاذا لاحظت ذلك وداومت عليه ارتفع عنك العجب فان عدت
الى الاعجاب ونسيت رب الارباب فعاودها بالدواء الذى قلت
لك فصل فيما ينفى به الاعجاب بالراى الخطا فاعلم ان الخطا
ليس بنعمة حتى يقع به الاعجاب وانما هو بلية يتوهم انها نعمة من الله
تعالى فيعجب بها وطريق نفى العجب به ان يعلم انه من جملة بنى ادم
وان بنى ادم اخطؤا فى كثير من الفروع والاصول واعجبوا بخطاياهم
ظنا منهم انه صواب وهو بشر مثلهم يجوز عليه ما جاز عليهم ومنشا
الحق والصواب موجود فى الكتاب والسنة فمن ذلك ما هو محكم
ظاهر لا يقع فيه خطا ومنه ما هو متشابه قابل للخطا والصواب
فيجب عليه ان يتوقف فيه وانه لا يجزم براى حتى يقف على دليل شرعى
يعتمد على مثله فان لم يقف على دليل يرشده الى مراد الله ورسوله
من ذلك المتشابه فليسال العلماء فان اوقفوه على المعتمد عليه تبعه
منهم والا امن بالمتشابه حتى يقف على دليل شرعى موجب لتاويل
المتشابه لان على العامة الايمان بالمتشابه ورد معناه الى العلماء وقد
يقع الاعجاب بالاعمال بناء على عزمه وحزمه وما جربه من نفسه
ناسيا منة ربه ومضيفا الله الى نفسه الامارة بالسوء فصل
فيما يقع به الاعجاب من الاسباب الدنيوية فمن ذلك اعجاب المرء
بحسن صورته ناسيا النعمة الله عليه فى ذلك حتى ربما حمله حسن

صورته على الفجور وينفي ذلك بنظره في بدء خلقه وانه خلق من نطفة
قذرة وفيما يتقلب فيه من الاقذار وبما يصير اليه من سيلان
صديده ونتنه وتغير صورته وقبح رائحته وينظر في تضييعه واجب
شكر ربه وانه متعرض لسخطه ودخول النار المغيرة لحسن صورته
ومن ذلك الاعجاب بالقوة والاتكال عليها دون خالقها كما قالت
عاد من اشد منا قوة وينفي العجب بذلك ان يعلم انها نعمة من الله ابتلاه الله
بها هل يطيعه فيها او يعصيه وانه تعالى قادر ان يسلبها منه فيصبح
اضعف خلق الله ومن ذلك العجب بالعقل والذهن والفطنة
باستحسان ذلك والاتكال عليه ان يدري به من امور دينه ودنياه
ما لا يصل اليه غيره ناسيا الانعام الله تعالى به عليه والتوكل عليه
في ذلك كله وقد يحمله ذلك على الجدال بالباطل واستصغار علم العلماء
وعلمهم من البر والخير مع تضييعه هو العمل بذلك اجتزاء منه بفهمه
وفطنته وينفي ذلك بان يعلم ان ذلك نعمة من الله انعم بها عليه ليؤكد
بها الحجة عليه اكد من غيره وانه لا يامن ان يسلبه ذلك كما فعل بغيره
وكيف ينفعه فهمه اذا كان غيره اطوع لله منه فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء الاية ومن ذلك العجب بالحسب
وهو ان يتعظم بنسبه الى من عظم الله قدره في الدين بالعلم والرسالة
والنبوة ناسيا لانعام الله عليه وتحقيرا لعباد الله سبحانه وازله
الحق عليهم وقد يعتقد احدهم انه ينجو بغير عمل مع فجوره وينفي العجب
بذلك بان يعده من نعم الله عليه وان الاحساب لا تجلب شيئا من
الثواب ولا تدفع شيئا من العذاب وان اكرم الناس عند الله تعالى
اتقاهم له وان النبي عليه السلام قال لابنته فاطمة وعمته صفية
لا اغني عنكما من الله شيئا وان يعلم ان اسلافه الذين يفتخر بهم انما

شرفوا بطاعة الله سبحانه واجتناب معصيته ولا يغتر بما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفاعة لبنى عبد المطلب فانه
لا يشفع فى احد من ذوى الاحساب وغيرهم الا من ارتضى منهم فهو
وغيره ممن لا حسب له سواء وقد يبلغ الحمق باحدهم بان يعجب بالانتماء
الى اكابر مشركى العرب المخلدين فى النار واحمق من هؤلاء من يعجب
بالانتماء الى الملوك المشركين من غير العرب استعظاما لقدره ونسيانا
لما صاروا اليه من العذاب ونفى العجب بذلك ان يعلم ان سطوتهم
وبال عليهم من الله تعالى ومنهم من يعجب بكثرة عدد اولاده ومماليكه
وعشائره واصحابه ويتكل عليهم دون ربه وقد يحمله ذلك على ان
يسطو على من عانده اعتمادا عليهم ونفى العجب من ذلك ان يعلم ان
النصر من الله وان النصرة لا تغنى شيئا كما لم تغن كثرة اصحاب النبى
عليه السلام يوم حنين شيئا مع انهم خير عصابة على وجه
الارض وان كثرة عدده ومدده لا تغنى عنه يوم القيامة يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه شيئا ومنهم من يعجب بكثرة الاموال
فيفتخر بها على الفقراء وينفى عجبه بذلك ان يعلم ان الاموال فتنة
ومحنة ابتلى الله بها العبد وان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
وان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة وان غنى قارون كان
سببا لهلاكه وان الله عافى الفقراء من التعرض لهذه الفتنة ٭
وخلصهم من هذه المحنة وبالله التوفيق فصل فى الكبر
قال الله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه عن ابن عباس
قال عظمة لم يبلغوها وقال ابن جريج علوا فى الارض وتعظيما
وقال تعالى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وعن كعب قال يحشر المتكبرون يوم القيامة

امثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان حتى يسلكوا
في نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وعن النبي
عليه السلام قال يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما القيته في ناري وعن كعب الاحبار قال ما من
عبد الا وفي راسه حكمة بيد ملك فان تواضع رفعه الله وقال انتعش
نعشك الله وان تكبر وضعه الله وقال اتضع وضعك الله وعن
عيسى عليه السلام قال ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا
فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون
انه من شمخ راسه الى السقف شجه ومن تطاطا اظله والايات
والاخبار والاثار في ذم الكبر كثيرة تركتها حبا للاختصار فصل
والكبر معناه ان يتعاظم الانسان على غيره انفة واحتقارا واخلاق
الكبر كلها تسمى كبرا وقد تكون من الحقد والحسد والرياء والعجب
لان اوله في القلب استعظام القدر فاذا استعظم العبد قدره تعظم
فاذا تعظم انف وتعزز وافتخر واستطال ومرح واختال فالتكبر التعظم
وله اسباب من جملتها العجب وهو اكثرها ولذلك يطلق الكبر على
العجب لانه مسبب عنه ويقال الفرق بين الكبر والعجب اما في الدين
فقد يعجب بعمله فيحمد نفسه وينسى منة ربه بذلك ولا يتكبر على احد
وربما اخرجه العجب الى ان يرى انه خير من غيره فيحقره ويانف منه
فيكون حينئذ متكبرا معجبا واما بامر الدنيا فقد يعجب بجماله وماله
وقوته ولا يتكبر وقليلا ما ينفرد العجب بالدنيا دون ان يخرج صاحبه
الى الكبر والمرح والخيلاء الا ترى الى قول النبي عليه السلام بينما
رجل يتبختر في بردين له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فوصفه عليه السلام بالعجب

في تبختره وخيلائه وللكبر اقسام منها الكبر عن بعض طاعة الله ومنها الكبر عن مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها الكبر عن عباد الله وهو ان يرى انه خير منهم فيحقرهم فلا يقبل الحق منهم واصله كما قدمنا التعظيم على الناس ورد للحق مع العلم به ويحقق ذلك قول النبي عليه السلام حين قال ثابت بن شماس او غيره يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي الجمال افمن الكبر هو قال لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وغمص الناس يعني حقرهم فائدة قال بعض العلماء قل ان يخلو عالم او عابد او عارف عن نوع من الكبر ولكن قد تخلو قواه عن اثار الكبر فان تكبر بقلبه لم يحمله ذلك على رد الحق وعلى شيء من افعال الجوارح المذمومة وقد جاء عن حذيفة رضي الله عنه انه ترك امامة قومه لان نفسه حدثته انه افضل منهم فيما قال واستاذن عمر رضي الله عنه امام قوم ان يدعو بدعوات بعد الصلاة فمنعه خوفا عليه من الكبر وقال اخاف ان ينتفخ حتى يبلغ الثريا فصل قال الغزالي في كتابه او غيره فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكن خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يتحفظ في العمل من عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر ضد كل خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير

وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم
ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان
الصدقة فى الوقت وعند بعضهم يبطلان اضعافها واما الندامة
فانها تحبط العمل فى قول بعضهم جميعا والعجب يذهب اضعاف
العمل والحسرة وخوف الملامة والتهاون تخفف الاعمال فتذهب
رزانته فصل اعلم ان هذه القوادح المتقدمة من الرياء والعجب
واسبابهما قد اجتمعت فيهن ثلاثة امور الغبن الشديد والخطر
العظيم الاول ان الامر دقيق جدًا فان مجارى الرياء والعجب فى
الاعمال دقيقة خفية على الناقد البصير فى امر الدين فكيف للجاهل
الغافل النؤم ويحكى ان عطاء السلمى نسج ثوبا فحسنه جدا فعرضه
على البزاز فاسترخصه وقال ان فيها عيوبا كيت وكيت فاخذه عطاء
وجلس يبكى بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك فاعتذر اليه وجعل
يبذل له فى ثمنه ما يريد فقال عطاء ليس ذلك مما تظن انما انا
عامل فى هذه الصناعة وقد اجتهدت فى تحسين هذا الثوب
حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا
كنت غافلا عنها فكيف باعمالنا هذه اذا عرضت على الله غدا كم
يبدو فيها من العيوب والنقصان الذى نحن اليوم عنه غافلون
وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر فى غرفة لى ساعيًا
اقرا سورة طه فلما ان ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصًا نزل من
السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا
تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رايت
مكانها محوًا ولم ار تحتها شيئًا فقلت والله لقد قرات هذه الكلمة
ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قراتها

وكتبناها الا انا سمعنا مناديا من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها
فمحوناها فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا امر رجل فرفعت
بها صوتك لاجله فذهب ثوابها واما الغبن الشديد فان الرياء والعجب
افة تقع فى لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكى
ان رجلا اضاف سفيان الثورى واصحابه فقال لاصحابه هاتوا
الطبق الذى اتيت به فى الحجة الاولى بل الذى اتيت به فى الحجة الثانية
فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ووجه
اخر من الغبن ان اقل طاعة سلمت من هذا الرياء والعجب يكون لها
من الله تعالى ما لا قيمة لها ولا نهاية وعن على قال لا يقل عمل البتة
وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعى عن من عمل كذا وكذا ما ثوابه
قال اذا قبل لا يحصى ثوابه ولمثل هذا المعنى وقع نظر اولى الابصار
من العباد فى مثل هذه الدقائق فاهتموا بمعرفتها ثم رعايتها ثم
التحفظ عنها ولم تغنهم كثرة الاعمال فى الظاهر وقالوا الشان فى
الصفوة لا فى الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة *
واما الذين قل علمهم فى هذا الباب وقل نظرهم جهلوا المعانى
واغفلوا ما فى القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس
فى الركوع والسجود وغير ذلك ولم ينظروا ما فيهما من المخ والصفوة
وما يغنى عدد الجوز ولا لب فيها وما يغنى رفع السقوف ولم تحكم
مبانيها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون
والله تعالى نسئله الهداية واما الخطر العظيم فان عظمه من
وجوه احدها ما ملك لا نهاية لعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى
وبدن معيوب بعيوب جمة خفية وموف بافات كثيرة وامر مخوف
فان وقع ذلك مع تسارع النفس اليه فيحتاج ان يستخرج عملا صافيا

من بدن معيوب ونفس امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وكثرة اياديه ومننه ويقع موقع الرضى والقبول فيه فيفوتك الربح العظيم الذى لا تتسع النفس بفوته بل ربما تصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الله وعظمته فان الملائكة يتعبدون له بانواع العبادة الليل والنهار الى نفخة الصور فينادون باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك واما النعم فكما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روى انه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فقابلوا الحسنات بالنعم فلا يؤتى بحسنة الا اوتى بنعمة حتى تتم الحسنات وتبقى الذنوب والسيئات والامر المخوف ان العبد يعمل سبعين سنة غافلا عن عيوبه فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعبد اعواما فيفسد بساعة ولمحة واعظم خطرا من هذا كله ربما ينظر الله الى العبد يراءى بعمله وخدمته العباد دونه فيطرده طرد الامر دله والعياذ بالله تعالى ولما كان الامر في الدقة والصعوبة الى هذا الحد من الخطر نظر أولوا الابصار فخافوا على انفسهم حتى قال بعضهم ما ظهر من اعمالى لا اعده شيئا وقال الاخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وروى عن بعضهم انه كان يقول انى اعلم انى ما عملت من الطاعات غير مقبولة عند الله تعالى فقيل له في ذلك فاجاب انى اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا واعلم انى لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها قال ان يصلحنى الله تعالى يوما فتكون النفس متعودة لفعل الخير فلا احتاج ان اعودها ذلك من الراس فهذه احوال اهل المجاهدات وينشد

فانظر لنفسك صحبة مع غيرهم . وقع الاياس وخابت الامال

هيهات تدرك بالتوانى سادة ... كدوا النفوس وساعدوا الاقبال .

فاعتصم يا اخى بمولاك ذى العظمة والكمال والزم الباب بالتضرع * والابتهال والبكاء اثناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين ان وجدتهم من عباد الله الخاشعين فانه لانجاة من هذا الامر الا برحمته ولاسلامة من هذا البحر الا بعنايته فتنبه من رقدة الغافلين وجاهد نفسك فى هذه القنطرة المخوفة لعلك لاتهلك مع الهالكين فنسال الله تعالى ان يتغمدنا برحمته انه ارحم الراحمين فانه لاحول ولاقوة الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على نبينا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

القنطرة السادسة عشرة

قنطرة الحمد والشكر فعليك وفقك الله لطاعته بلزوم الحمد والشكر لله على اياديه ونعمته فان الشكر زيادة فى النعم وامان من الغير ودوام لايادى الله واحسانه اليك وقد امر الله تعالى به عباده فقال فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولاتكفرون وقال كلوا من طيبات مارزقناكم وقال كلوا مما رزقكم الله واشكروا لله فى امثالها من الايات ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين ابليس فى اكثر الخلق فقال ولاتجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقطع تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم وهو خلق من اخلاق الربوبية قال تعالى والله شكور حليم وجعله مفتاح كلام اهل الجنة فقال عنهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين وعن النبى عليه السلام قال المؤمن الذى يغلب الحلال

شكره وللحرام صبره وقال عليه السلام خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه شاكرا ولا صابرا من نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه وروى عنه انه قال لا تنظروا الى من فوقكم وانظروا الى من دونكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى عنه انه قال يحاسب ابن آدم يوم القيامة بكل نعمة انعمها الله عليه ويسال عن شكرها غير اربع خبز ياكله وماء قراح يشربه وثوب يوارى به عورته وبيت يسكن فيه من الحر والبرد فما اعطى فضلا عن هذا حوسب به وسئل عن شكره وعن ابن عباس في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال اما الظاهرة فالاسلام وما حسن من خلقك وافضل عليك في الرزق واما الباطنة فما ستر عليك من الذنوب والعيوب قال وسمع رجل رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة وقال سفيان لما جاء البشير يعقوب بيوسف عليه السلام قال على اى دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله الان تمت النعمة وروى عن كعب قال ما انعم الله على عبد في الدنيا نعمة فشكرها الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد نعمة فلم يشكرها الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له بها طبقا في النار وقال النبي عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وعن وهب بن منبه قال داود يارب ابن آدم ليس منه شعرة الا تحتها وفوقها منك نعمة فمن اين يكافئها بما اعطيته فاوحى الله اليه يا داود انى اعطى الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمنى وعن النبي

صلى الله عليه وسلم قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فيقومون
زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين
يشكرون الله على كل حال وفى لفظ آخر على السراء والضراء وقال الحمد
رداء الرحمن ويقال ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انى
رضيت بالشكر مكافاة من اوليائى فى كلام طويل واوحى الله اليه
فى صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر
وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم ويروى انه لما نزل فى الكنوز
ما نزل قال عمر رضى الله عنه فاى المال نتخذ قال النبى عليه السلام
ليتخذن احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر به بدلا من المال وقال
ابن مسعود الشكر نصف الايمان وقال عمر بن عبد العزيز تذاكروا النعم
فان ذكرها شكر وكان مطرف بن عبد الله يقول الهى منك تكون النعمة
وعليك تمامها وانت تمين على شكرها وعليك ثوابها وقال بعضهم الشكر
قيد النعمة ومفتاح المزيد وثمن الجنة وقيل موضع الشكر من النعمة
موضع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان عدمه لم يقم وقال
بعضهم اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعمة اذا
كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان شكر زيادة من المنعم وامان من
الفقر ويروى ان داود عليه السلام بينما هو فى محرابه اذ مرت به دودة
فتفكر فى خلقها فقال ما يعبأ الله عز وجل بخلق هذه فانطقها الله -
فقالت يا داود اتعجبك نفسك لانا على قدر ما آتانى الله عز وجل اذكر
لله واشكر له منك ويروى عن الحسن بن على انه التزم الركن فقال الهى
نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا انت سلبت النعمة
بترك الشكر ولا انت ادمت الشدة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم
الا الكرم ولا من الجافى الا الجفا وعن على قال لا تكن ممن يعجز عن شكر ما اوتى

ويبتغى الزيادة فيما بقى ينهى ولاينتهى ويامر الناس بما لاياتى يحب الصالحين ولايعمل باعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ولا يدعها فى طول حياته وقال حاتم الاصم يصبح الناس كل يوم على ثلاث فرق فرقة طردوا من باب الخالق وفرقة طردوا من خدمته ولم يطردوا عن بابه وفرقة اكرموا بخدمته فالواجب على الشاكرين ان يقولوا الحمد لله الذى لم يجعلنا من المطرودين من بابه وهم الكفار ولا من المطرودين من خدمته وهم الفساق وجعلنا من المكرمين بخدمته وهم اهل الشتا وقال سفيان قال لى جعفر بن محمد اذا جاءك ما تحب فاكثر الحمد واذا جاءك ما تكره فاكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله واذا استبطات الرزق فاكثر من الاستغفار قال سفيان فانتفعت بهذه الموعظة

فصل فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما فاعلم انه ذكر الغزالى فى كتابه فقال ان العلماء فرقوا بينهما عند التحصيل فان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعى الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعى الباطنة ولان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم وصدق قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام ليبلونى ءاشكر ام اكفر وقال القائل فى الحمد وضده

واعلم بان الضيف يرحل سوف يحمد او يلوم

قال ولان الحمد اعم والشكر اخص فثبت انهما معنيان متميزان قال ثم ان الحمد الثناء على احد بالفعل الحسن قال واما الشكر فتكلموا فى معناه فعن ابن عباس قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق فى السر والعلانية وقال بعضهم فى تفسير قول الله تعالى اعملوا ال داود شكرا قال الصلاة شكر وكل عمل يعمل لله فهو شكر والصوم شكر وافضل الشكر الحمد وقال بعضهم الشكر الاحتراس عن اختيار

معاصي الله تحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله بشيء من هذه الثلاثة بوجه من هذه الوجوه قال والتحصيل ان الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه قال وذلك بتذكر احسانه وحسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قال ان اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته الا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه قال فعلى العبد اذا من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه قال ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعم ولا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق

فصل اعلم ان الشكر لله على النعمة من الله تعالى لا يقدر عليه لا كما اذا تحقق ذلك لان الشكر على النعم انما يكون بتوفيق الله تعالى فالتوفيق نعمة اخرى يستحق به الله تعالى عليه الشكر فيتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له كما قال الحسن يا ابن ادم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو اعظم منها وانشدوا

اذا كان شكري نعمة الله نعمة . علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بمنه . وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها . وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة . تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وفي مثل هذا قال داود يا رب فكيف اشكرك وانت الذي تنعم علي ثم رزقتني على النعمة الشكر النعمة منك والشكر منك فكيف اطيق شكرك فاوحى الله اليه الان عرفتني حق معرفتي وشكرتني وفي مثل هذا روى

عن موسى عليه السلام قال يارب كيف استطاع ادم ان يؤدى شكر ماصنعت اليه خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فقال ياموسى علم ان ذلك مني فحمدني عليه فكان ذلك شكر ماصنعت وانشد لابى العتاهية

احمد الله وهو المهنى لحمد . على الحمد والمزيد لديه .
كم زمان بكيت فيه فلما . صرت فى غيره بكيت عليه .

ولمحمد بن حازم

الله احمد شاكرا . فبلاؤه حسن جميل
اصبحت مسرورا معا . فا بين انعمه اجول .
خلوا من الاحزا . زخف الظهر تقنعنى القليل .
حرا فلا من لمخلوق على ولا سبيل

وينشد للبيد

ان تقوى ربنا خير نفل . وباذن الله ريثى وعجل
احمد الله فلا ند له . بيديه الخير ماشاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى . ناعم البال ومن شاء اضل

ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان يقول الحمد لله الذى من نطق سمع نطقه ومن صمت علم ما نفسه ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه مصيره انا الفقير الذى اغنيت والجائع الذى اشبعت والعارى الذى كسوت والراجل الذى حملت والخائف الذى امنت الحمد لله رب العالمين اللهم انك خلقتنى كيف شئت فارحمنى كيف شئت ووفقنى لطاعتك حتى تكون ثقتى كلها بك وخوفى كله منك وسرعتى كلها اليك اللهم حبب الى الخير كحبى له يوم ارى ثوابه وابغض الى الشر كبغضى له يوم ارى عقابه فان القوم الذين رحمتهم كانت رحمتك لهم قبل طاعتهم لك وقد قلت رحمتى وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك ياارحم الراحمين ويروى ان دانيال عليه السلام لما جاءه ارميا عليه السلام

وهو في سجن بخت نصر قال دانيال من ارسلك الي قال الله تعالى قال
دانيال اوقد ذكرني قال نعم قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله
الذي لا يخيب من رجاه والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره
والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا والحمد لله الذي يجزي بالصبر
نجاة والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو
ثقتنا عند سوء الظن باعمالنا والحمد لله الذي هو رجاءنا حين
ينقطع الرجاء **فصل** اعلم ان الشكر يستفيد به الشاكر خصلتين
احدهما دوام النعمة لان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
فالشكر قيد النعمة به تدوم وبتركه تزول قال النبي عليه السلام ان
للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر وقال عز وجل فكفرت
بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الاية وقال ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم والخصلة الثانية حصول الزيادة قال الله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال والذين اهتدوا زادهم هدى وقال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية والسيد الحكيم اذا راى
العبد قد قام بحق نعمة انعم عليه اخرى ويراه اهلا لها والا قطع ذلك
عنه ثم النعم قسمان دنيويه ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة
دفع فنعمة النفع هي ما اعطاك الله من المصالح والمنافع وهي نوعان
الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها واللاذ الشهية من المطعم والمشرب
والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك
المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان سلمك من نوب
زمانتها وسائر افاتها والثاني دفع ما يلحقك من ضر انواع العلائق
ويقصدك بسوء من انس او جن وسباع وهوام ونحوها واما
النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق للاسلام والسنة والطاعة

والثانى نعمة العصمة من الشرك والكفر والبدعة والضلالة وسائر المعاصى وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العليم الذى انعم عليك بها كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم كلها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك فكلها متعلق بشىء واحد وهو الشكر والحمد لله فالخصلة التى تكون لها هذه القيمة ويكون لها كل هذه الفائدة لحقيق ان يتمسك بها فانه جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله ولى التوفيق بفضله فصــل فان قيل فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه هو النعم الدينية والدنيوية على اقدارهما واما الشدائد والمصائب فى الدنيا فى نفس او اهل او مال فتكلمت العلماء فى ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد عليها من حيث هى وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فانما هو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفى جنبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقرونة بها دون نفس الشدة وتلك النعم هو ما قاله ابن عمر ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علىّ فيها اربع نعم اذ لم تكن فى دينى واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى واذ رجوت الثواب عليها وقيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة * وانها من الله تعالى وان كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة قال وقال آخرون وهو الاولى ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لانها نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض للعبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة تتلاشى فى جنبها مشقة هذه الشدائد واى نعمة تكون اكبر من هذه ومثال ذلك كمن يسقيك دواء مراكريها او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة فيؤدى ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن

وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة
نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورته مكروها ينفر منه
الطبع وتستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك ذلك بل تحسن
اليه ما امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد الا ترى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدائد كشكره على المسار حيث قال
الحمد لله على ما ساء وسر وقد قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وقال فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله
خيرا كثيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك والله اعلم **فصل** فان قلت
فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله
تعالى وقليل من عبادي الشكور فجعلهم اخص الخواص وقال في نوح
عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم عليه السلام شاكرا
لانعمه ولانه في منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب
الي من ان ابتلى فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون
اعظم ثوابا وارفع منزلة وقال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال والله يحب الصابرين قال
الغزالي الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون
الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة
ولا يجزع والصابر لا يخلو من نعمة كما ذكرنا في الشدائد انها نعم على الحقيقة
على ما تقدم فانه شكر على الحقيقة اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع
تعظيما لله تعالى وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع من العصيان
ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فيصبر على المعصية وحمل على نفسه
الشكر والطاعة فصار بصبره على الطاعة صابرا على الحقيقة والصابر
عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على الصبر فقد

شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكرون وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابرون فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا وبالله التوفيق

فصل فعليك يا اخي ببذل المجهود في قطع هذه القنطرة اليسيرة المؤنة الكبيرة القدر العظيمة النافع وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى لمن يعرف قدرها وذلك هو الشاكر لها دليل ذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار والرد عليهم حين قالوا للمؤمنين على طريق الانكار والاستهزاء ما بال هؤلاء الفقراء من العبيد والاحرار اعطوا نعمة الاسلام بزعمهم دوننا وذلك قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين ظنوا انما يعطي النعمة العظيمة اكثرهم مالا واعظمهم حسبا ونسبا فاجابهم الله تعالى بما تقدم وتقدير الكلام ان السيد الكريم انما يعطي نعمته لمن عرف قدرها وهو الذي اقبل بنفسه وقلبه على مراعاتها ولا يعبا بالمشقة في تحصيلها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء هم القائمون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم ولا اجاهكم فانتم تظنون النعمة انما هي الدنيا وحطامها وعلو الاحساب والانساب لا الدين والحق معرفته وانما تعظمون ما ذكرنا من الاموال والانساب اولا ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين الا بمنة على من اتاكم به وذلك لاستحقاركم اياه وان هؤلاء الضعفاء قبلوه وبذلوا مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم من الدنيا ولا

بمن عاداهم لمعرفتهم بقدر هذه النعمة نعمة الدين ورسوخ
تعظيمها فى قلوبهم فاستغرقوا العمر فى اداء شكرها فلذلك
استخدموا نعمة الدين فى سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم
فهذه هذه قال الغزالى وكذلك كل من خص بعلم او عبادة
فانك تجده اعرف الناس بقدر ذلك واشدهم تعظيما له
واجدهم فى تحصيله واقومهم بشكره والمحروم ذلك انما حرمه
لقلة تعظيمه لحقه بعد القضاء السابق قال فلو كان تعظيم
العلم والعبادة فى قلوب السوقة والعامة مثل ما فى قلوب
العلماء والمتعبدين لما اثروا سوقهم عليهما الاترى ان فقيها
اذا ظفر بتعليم مسئلة كانت عليه ملتبسة كيف يرتاح قلبه
ويعظم سروره بها حتى ربما لو وجد الف الف دينار لما كان
يعدل ذلك ثم ربما تبين مثل هذه المسئلة لسوقى او متعلم
كسلان يرى انه مثل ذلك الفقيه فى الرغبة فى العلم فلا يستمع
اليها حق الاستماع وربما طال عليه الكلام فيها فيملها وان
تبين له ذلك فلا يعده له بكبير امر قال وكذلك المتبتل الى الله
تعالى كم يتضرع اليه عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفوة
وحلاوة فاذا ظفر بها عد ذلك اكبر منة ونعمة فكم يسر بذلك
ويفرح ويشكر الله تعالى عليه ثم ترى الذى يزعم انه راغب
فى العبادة لا تسمح نفسه بترك نوم ليلة او ترك كلمة لا تعنيه
فى تحصيل مثل تلك العبادة وان اتفق له فى النادر حصول
عبادة فى صفوة فلا يعدها كبيرة فى نفسه ولا يعظم شكر
الله عليها انما يعظم سروره ويكثر فى الظاهر حمده اذا حصل
درهما او كسرة او طابت له مرقة او صحة بدن فيقول الحمد لله

فانی یساوی هؤلاء العاجزون باؤلئك المجدين الفائزين وكذلك قسم الامر احكم الحاكين وهو اعلم بالعالمين فهذا تفصيل قول الله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهمه وارع حقه وابذل المجهود في حق تعظيم هذه النعمة ليمن الله عليك في دوامها كما من عليك باعطائها اولا وبالله التوفيق الاصل الثانى ان النعمة انما يسلبها الكفور الذى لا يعرف قدرها ولا يؤدى شكرها وذلك قوله تعالى واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية ثم قال ولو شئنا لرفعناه بها الى اخر الاية تقدير الكلام انما انعمنا على هذا العبد بالنعم العظيمة في باب الدين بما مكناه من الرتبة الكبيرة ليكون رفيع القدر عندنا ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الحقيرة فاثر شهوة نفسه الردية ولم يعلم ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة في ادنى نعمة من نعم الدين فكان في ذلك بمنزلة الكلب الذى لا يعرف الشرف والاكرام من الاهانة والاحتقار انما الكرامة عنده في كسرة ياكلها او عظم يرمى له يتعرقه سواء عنده تقعده معك على السرير او تقيمه على التراب والقذر بين يديك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر كرامتنا فاثر عليها لذة خسيسة ودنيا حقيرة نظرنا اليه بالعدل والسياسة فسلبناه كرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ غاويا من جميع فضلنا فصار كلبا طريدا فنعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤف رحيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبد اله فيخلع عليه خاصة ثيابه ويجعله فوق جميع حجابه فامره بملازمة بابه ثم امران تبنى له القصور وتوضع له الاسرة وتنصب له الموائد وتزين له الجوارى وتقام له الغلمان في بلدة اخرى حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين خدمته وذلك الملك الا ساعة من نهار او اقل فان انصرف هذا العبد

عن باب الملك يتبع سائسا للدواب لياكل رغيفا اوكلبا يمضغ عظما
واشتغل به عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولايلتفت الى
ما اعدله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس لياكل رغيفا معه
اويزاحم الكلب على عظمه اليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول
ان هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا وقربنا مع ما اعددناله من النفائس
ما هذا الا ساقط عظيم الجهل قليل التميز اسلبوه الخلع واطردوه عن
بابنا فهذا مثال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذ اتبع الهوى بعد
ما اكرمه الله بعبادته ومعرفة اياته وشريعته ثم لم يعرف قدر ذلك
واثر عليه احقر الاشياء عند الله وكذلك من خصه الله تعالى بانواع
توفيقه وعصمته وزينه بانوار خدمته ويديم النظر اليه بالرحمة فى
اكثر اوقاته ويباهى به ملائكته وانزله منزلة الاعزة حتى صار بحيث لو
دعاه لاجابه ولوشفع فى العالم لشفعه فيهم وارضاه ولوخطر بباله
شئ لاعطاه قبل ان يساله فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعم
فعدل عنها الى شهوة نفس ردية اولعقة من دنياه دنية مع ما اعدالله له
فى الاخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما اسوأه من عبد وما افحش
صنعه فنسال الله تعالى ان يصلحنا بنعمة رحمته انه ارحم الراحمين
فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر النعمة فاذا انعم الله
عليك بنعمة الدين فالتفتّ الى الدنيا فذلك منك تهاون بما اولاك الله من
نعم الدين اما تسمع قوله لسيد المرسلين ولقد أتيناك سبعا من المثانى
والقران العظيم لاتمدن عينيك الاية تقديره ان كل من أوتى القران العظيم
حق له ان لاينظر الى الدنيا فضلا عن ان يرغب فيها فيلزم الشكر على ما اعطى
فانه الكرامة التى حرص عليها النبى عليه السلام ان يمن الله بها على عمه فلم
يفعل وحرص عليها الخليل عليه السلام ان يمن بها على ابيه فلم يفعل واما

حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وفاسق
ويصرفه عن كل نبيء وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله
عليه حتى انهم لايكادون يصيبون كسرة ولاخرقة يمن عليهم بان لايحطهم
بقدرها وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى قوله
والاخرة عند ربك للمتقين فانظر الفرق بين الامرين وقل الحمد لله الذي
من علي بمن اولياءه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه ولتخص بالحمد
والشكر الاوفر النعمة العظمى التي هي نعمة الاسلام خصوصا وسائر النعم
عموما فان كنت لم تعرف قدرها فاعلم يقينا انك لو خلقت من اول الدنيا
واخذت في شكر الاسلام الى الابد لما كنت تقوم بذلك اما تسمع قوله
لنبيه عليه السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال لقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال عليه السلام
وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال انك لتحمد الله على
نعمة عظيمة واياك ان تغفل الشكر وتغتر بما انت عليه من الاسلام والعز
والتوفيق فان ذلك موضع الامن منك والغفلة فان الامور بالعواقب
ويقال ما امن احد امن على دينه الا سلب ويقال لا تغتر بصفاء الاوقات
فان تحتها غوامض الافات وينشـــد

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت . ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها . وعند صفو الليالي يحدث الكدر

والله نسأله التوفيق والعون والهداية والطول انه ارحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين
والحمد لله رب العالمين بســـم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وســـلم تسليما

القـــنطرة السابعة عشرة

قنطرة الاجتهاد مخافة سوء الخاتمة وذكر الموت والقبر وما بعد
ذلك من امور القيامة اعلم ان هذه القنطرة تحتوى على جملتين
كل واحدة منهما تشتمل على فصول الجملة الاولى في الاجتهاد
والمراقبة والثانية في ذكر الموت وما بعده من اهوال يوم القيامة
الجملة الاولى في الاجتهاد والمراقبة قال الله تعالى وجاهدوا في الله
حق جهاده وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله الاية وقال يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
وقال فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب
فترى المجرمين الى قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فعرف
اولوا الالباب والابصار ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيحاسبون
على القليل والكثير والنقير والفتيل والقطمير من الحركات والسكون
واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم الا لزوم الاجتهاد والمجاهدات
وصدق المراقبات ومطالبة النفس في الانفاس والخطرات ومحاسبتها
عند هواجس الفكرات عما صدر منها من السكنات والحركات فمن حاسب
نفسه قبل ان يحاسب خف في يوم القيامة حسابه وحسن منقلبه
ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وقادته الى الخزى سيآته
فلما انكشفت لهم هذه الحالة علموا انهم لا ينجيهم الا الطاعة لله لا محالة
وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا الاية فربطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة لها ثانيا
ثم بالمحاسبة لها ثالثا ثم بالمعاقبة رابعا ثم بالمجاهدة خامسا ثم بالمعاتبة

سادسا فكانت لهم في المرابطة ست مقامات فلنشرحها في ستة فصول
الفصل الاول في المشارطة وهذا تشبيه بمشارطة الشريك
لصاحبه في التجارة يشارطه اولا ثم يراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه رابعا ويقاسمه الربح خامسا فتجارة الاخرة يشترك فيها العقل
والنفس فمطلب العقل تزكية النفس اذ به فلاحها قال الله تعالى قد
افلح من زكاها الاية فيحتاج العقل ان يشارط النفس اولا ويرتب
عليها وظائف العبادات ويشترط عليها شروطا ويرشدها الى طريق
فلاحها ثم لا يغفل عن مراقبتها لانها امارة بالسوء في جميع اخلاقها
ثم بعد فراغها يحاسبها ويطالبها بالوفاء لما اشترط عليها وهذه التجارة
ربحها النجاة من العذاب الاليم ودخول الجنة في النعيم المقيم فتحتم على
كل ذي حزم ولب امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن النفس في
جميع حركاتها وسكناتها ويضيق عليها في لحظاتها وخطراتها فان كل
نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشتري بها
كنزا في الجنة لا ثمن له فيها فاذا صلى الصبح فينبغي ان يفرغ قلبه ساعة
لمشارطة النفس بان يقول يا نفسي ما لي بضاعة الا العمر فمهما ضيعته
ضاع راس المال وهذا اليوم جديد قد امهلني الله فيه ولو توفاني
لتمنيت ان يرجعني الى الدنيا لعلي اعمل صالحا وهب انك توفيت ثم
ارجعت فاياك ان تضيعي هذا اليوم والليلة فان كل ساعة منها
جوهرة لا قيمة لها فقد ورد انه ينشر للعبد في كل يوم وليلة اربعة
وعشرون خزانة مصفوفة يفتح له منها خزانة مملوءة نورا من حسناته
التي عملها فيها فيناله من الفرح والسرور ما لو فرق على اهل النار لادهشهم
عن الم النار ثم يفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة فيفوح نتنها ويغشاه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الفزع ما لو قسم

على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ثم تفتح له خزانة فارغة ليس فيها ما يسر ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام او غفل او اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها تحسر العاجز على الربح الكثير والملك الكبير حتى فاته وناهيك به خسارة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي في تعمير خزائنا وقاتك بكنوزها التي هي اسباب ملكك وهب انه قد عفا عنك اليس قد فاتك ثواب المحسنين فهذه وظيفة نفسه في اوقاتها ثم يستانف اخرى في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها رعية خادمة للنفس وبها تتم اعمال هذه التجارة اما العين فحفظها عن النظر الى عورة بالغ او محاسن امرأة محرمة او نظر الى مسلم بعين الاحتقار بل يحفظها عن كل فضول مستغنى عنها اذ يسأل العبد عن فضول النظر كما يُسئل عن فضول الكلام ثم يستعملها في النظر الى عجائب الملكوت وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام وكتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا في كل عضو ولا سيما اللسان والفرج والبطن وأما اللسان فخفيف المؤنة في النطق عظيم الجناية وهل يكب الناس في النار الا حصائد السنتهم فليحفظه عن محرمات الكلام من الكذب والغيبة والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق وغيرها من المحرمات فيه والفضول التي لا تعنيه وليشغله بالذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد العباد الى الصلاح والامر والنهي والاصلاح بين الناس وغير ذلك من انواع الخيرات وليشترط على نفسه الا يحرك اللسان طول النهار الا بالخيرات وما يعنيه من المباحات اذ المؤمن نطقه ذكر وصمته فكر ونظره عبرة وأما الفرج فيستعين على حفظه بغض البصر واسبال الثوب عليه وكسر شهوته بالصوم والتباعد عن مظنات التهم وأما

البطن فيشترط عليه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال وترك الشبهات
والحرام فان خالف شيئا من ذلك عاقبه بالمنع عن شهوات البطن وهكذا
سائر الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء
ثم يستانف عليها وصيتها وشروطها كل يوم وليلة فان النفس بطبعها
متمردة وعن الطاعة نافرة ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكرها
فان الذكرى تنفع المؤمنين وهذه مشارطة النفس في اول امرها

الفصل الثاني في المراقبة

فان الانسان اذا اوصى نفسه وشرط عليها ما ذكرناه ثم لا تبقى له الا
مراقبتها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة في جميع
الاحوال فانها ان تركت مهملة غطت متمردة فلنذكر اولا لمعا من
فضيلة المراقبة قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وسئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال بعض
العلماء افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة ثم
المراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال بعضهم اذا جلست الى الناس فكن
واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون
ظاهرك والله رقيب على باطنك ويحكى ان تلميذ الشيخ الشابع فكان
يكرمه ويقدمه على شيوخ اصحابه فقيل له في ذلك فدعا بعدة طيور
فناول كل واحد منهم طيرا فقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع
لا يراه احد فدفع الى التلميذ الشاب كذلك فرجع كل واحد منهم بطيره
مذبوحا الا التلميذ رجع والطير في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح
اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد ان الله في كل مكان
فاستحسنوا مراقبته وقالوا احق له ان تكرم وينشد

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفي عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب

وقال سفيان عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه وذلك اذا غلب على القلب علم بيقين لا شك فيه كالعلم بالموت وامور الآخرة ومعرفة عظم الرب تعالى وجلاله والمراقبون بهذه المعرفة هم الصديقون من المقربين واصحاب اليمين فمراقبة الصديقين بالتعظيم والاجلال لله تعالى وذلك اذا استولى على القلب حب الله تعالى وعظمته فابصر حينئذ الدنيا خيالا والآخرة مثالا فصار همه واحدا فكفاه الله سائر الهموم وصاحب هذه الحالة ربما يشتغل عن الخلق حتى لا يبصر من حضر معه ولا يسمع ما يقال له وهذا لا يستبعد لانه قد يعرض لخدام الملوك المعظمة في الدنيا فلا يعرف احدهم ما يجري في مجلس الملك لشدة استغراق قلبه في خوف الملك هيبة وخجلا لا بل قد يعرض لرجل مهم حقير فيتفكر فيه وهو يمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وقد روي ان يحيى ابن زكريا عليهما السلام مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيها متسع لغير ذلك وأما مراقبة اهل الورع من اصحاب اليمين فهي مراقبة قوم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يتقدمون ولا يتأخرون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به يوم القيامة فانهم يرون ان الله تعالى مطلع عليهم ويعرف الفرق بين مراقبة اهل التعظيم والاجلال لله تعالى

وبين مراقبة اهل الحياء منه بالمشاهدة فانك في خلوتك قد تعاطى
امما الا فيحضرك صبي فتعلم انه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك
وتراعي احوالك لا عن اجلال للصبي وتعظيمه بل حياء منه ويدخل عليك
بعض الملوك او الاكابر فتترك ما انت فيه حياء منه وتعظيما له وهكذا
تختلف مراتب العبادة فمن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراعي جميع
حركاته ولحظاته بل جميع خطراته فينظر قبل العمل الى ما تحرك به عقله
وخاطره اهو لله خاصة او للنفس ومتابعة الشيطان فيتوقف ويتثبت
حتى يتبين له الحق فان كان لله سبحانه امضاه وان كان لغير الله فيستحي
ويكف وهذا التوقف في بدء الامر واجب محتوم فان في الخبر تنشر للانسان
في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم والثاني كيف
والثالث لمن ومعناه لم فعلت هذا كان لك ان تفعله لمولاك او ملت
اليه لشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه
سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله عليك في
كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له
كيف فعلت بعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان
الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن فعلت الوجه الله تعالى
خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله ام لمراءات
خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك وقد وفيناك
نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو وغفلة فقد سقط اجرك وبطل
عملك وخاب سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت عقابي ومقتي
اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ويحك اما سمعتني اقول
الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات

والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب
صوابا فلا يبدئ ولا يعيد ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التثبت
والتامل وقد قال النبي عليه السلام لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل
عينيه وعن فت الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه فهذا هو النظر
الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية
باسرار الاعمال واعوان النفس ومكائد الشيطان والا فلا يسلم بل الاكثرون
يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ولا تحسب ان الجاهل فيما يقدر على تعلمه يعذر بجهله هيهات طلب
العلم فريضة على كل محتلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف
ركعة من غير عالم لانه يعرف ما ذكرناه من افات الاعمال فيتقيها والجاهل
لا يعرفها فكيف يحترز منها بل لا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه
في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة
فالواجب على العبد ان يستضئ بنور الدين في كل خطرة ونازلة نزلت
به فان لم يعرفها فليسئل علماء الدين المقبلين على الاخرة وليفر من علماء
السوء المقبلين على الدنيا فراره من الاسد بل اشد فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا محجوبة عن الله تعالى فان مستقر انوار القلوب حضرة
الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على الدنيا والتكالب
فيها وقد قال عليه السلام من قارف ذنبا فارق عقلا لا يعود اليه
ابدا وحب الدنيا راس كل خطيئة وقد قال عليه السلام ان الله يحب
البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات
ومعرفة افات الاعمال قد اندرست من قديم الزمان فكيف هذه
الاعصار فان الناس قد هجروا هذا العلم قديما واشتغلوا بفقه
طلب المعاش وعلم فصول الخصومات والمسائل الطبوليات واما

اليوم فقد هجر واجيمها فاصبحوا فى ظلمة يعمهون فى اعمال الدنيا والدين
والحمد لله رب العالمين النظر الثانى للمراقبة عند الشروع فى العمل
وذلك ان يتفقد حسن النية له وكيفية ادائه على اكمل ما امكنه وهذا لازم
له فى جميع احواله فانه لا يخلو فيها من حركة وسكون فاذا راقب الله فى جميع
ذلك قدر على عبادته فيه بالنية وحسن الفعل وذلك انه لا يخلو اما ان
يكون فى طاعة فيراقبها بالاخلاص ومراعاة الادب وحراستها عن الافات
واما فى معصية فيراقبها بالتوبة والندم والاشتغال بالفكر والحياء
منها واما فى مباح فيراقبه بمراعاة الادب وشكر المنعم على نعمته فيها اذ
وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة
مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت وساعة مستقبلة لا يدرك
ايدركها ام لا والساعة التى هو فيها فيجاهد نفسه وليراقب ربه قبل
انقضائها فان عاش الى الساعة المستقبلة لم يتعسر على التى جاهد فيها
وليستوف حق الثانية كما استوفى حق الاولى ولا يطول عمره خمسين
سنة فتطول عليه المجاهدة والمراقبة بل يكون ابن وقته ولعله فى
اخر انفاسه فيدركه الموت على حالة مرضية ولتكن جميع احواله مقصورة
على ما روى من حكم داود النبى عليه السلام وعلى العاقل ان تكون له
اربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها المطعم والمشرب فان فى
هذه الساعة عونا له على الساعات ولا ينبغى ان يغفل فيها ايضا عن
افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله فيه من
العجائب ما لو تفكر فيه كان افضل من كثير اعمال الجوارح فان الناس
فيه على اربعة اقسام قسم ينظرون فيه بعين البصيرة فيتفكرون فى
عجائب صنعه وهم ذووا الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت

والكراهة فيتناولون مضطرين يودون ان لوكانوا فيه بالشهوة
مقهورين وهم الزاهدون وقسم يرونه صنعة للصانع ويترقون منه
الى صفات الخالق فينفتح لهم بسببه زيادة في محبته وهم العلماء
بالله المحبون له وقسم رابع ينظرون اليه بعين الحرص والرغبة فيتاسفون
على مافاتهم منه ويفرحون بما حضر من جملته ويذمون منه ما لا
يوافق طباعهم ويعيبون الطبخ وطابخه ولايعلمون ان الفاعل للطبخ
والطباخ هو الله تعالى المسخر للجميع بقدرته وعلمه وان من عاب
الصنعة فقد عاب الصانع فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال
على الدوام وشرح ذلك يطول

الفصل الثالث

في محاسبة النفس بعد العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على مامضى
من الاعمال وقال ميمون بن مهران لايكون العبد من المتقين حتى
يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان
بعد العمل وكان عمر يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول
لنفسه ماذا عملت اليوم وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه
يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا
ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجاه الشيء فيعجبه فيقول والله
انك لتعجبني وانك من حاجتي ولكن هيهات حيل بينك وبيني وهذا
حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع على نفسه فيقول
ما اردت بهذا او ... لا اعود الى هذا ان شاء الله فحقيقة *
المحاسبة ان ... ان يكون للعبد في ... ان التاجر ...
فليطالبها ... جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل ... الدنيا
في اخر كل سنة ... ويكفي ... اما قل نفسه ... يتعلق به

السعادة او الشقاوة ابد الاباد ماهذه المساهلة الاعن الغفلة
والخذلان فنعوذ بالله منها ومعنى المحاسبة للشريك ان ينظر في
راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فما
كان من فضل استوفاه وما كان من نقصان طالبه بضمانه في المستقبل
فكذا العبد راس ماله من دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل
وخسرانه المعاصي ومؤنته هذه التجارة ومعاملة النفس الامارة
بالسوء فليحاسبها على الفرائض فان ادتها على وجهها شكر الله على
ذلك ورغبها في مثله وان اهملت شيئا طالبها بالقضاء وان ادتها
ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية عاقبها وعاتبها
ويستوفي منها ما يكفرها به وينبغي ان يفتش عن اعماله طول نهاره
بل عن خواطره وافكاره واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه
لم سكت اولم تكلم فاذا عرف مجموع الواجب على النفس فليكتبه على
صحيفة قلبه وليطالبها بالغرامة والضمان ولا يمكن شيء من ذلك
الا بعد تحقيق الحساب ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما
يوما في جميع اعضائه الظاهرة والباطنة كما نقل عن بعض السلف
انه حاسب نفسه يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا
هي احد وعشرون الف يوم وخمس مائة يوم فصرخ فقال يا ويلتي
القى الملك باحد وعشرين الف ذنب وخمس مائة ذنب كيف
وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قائلا يقول يا لها ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي
لك ان تحاسب على معاصي القلب والجوارح كل ساعة ولو رمى
العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت في مدة قريبة ولكنه
يتساهل في المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

لم ينسه الملكان حين نسيته • بل اثبتاه وانت لاه تلعب

الفصل الرابع في معاقبة النفس على تقصيرها

وذلك مهما حاسب نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية او ارتكاب تقصير في حق الله تعالى فينبغي الا يهملها لانه ان فعل عسر عليه بعد ذلك فطامها عن المعاصي فتهلك مع الهالكين ولكن ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل مثلا لقمة بشهوة نفس فليعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى محرم فينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك كل عضو من اعضائه فينبغي ان يعاقبه بمنع شهوته هكذا كانت عادة .. الكي طريق الاخرة وقد روى ان رجلا من العباد طلب امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى يبست وحكى انه كان في بني اسرائيل رجل متعبد في صومعته وانه اشرف ذات يوم فافتتن بامراة فاخرج رجله لينزل اليها فتداركه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها متعلقة من الصومعة حتى تقطعت بالرياح والشمس والامطار فشكر الله ذلك له وانزل الله ذكره في بعض الكتب ذكر هذه الحكاية الغزالي في كتابه ولعل هذا جائز في شريعة بني اسرائيل الا ترى انه قيل اذا عمل احدهم ذنبا اصبح مكتوبا على بابه اخرج منه كذا وكذا اما قطع بعض اطرافه وغير ذلك والله اعلم وقد قال لاصحاب العجل اقتلوا انفسكم الاية وقد روى ان ابا عمرو ابن نجيد رحمه الله تعالى انه نظر الى امراة مكشوفة الراس فصام سنة وروى ان بعض اصحاب النبي عليه السلام تصدق بحائطه لما شغل قلبه في الصلاة والله تعالى اعلم

الفصل الخامس في المجاهدة وهذا اذا حاسبها فرآها قارفت معصية فعاقبها بما ذكرناه ثم اذا رآها تتكاسل عن الفضائل فينبغي ان يثقل عليها اوراد العبادة تاديبا لها وتداركا لتفريطها هكذا يعمل عمال الله تعالى وقد روى ان عمر رضي الله عنه فاتته صلاة العصر في جماعة فتصدق بارض له قيمتها مائة الف درهم وكان ابن عمر فيما بلغنا اذا فاتته صلاة في جماعة احيى تلك الليلة ويقال انه اخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفاتت بعضهم ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مؤاخذة للنفس بما فيه من نجاتها فان قيل ان نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد فما علاجها قيل اسمعها ما ورد من اخبار المجتهدين او اطلب صحبة عبد مجتهد في العبادة فتقتدى به وكان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى اجتهاد محمد بن واسع فعملت عليه اسبوعا ولكن هذا من الناس اليوم معدوم فينبغي ان يعدل الى سماع اخبار المجتهدين من الاولين وما كانوا فيه من الجهد الشديد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرض قال الحسن اجهدتهم العبادة وادركت ناسا او قال اقواما وتعجبت طوائف منهم ماكانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر وانها كانت في اعينهم اهون من هذا التراب ان كان احدهم يعيش عمره ما فرش لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام [illegible] اطرافهم يفترشون وجوههم

تجرى دموعهم على خدودهم ينادون ربهم فى فكاك رقابهم اذا عملوا
الحسنة فرحوا بها وداْبوا فى شكرها وسالوا الله ان يقبلها واذا عملوا
السيئة احزنتهم فسالوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا
كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة
ويحكى ان قوما قدموا على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه
فاذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذى بلغ فيك
ما ارى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة
فصغرت عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى حجرها
وذهبها فكانى انظر الى عرش ربى والناس يساقون الى الجنة
والنار فاظمات لذلك نهارى واسهرت ليلى وقليل حقير كل
ما انا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه ويقال كان داود الطائى
يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له فى ذلك فقال بين مضغ
الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين اية وسال الفاسق بن زياد
خادما لعروة بن جدير رحمه الله بعد ما قتل عروة عن حاله
فقال اجمل ام افسر قال بل اجمل قال ما صنعت له طعاما
نهارا قط ولا فرشت له فراشا بليل قط فقال الفاسق لعنه قتلناه صالحا
وكان ابو بلال رحمه الله يقول فيما بلغنا حين اراد الخروج
الى الشراء لو ان لى نفسين نفسا تقاتل فى سبيل الله ونفسا
تقضى حوائج المسلمين وكان فيما بلغنا يقول انى لا احفظ
ما تكلمت به حتى امسى مخافة ان اخطئ وكان عبد الله
ابن وهب رحمه الله يجتهد حتى دبرت جبهته وركبتاه وكان
يسمى ذا الثفنات تشبيها بثفنات ركبتى البعير قال فيه ابو بلال
او غيره

أبَعْدَ ابنِ وهبٍ ذي النزاهةِ والتقى . ومَن خاض في تلك الحروبِ المهالكا
أُحِبُّ حياةً او ارجى سلامـةً . وقد قتلوا زيدَ بنَ حصنٍ ومالكا
فيا رب سلم نيتي وبصيرتي . وهب لي التقى حتى الاقي اولئكا

وكان ابو بلال رحمه الله يقول ان لكل منية ظنونا الا القتل في سبيل الله وكان وقف على البثجا رحمة الله عليها وهي امراة من المسلمين قتلها اللعين ابن زياد فقال ابو بلال لو اني صرعت مصرع البثجا لرجوت ان امر على الصراط مستويا وخرج رحمه الله حتى قتل شاريا ويقال انه طعن فمشى في الرمح حتى قتل قاتله والله اعلم وقال ابو بلال في قصيدة له

نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا . تحت العجاج كمثل الحنظل البال

ومثل هذه الاخبار يطول به الكتاب وذكر الغزالي في كتابه ان في الصحابة من ورده في اليوم اثنتى عشرة الف تسبيحة قال وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا قال وكان فيهم من ورده ثلاث مائة ركعة الى ست مائة ركعة الى الف ركعة قال واقل ما نقل من اورادهم في الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة قال وكان بعضهم اكثر اوراده في القران فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى عن بعضهم مرتين قال وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في تفكر اية واحدة يرددها قال وكان اويس القرني رحمه الله يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله في ركعة فاذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله في السجدة قال وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبا ثم قال عجبت للخليقة كيف استانست قلوبها بذكر سواك

قال وكان ثابت البنانى قد حببت اليه الصلاة فكان يقول
اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلى لك فى قبره فاذن لى ان اصلى
فى قبرى وعن عبد الواحد بن زيد قال مررت بصومعة راهب
فى الصين فناديته يا راهب فلم يجبنى حتى ناديته ثلاثا فاشرف
على فقال يا هذا اما انا براهب انما الراهب من رهب الله فى
اسمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده
على الائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم
لقدرته وخضع لمهابته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم
وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسائلة الجبار فذلك هو الراهب
واما انا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة من الناس
لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذى قطع الخلق عن الله بعد
اذ عرفوه فقال يا اخى لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها
لانها محل المعاصى والذنوب فالعاقل من رمى بها عن نفسه وتاب
الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وحكايات المجتهدين
من الرجال والنساء غير محصورة تركتها مخافة التطويل فمن
ارادها فالكتب مملوءة بها وفيما ذكرناه كفاية لمن اراد ان يعرف
اهل زمانه من اهل الاجتهاد الماضين ويعد اهل زمانه عن
صفات اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر اليهم دون
الائمة الماضية وقالت انما تيسر الخير فى تلك الازمنة لكثرة
الاعوان على الخير فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا
منك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجرى عليك الا ما يجرى عليهم
والمصيبة اذا عمت طابت فقل لها ارايت لو هجم سيل يغرق
الناس ولم يحذروه جهلا منهم بحقيقة الحال وقدرت على

ركوب سفينة تنجو بها دونهم فهل تختلج فى نفسك ان المصيبة
اذا عمت طابت امر تترك موافقتهم وتستجهلهم فى صنيعهم وتأخذ
حذرك وتنجو مما دهاك فاذا كنت تفعل خوفا من غرق ساعة
فعذاب الاخرة اشد وابقى فلم لا تهربين منه وانت متعرضة
له فى كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار
شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك
الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة الاية فعليك بموافقة نفسك وتوبيخها واحملها
على الاجتهاد وقرعها بسوء نظرها لنفسها لعلها تنزجر عن
طغيانها وبالله التوفيق مطلب الفصل السادس

فى توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدولك نفسك
التى بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر
نافرة عن الخير وامرت بتزكيتها وقودها بسلاسل القهر الى
عبادة خالقها ومنعها عن شهواتها فان اهملتها جمحت ولم
تقدر بعد ذلك عليها وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة كانت
هى النفس اللوامة التى اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس
المطمئنة المدعوة الى الدخول فى زمرة عباد الله راضية مرضية
فلا تغفلن عن تذكيرها ولا تشتغل بوعظ غيرك مالم تشتغل
الان بوعظ نفسك فقد اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستح
منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك
ان تقبل عليها فتعرفها جهلها وحماقتها فانها تتعزز بفطنتها
وهدايتها استنكافا وانفة اذا نسبت الى الحمق فتقول لها

ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقاء اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانت صائرة الى احدهما على القرب فمالك تضحكين وبين يديك هذا الخطر العظيم الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتى بغتة من غير تقديم رسول ولا مواعدة وانه لاياتى فى زمان دون زمان ولا فى حالة من العمر دون حالة بل كل نفس من الانفاس يمكن ان ياتى فيه الموت فجاة وان لم يات فجاة فالمرض ياتى فجاة فيفضى بك الى الموت فمالك تستبعدين الموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قول الله تعالى اقترب للناس حسابهم الاية الى قوله لاهية قلوبهم ويحك يا نفسى كيف تجرات على معصية الله ان اعتقدت ان الله لايراك فما اعظم كفرك وان علمت باطلاعه عليك فما اقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهين كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباى جسارة تتعرضين لمقت ربك وغضبه وشديد عقابه انظنين انك تطيقين عذابه فان ظننت ذلك فاحبسى نفسك فى الشمس او فى الحمام ساعة او قربى اصبعك من النار ليبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك فمالك لاتعولين على كرمه فى مهمات دنياك من دفع الاعداء وتحصيل الحاجات بلا سبب منك حتى

يبعث لك جندا يدفع عنك ويظهر لك كنزا فتستغني به عن كسبك
افتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد علمت ان سنة الله
لا تبديل لها وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما ابين نفاقك
ودواعيك الباطلة تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر
عليك الم يقل مولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك
بامر الدنيا ووكل امر اخرتك الى سعيك فكذبته بافعالك بتكالبك
على الدنيا واعراضك عن الاخرة ويحك لو كان الايمان باللسان
يغني دون الافعال فلم كان المنافقون في الدرك الاسفل من
النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب او تحسبين ان تتركي
سدى الم تكوني نطفة من مني تمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك
فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين مما ذا خلقك بل من نطفه
خلقك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في
قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين
حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذي اطعمتك بانه يضرك
في مرضك لصبرت عنه وتركته افكان قول الانبياء المؤيدين
بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلات اد... ...
من قول يهودي يخبرك عن حدس ... ...
اخبرك عن عقرب في ثوبك لرميت ... ...
له على ذلك ببرهان افكان قول الانبياء ... ...
وسائر الاولياء اصدق عندك من قول ...
او صار حر جهنم مع اصناف عذابها ...

ما هذه افعال العقلاء بل او انكشف لابهائم [illegible] لك
ومن عقلك فان كنت عرفت جميع ذلك وامنت [illegible] لا تستوفى
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يهجم عليك [illegible]
انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين من يطعم الدابة فى
حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطعها فما اعظم جهلك
ان ظننت ذلك ارايت لو ان رجلا سافر [illegible]
فى ارض غربة سنين يعد نفسه بالتفقه [illegible]
رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين منه [illegible] باخر
العمر نافع فلعلك فى اخر [illegible] فلولا [illegible] لك
فان اوحى اليك بالامهال [illegible] السبب
الا عجزك عن مخالفة هواك افتظنين [illegible] فيه
مخالفة هواك [illegible]
قط الا محفوفة [illegible] فاذا انت عجزت عن مخالفة [illegible] اليوم
فانت فى غد اعجز [illegible] الذى
يريد الانسان [illegible]
وقد علم ان الشجرة [illegible]
القاطع بذلك ضعيف [illegible]
لا يقدر عليه فى الضعف والهرم [illegible] هذا وبين
الى التسويف فما لك تدعين الحكمة [illegible] تزيد على هذه
الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعنى [illegible]
وقلة صبرى [illegible]
فاطلبى النعيم [illegible]
قولك فى عقل من [illegible] ماء

ثلاثة ايام ليصح ويتهناه طول العمر وحذره ان شربه مرض طول
العمر فجميع عمرك فى طول نعيم الدنيا وطول عذاب النار اقل
من ثلاثة ايام بالاضافة اليه فالصبر على مخالفة الشهوة ايسر
من طول العذاب وفوات النعيم فما هذا الا ضعف الايمان
بالثواب والعقاب وبهذا الجهل تستحقين صفة الحماقة فى
قول النبى صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الامانى ويحك لاتغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور
فانظرى لنفسك ولاتضيعى اوقاتك فان الانفاس معدودة
فاذا مضى نفس فقد مضى بعضك فاغتنمى الصحة قبل السقم
والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة
قبل الموت واستعدى للاخرة على قدر بقائك فيها كما تستعدين
للشتاء بقدر طول المدة الحطب والطعام والكسوة افتظنين
ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من الشتاء ام تظنين
ان العبد ينجو منها بغير عمل هيهات كما لايندفع برد الشتاء
الا بالحطب والكسوة وكذلك حر النار لايندفع الا باسباب
من حسن التوحيد والطاعات وانما كرم الله لك فى ان عرفك
اسباب التحصين منها بالطاعات كما ان كرمه فى دفع برد
الشتاء فان عرفك الصناعات وخلق لك النار والحطب
والهمك استخراجها من الاحجار حتى يندفع بها البرد وكذلك
الهمك طريق النجاة فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها
والله غنى عن العالمين ويحك فسى ءاخرتك بدنياك كما بدانا
اول خلق نعيده ولن تجد لسنة الله تبديلا ما اراك الا الفت

الدنيا هب انك غافلة عن اهوال يوم القيامة اما انك مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل من باب دار ملك ويخرج من الجانب الاخر ثم يستغرق قلبه بعشق جارية فيها وهو مضطر الى مفارقتها ايعد من العقلاء ام من الحمقاء فالدنيا دار ملك الملوك وكل من فيها ضيف مجتاز وما في يده عارية مردودة على صاحبها اما سمعت قول سيد المرسلين ان روح القدس نفث في روعي احبب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فكل من الف ملاذ الدنيا واستكثر منها فانما يستكثر من الحيرة ويتزود من السم المهلك عند مفارقته اياها اما تنظرين الى الماضين كيف بنوا واعلوا وذهبوا وخلوا فهل حمق اعظم ممن يعمر دنياه وهو مرتحل عنها ويخرب اخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة الحمقاء المنكبين على الدنيا وهب انك تؤثرين الاقتداء فقس عقول اهل الدنيا بعقول الانبياء والحكماء واقتد باعقل الفريقين ولعلك اسكرك حب الجاه وهب ان كل من على بساط الارض سجد والك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة لا تبقى انت ولا احد من اولئك اما سمعت عن الملوك الذين قبلك فكيف تبيع ملكا يبقى ابد الاباد بملك لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي مع كدورته بانواع المصائب واحتفاف الحساد والاعداء به من كل جانب فمالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك مع رذالتها وخسة شركائك فيها من اليهود والنصارى والغوغاء والسفهاء وترغب ان تكوني في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين في الدنيا وفي جوار رب العالمين في العقبى ويحك فمن ذا الذي يصلي عنك ويصوم بعد الموت مالك الا اياما معدودة وهي بضاعتك

وقد ضيعت اكثرها ويحك اما تعلمين ان الموت موعدك وان
القبر بيتك والتراب فراشك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت
ان عسكر الموتى على باب بلدك وقد حلفوا بالايمان المغلظة
انهم لا يرحلون حتى ياخذوك اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة
الى الدنيا ليتداركوا ما فرطوا وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو
بيع منهم بالدنيا كلها لاشتروه لو قدروا وانت ضيعته في
البطالة ويحك اما تستحيين تتزينين بظاهرك للخلائق وتبارزين
الله في السر بالعظائم تذكرين بالله وانت له ناسية تامرين الناس
بالخير وانت ملتطخة بالرذائل ولو عرفت نفسك حق المعرفة
لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا من اجلك ويحك قد جعلت
نفسك حمار الابليس يقودك حيث يشاء ويريد ومع هذا
فتعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة
بعد ان عبده ثمان الف سنة او ما شاء الله واخرج ادم من
الجنة بخطيئة واحدة مع كونه صفيه ولن ينجو الا بالاعتراف
والتوبة والعجب منك تفرحين بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان
عمرك فما ينفع مال يزيد وعمر ينتقص واحذري يا مسكينة يوما
آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه
حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري
باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال
جوابا وللجواب صوابا واعملي في دار العمل بالاختيار قبل ان تخرجي
منها بخروج الاضطرار ولا تفرحين بما ساعدك من زهرات الدنيا
فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر ويل لمن له الويل وهو
لا يشعر يضحك ويلهو وقد حق عليه في الكتاب انه من وقود النار

واعلمي إنه ليس للدنيا عوض ولا للجسد خلف فمن كانت مطيته الليل والنهار سير به وان لم يسر فاتعظي يا نفسي بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن النصيحة والموعظة فقد رضي بالنار ولا اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كان هذا القساوة قلبك فاستعيني عليه بدوام الاتعاظ وطول التهجد والقيام والاقبال المواظبة على الصيام والاقبلة المخالطة والكلام والا فبصلة الارحام واللطف بالايتام واذ لم تزل القساوة فاعلم انه قد طبع على قلبك فوطني نفسك على النار فكل ميسر لما خلق له فاقنطي ولا سبيل الى القنوط فانه من الكبائر ولا سبيل الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فليس ذلك برجاء بل هو اغترار فانظري هل تبكين او تحزنين على هذه المصيبة فان حزنت وسحت عينك بالبكاء فستقي الدمع من بحر الرجاء فقد بقي فيك موضع للرجاء فتواظبي على النياحة والبكاء اقتداء بادم عليه السلام واستغيثي بارحم الراحمين لعله ان يرحم ضعفك فقد انقطعت عنك الحيل فلا مذهب ولا مستغاث ولا ملجأ الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع والتلهف فانه يرحم المتضرع الذليل ويجيب دعوة المتلهف المضطر الخائف الوجل فقد اصبحت والله مضطرة الى رحمته محتاجة فان العفو شامل والكرم فائض والرحمة واسعة فقولي يا ارحم الراحمين عجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك وبرد عفوك ومغفرتك يا اكرم الاكرمين والحمد لله رب العالمين وروي عن منصور بن عمار قال سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما اردت بمعصيتي

مخالفتك ولاعصيتك اذعصيتك وانا بمكانك جاهل ولا
لعقوبتك متعرض ولابنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي
واعانتني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك
بجهلي وخالفتك والله بقلة عقلي فمن الآن من عذابك ينقذني
اوبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع
المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت
ذنوبي ويلي كلما طال عمري كبرت معصيتي الى كم اتوب والى
كم اعود اما آن لي ان استحي من ربي وعن وهب ابن
منبه قال لما اهبط الله ادم عليه السلام من الجنة الى
الارض مكث لاترقى له دمعة فاطلع الله عليه في اليوم
السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله
اليه يا ادم ما هذا الجهد الذي ارابك فقال يا رب عظمت
مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي
فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد
السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد
العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الفناء والموت
بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله
تعالى اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري
وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي
ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت
امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت
الارض مثلك كلهم رجالا يعبدونني ويسبحونني فعصوني

لاترلتهم منازل العاصين فبكى عند ذلك ادم ثلاثمائة عام ؛ فهذه طريقة القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة انفسهم وانما طلبهم بالمناجاة للاسترضى ومن المعاتبة التنبيه والاستدعاء فمن اهل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مغاصبا ويوشك ان يكون الله له يوم القيامة معاتبا والله اعلم

مطلب فصل

فعليك ايدك الله بتوبيخ نفسك وحقارة عملك وتعظيم نعمة الله عليك فاذا فعلت ذلك وقع فعلك من الله تعالى موقع الرضى والقبول وصارت له قيمة لانهاية لشرفها اذ بسببه تستوجب النعيم والملك العظيم والاصار سعيك مثبورا وعملك مردودا محقورا الاترى الى الاجير يعمل طول النهار والحارس يحرس طول الليل بدرهمين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف يعمل الواحد منهم الليل والنهار فيكون قيمة عمله دراهم معدودة فان صرفت العمل الى الله تعالى فصمت له يوما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال اعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رات ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فهذا يومك الذى قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له هذه القيمة بتاخير غداء الى عشاء ولو قمت ليلة لله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين فهذا الذى قيمته دانقان او درهمان صارت له هذه القيمة العظيمة فحق اذا على العبد ان يرى حقارة عمله من حيث هو وان لايرى الامنة الله عليه فيما شرف من عمله واعظم من جزائه وان يحذر على عمله من ان يقع على وجه لايصلح له ولا يرضاه فتذهب عنه القيمة ويعود الى ما كان عليه فى الاصل من الثمن الحقير من دراهم

اودوانيق اواخس من ذلك ومثاله ان عنقود العنب قيمته دانق
فاذا اهداه احد الى الملك فيقع منه موقع الرضى فيهب له عليه
الف دينار واذا لم يرضه ورده رجع الى قيمته الاولى فذلك ما نحن
عليه فتنبه وابصر منة الله تعالى وصن فعلك عما يشينه عند الله
عز وجل وايضا اما تعلم ان الملك فى الدنيا اذا اجرى على احد جراية
من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانية فانه يستخدمه
ويستعمله بضروب الخدمة الليل والنهار و[illegible] له عدو فيحتاج
لقتاله فيبذل له روحه التى لا اخاف لها الاجله فربك الذى خلقك
فسواك ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يبلغ كنهها
وهبك ثم [illegible] ركعتين مع ما فيهما من العلل [illegible] وعد
عليهما فى المستقبل [illegible] من الثواب [illegible] تستعظم ذلك منك
وتعجب به [illegible] ان [illegible] منه
وايضا فان الملك الذى [illegible] اولئك الكبراء
ويطلب مدحته العلماء والحكماء الذى [illegible] رافته عليه
ان يزاحم على بابه اولئك الكبراء فى خدمته ويجعل له مقاما
من حضرته وكرامته وينظر الى خدمته المعيوبة بعين الرضى
اليسيرة ان لقد [illegible] على هذا الحقير المنة من الملك فان
اخذ هذا الحقير يمن على الملك خدمته ويعجب بها اليسيرة قال
ان هذا السفيه جدا ومجنون لا يعقل [illegible] وايضا فان
الهنا الذى يسبح له السموات والارض ومن فيهن من الملائكة
الروحانيين [illegible] الملائكة المقربين من الانبياء
والمرسلين [illegible] الاولياء
والائمة الابرار والزهاد فى خدمتهم الخالصة واذل الخدام

على بابه ملوك الدنيا يخرون له ساجدين فمع هذه العظمة
والكمال قد اذن لك فى حقارتك وجلاله أن تعبده وترفع
اليه حوائجك ثم انه يرضى ركعتيك فى عيوبهما واعد لك عليهما
ثوابا لانهاية له فتستعظم ذلك منك وتمنه على ربك فما
اسواك من عبد وما اجهلك من انسان والله المستعان
واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وايضا اذا اذن
الملك الاعظم بادخال الهدايا من الجواهر الثمينة والاموال
الجليلة من الامراء والكبراء فان جاء بقال بدستجة بقل او
قروى بسلة عنب تساوى دانقا فيزاحم الامراء والاغنياء
بهداياهم فاذا قبل الملك من هذا الحقير هديته وامر له بخلع
نفيسة وكرامة بالغة اليس ذلك من الملك غاية الكرم والفضل
فاذا اخذ هذا الحقير يمن على الملك بهديته الحقيرة وينسى منته
العظيمة اليس ذلك منه غاية الجهل والحماقة فالان اذا
صليت ركعات فتفكر كم صلى لله تعالى فى تلك الساعة فى
اقطار الارض والسموات من الملائكة والصديقين والانبياء
والصالحين من عبادة صالحة بتجاوب بسبب بها ركعتاك
اذا بذلت المجهود فيها ثم ما صدرت عن قلب غافل مختلط
بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ
بانواع المعصية والفضول فكيف تصلح ان تجعل الى تلك
الحضرة وتهدى الى رب العزة وانظر ايها العاقل هل وجدت
قط صلاة من صلواتك ثم توجد مائة منك فى بيوت
الاغنياء قال وكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت قط من
صلاة الا استحييت حين فرغت منها اشد حياء من امرأة

فرغت من الزنى ثم ان الرب سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم هذه الركعات ووعد عليها جزيل الثواب وانت عبده وفي جرايته وعملت ذلك بتوفيقه ثم بعد ذلك تعجب بعملك وتنسى منة الله عليك هذا والله اعجب العجب لايكاد يذهب مثله الا عن جاهل لافكر له فنسأل الله الكفاية بمنه

فصل

فانتبه من رقدتك ايها الغافل والاكنت من الخاسرين فان هاتين القنطرتين اشد القناطر اليهما تنتهي ثمرة ما مضى من القناطر اذهما قنطرة العمل وآفاته والشكر وثمراته وان سلمتا غنمت وربحت والا فقد ضاع السعي كله وبطل التعب وخاب الامل واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة اشد وادق والخطر عليك اعظم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ماطار طير فوقع الاكما طار وقع فاذا لاسبيل الى الامن واغفال الشكر قال وكان ابراهيم بن ادهم يقول كيف تامن وابراهيم الخليل يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويوسف عليه السلام يقول توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال بعضهم تاملت سفيانا الثوري فبكى الليل اجمع فقلت بكاءك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا فقال الذنوب اهون على الله من هذا انما اخشى ان يسلبني الاسلام قال الغزالي وسمعت انا بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعام بن باعوراء وطرده بعد تلك الايات والكرامات فقال الله له لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ

بذكر الشكر جدا واحمد الله على منته في الدين اعلاها الاسلام وادناها
مثلا توفيق تسبيح اوعصمة من كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمته عليك
ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امرّ الامور واصعبها الاهانة بعد
الاكرام فكلما اغفلت شكره اواقترب عاودت واجتهدت وتضرعت
وقلت يا الله يا مولاي كما بدات بالاحسان بفضلك قبل الاستحقاق
فاتممه ايضا بفضلك من غير استحقاق وتناديه نداء الاولياء
المستغيثين الذين مدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا في الخلوات
مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب قال الغزالي والله اعلم تقديره انا وجدنا
منك نعمة فطمعنا في اخرى انت الجواد الوهاب فكما وهبت منة
الانعام في الابتداء فهب لنا منة الاتمام في الانتهاء اما تسمع ويحك
ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين هذا الدعاء اهدنا
الصراط المستقيم اى ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا اتضرع اليه فان
الخطر عظيم وقد قيل ان الحكماء نظروا وافردوا مصائب العالم وجمعهم
الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى
بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال

لكل شيء اذا فارقته عوض . وليس لله ان فارقت من عوض

آخر

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه . فما فاته منها فليس بضائر

فنسال الله ونتضرع اليه ان يمن علينا بالعصمة والتوفيق وان
يرزقنا التوبة على التحقيق وان يجعلنا من العارفين العلماء بالدين
التائبين المتجردين للخدمة الشاكرين للنعمة القاهرين للهوى والشيطان
المتقين حق التقوى بالقلب والاركان الخاشعين له المتوكلين عليه

المفوضين الامور اليه الراضين بقضائه الصابرين على بلائه
الشاكرين لآلائه انه ارحم الراحمين والصلاة والتسليم على محمد
وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الجملة الثانية فى ذكر الموت واهوال يوم القيامة

اعلم ان من كان الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا فى الموت وفيما بعده وان كل آت قريب لان فى التفكر فى ذلك ما يهون عليه مصائب الدنيا ويدعوه الى ترك الرغبة فيها والفرح بها والحسد عليها وتشتمل هذه الجملة على جملة فصول

الفصل الاول فى ذكر الموت

قال الله جل جلاله كل نفس ذائقة الموت الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا ذكر هادم اللذات وروى ان سائلا سأله فقال يا رسول الله اى المؤمنين اكيس فقال اكثرهم الموت ذكرا واحسنهم له استعدادا اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة وروى عنه انه قال لو ان البهائم والطير تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وروى عنه انه كان اذا راى غفلة من الناس وقف بباب المسجد فاخذ بعضادتى الباب ثم صاح باعلا صوته يا ايها الناس الموت الموت جاءكم بالوجبة سعادة او شقاوة جاءكم الموت بما جاء بالروح والراحة والكرة الرابحة جنة عالية لاولياء الله من اهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها جاءكم الموت بما جاء بالخزى والندامة والكرة الخاسرة فى نار حامية لاولياء الشيطان

من اهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها الا ان لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق وعن عائشة قالت يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يكثر ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما هذه الفضيلة لان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويدعو الى الاستعداد الى الاخرة وعنه صلى الله عليه وسلم قال الموت تحفة المؤمن انما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن والموت اطلاق له منه فصار تحفة في حقه وقال الموت كفارة لكل مسلم اراد المسلم حقا المؤمن صدقا ومر عليه السلام بمجلس قد استغرقهم الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما هو قال الموت وقال ايضا اكثروا من ذكر الموت فانه يمحق الذنوب ويزهد في الدنيا وقال كفى بالموت واعظا وذكر عنده عليه السلام رجل فاحسنوا في الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت فقال ان صاحبكم ليس هناكم وعن الحسن انه قال فضح هذا الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها قال وشكت امراة الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رحمة الله عليها وقيل ان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت تقطر جلده دما وقيل ان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله اعلم ان الناس في ذكر الموت على ثلاثة اصناف احدهم المنهمكون في الدنيا فلا يزيدهم ذكر الموت من الله الا بعدا لانهم بذكره

يتاسفون على الدنيا فهم الذين قال الله فيهم قل إن الموت الذي تفرون منه الاية الثاني التائب المخلص يزيده ذكر الموت خوفا وخشية وربما يكره الموت خوفا ان يفاجاه قبل تمام التوبة والاستعداد للاخرة الثالث العارف بالله الذى احبه فاشتاق اليه فهذا يتمنى الموت ضجرا من الدنيا وشوقا الى لقاء حبيبه كما قال حذيفة رحمه الله لما احتضر مرحبا بزائر جاء على فاقة لا فرح من ندم ففى ذكر الموت ثواب وفضل وان كان الانسان منهمكا فى الدنيا لانه يستفيد به تنقيص نعيم الدنيا وتكدير عيشها فكل ما يكدر على الانسان اللذات فهو من اسباب النجاة والله اعلم فائدة اعلم ان انفع دواء للقلب بذكر الموت هو التفكر للانسان فى اقرانه الذين مضوا فيذكر مصرعهم تحت التراب وكيف تبددت اجزاؤهم فى القبور وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وتعطلت منهم المجالس والقصور فهما ذكر رجلا منهم احضر فى قلبه صورته وكيفية احواله واعماله وتصرفه وامالهم ونسيانه الموت واغتر بموتات الاسباب حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه فعند ذلك يتفكر انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر وحضور الجنائز وعيادة المرضى يجد ذكر الموت فى القلب حتى يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له وبالله التوفيق وينشد لابى العتاهية

يا مؤثر الدنيا للذته ✤ والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك ان تنال من ✤ الدنيا فان الموت اخره
كم قد ثكلنا من اخى ثقة ✤ ومعاشر كنا نعاشره
يا من يزيل الموت بهجته ✤ لا شك مالك لا تبادره

اين الملوك واين غيرهم . صاروا مصيرا انت صائره
هل انت معتبر بمن خربت . منه غداة قضا دساكره
وبمن اذل الدهر مصرعه . وتبرات منه عشائره
وبمن خلت منه اسرته . وتعطلت منه منابره
درست محاسن وجهه ونفى . عنه النعيم ثرى يباشره
والموت لو صح اليقين به . لم ينتفع بالعيش ذاكره
وسبيلنا بالموت مشترك . يتلوا كابره اصاغره

اى ساكره يذكره وهو بناء كالقبر هو لا يموت

ولعدى

اين اهل الديار من قوم نوح . ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانـ . ـماط افضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن . بعد ذا الوعد كله والوعيد
والاطباء بعدهم لحقوهم . ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح اضحى يعود مريضا . هو ادنى للموت ممن يعود

ولاخر

قد آن ان يسمعك الصوت . انائم قلبك ام ميت
يا بانى البيت على غرة . امامك المنزل والبيت
وانما الدنيا على طولها . ثنية مطلعها الموت

ولبعض الشعراء

ويحك يا اسماء ما شانى . كان فعلى فعل نشوان
الموت حق فاعلمى نازل . فيسرى لحدى واكفانى
قد كنت ذا مال فلا والذى . اعطانى المال واغنانى
ما قرت العين به ساعة . الا تذكرت فابكانى
على بانى صائر للبلا . وفاقد اهلى وجيرانى

وتارك مالى على حاله . نهبا الشيطان ابن شيطان
اماترى والهوى قائدى . اجمع المال لاخوانى
لامراة ابنى ولزوج ابنتى . يالك من غبن وخسران
وثالث اغبط من ذا وذا . ينعم فيه زوجها الثانى
يسعد فى مالى واشقى به . قوم ذووا غل وشنآن
ان احسنوا كان لهم اجره . وخف من ذلك ميزانى

فاذا تفكر الانسان كما قدمنا فيمن مات من اقرانه وفجع به من اخوانه وكيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوه وان من كان له مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وان من كان مغرورا فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر ايضا فى حال نفسه ويتفكر كيف يكون جسمه طعمة للديدان وما ينتظر بعد ذلك من اهوال القيامة ودركات النيران ودرجات الجنان فبمثل هذه الافكار يتجدد ذكر الموت على قلبه ولكن الداء العضال الذى اهلك الاولين والاخرين اتباع الهوى وطول الامل فاتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسى الاخرة وسبب ذلك الجهل وحب الدنيا ولكن من رزقه الله الفكر الصافى بالقلب الحاضر فيما قدمناه من اخبار الموت وما بعده مع قصر الامل وترك متابعة الهوى فانه لابد ان يندفع عنه الجهل ويستشعر قلبه الخوف والوجل واما حب الدنيا فاخراجه من القلب شديد ولا دواء له الا الايمان بالله واليوم الاخر وما يشتمل عليه من الاهوال وانواع العقاب فمهما حصل بما ذكرنا اليقين مع عزيمة [illegible] الدنيا وعلى المجاهدة فى الدين تجدد ذكر الموت على [illegible] بحمد الله واشتغل بالاستعداد له على اى حالة ورد [illegible]

فصــــل في خروج نفس الميت قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الاية ففي كتاب النقاش قال يقبض ارواحكم ماخوذ من توفية
العدد اي يقبض ارواحكم اجمعين ويقال ان جبريل عليه السلام قال
لملك الموت كيف تستطيع قبض الانفس عند الوباء هاهنا عشرة
الاف وهاهنا كذا وكذا فقال ملك الموت تزوى الي الارض حتى
كانها بين فخذي فاحاول فيها كذا وكذا وعن زهير بن محمد ان النبي
سئل عن مثل هذا فقال ان الله جعل الدنيا لملك الموت كطست
بين يدي احدكم فهل يفوته منها شيء وفي كتاب النقاش في قوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الاية قال معناه
يميتها حين يجيء اجلها والتي لم تمت في منامها فهي في بقية اجلها تتقلب
فيه حتى يجيء اجلها فيميتها ايضا كما امات التي جاء اجلها قال والذي يتوفى
في المنام نفس التميز لا نفس الحياة قال لان نفس الحياة اذا زالت زال
معها النفس والنائم يتنفس قال فهذا الفرق بين توفي نفس النائم
في النوم وتوفي نفس الحي قال ويقال ان الانسان له حياة وروح ونفس
فاذا نام خرج طرف من نفسه التي بها يعقل الاشياء ولها شعاع الى
الجسد كشعاع الشمس الى الارض فيرى الرؤية بالنفس التي خرجت
منه كانه بارض اخرى وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس
فاذا حرك رجعت النفس اليه في اسرع من طرفة العين فاذا اراد الله ان
يميتها في المنام يمسك النفس الخارجة ويقبض الروح ايضا ويموت
في منامه قال وعن ابن مسعود وابن عباس قالا سبب في السماء بين
المشرق والمغرب فارواح الموتى وارواح الاحياء الى ذلك السبب فتعلق
نفس الميت بنفس الحي فاذا اذن لهذه الحية بالانصراف الى جسدها
لتستكمل رزقها الى فناء اجلها امسكت النفس الميتة وارسلت الاخرى

الى اجل مسمى اي الى منتهى اجلها قال وكان ابن عباس يقول انما الارسال من الامساك ومن كتاب عيون المعاني لابن عيسى قال يقبض عن تصرف الارواح مع بقائها في الجسد فيمسك المقضي اجله بازالة حقيقتها ويرسل الاخرى باعادة تصرفها ابن جبير يقبض ارواح الاموات عند الموت وارواح الاحياء عند النوم فيتعارفون ما شاء الله فيمسك ارواح الموتى ويرسل ارواح الاحياء قال علي فما راته نفس النائم في السماء فهي الرؤية الصادقة وما راته بعد الارسال تلقاها الشيطان فهي الكاذبة وقال في موضع اخر توفته رسلنا قال فملك الموت يقبض والاعوان يعالجون والله ينزع الروح وقيل ملك الموت يدعو الروح فتجيبه واعوانه ينزعونها والله تعالى يخلق فيه الموت وعن قتادة قال خلق الله الموت ليعز به نفسه ويذل به عباده بتوليه وجباذته كرهم الموت بالحق اي تمرته التي تجب العقل بالحق اي بلقاء الله الذي لا بد منه وعن الكلبي في قوله خلق الموت قال وهو على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء ولا يدل على شيء الا مات وعن زهير بن محمد قال ملك الموت على معراج بين السماء والارض وله رسل من الملائكة فاذا كانت النفس في نفرة النحر راى ملك الموت بالساعي معراجه فيخص بصره اليه اخر ما يموت وفي كتاب السؤالات قال يخرج الله الروح فيتلقاه الملك وقيل ان الروح اذا راى الملك طار اليه كما يطير الحديد الى حجر المغنطيس وعن النبي عليه السلام انه قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فتستفتح فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لها مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب

ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك
حتى تنتهي الى السماء السابعة فاذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي ايتها
النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم
وغساق وآخر من شكله ازواج ويقولون لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج
بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال
لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لم
يفتح لك ثم ترسل بين السماء والارض ثم تصير الى القبر وعن ابن عباس
قال اذا احتضر العبد غمز ملك الموت وتينه يعني عرق نياط القلب
قال فعند ذلك يعاين ملك الموت ويشخص بصره ويذهل عن اهل
الدنيا وفي كتاب النقاش في قوله تعالى والنازعات غرقا قال يعني
ملك الموت ينزع روح الكافر حتى اذا بلغ ترقوته غرقها في حلقه فيعذبه
في حياته قبل ان يميته ثم ينشطها من حلقه كما ينشط السفود الكثير
الشعب من الصوف المبلول فذلك قوله تعالى والناشطات نشطا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شدة الموت وكربته على المؤمن
اشد من ثلاث مائة ضربة بالسيف وفي الخبر عن ابن مسعود ان نفس
المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تخرج من شدقه ويقال في الخبر
ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قيل له كيف وجدت
الموت قال يارب كشاة تسلخ وهي حية فقيل له اما انا قد خففنا عنك
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار حدثنا عن
الموت فقال ان الموت كغصن شوك ادخل في جوف الرجل فاخذت كل
شوكة بعرق فجذبها رجل شديد الجذب جذبة واحدة فقطع منها
ما قطع وابقى منها ما ابقى ويروى ان النبي عليه السلام في حين
حضره الموت وهو يمد يده ويقول يا جبريل اين انت ثم يقبضها ويبسطها

ويقول يا جبريل اشفع لى عند ربك يهون على سكرات الموت وذكر
عن عائشة رضى الله عنها انها سمعت جبريل وهو يقول لبيك لبيك
وفى خبر آخر ان نفس المؤمن تسيل من جسده كما تسيل القطرة من
السقاء وهذا فيه ما فيه والله اعلم وفى بعض الكتب يعسر خروج
النفس كما يعسر خروج الولد من المراة البكر وهذا امر لا يدرك حقيقته
ولا يعلمه الا الله تعالى ثم من ذاق الموت واما القياس فانه يشهد
ان كل عضو لا روح فيه فانه لا يحس الالم فاذا كان فيه الروح يحس
الالم فلما كان الامر هكذا دل ان الروح الذى تفرقت اجزاؤه فى
الجسد حتى استغرقه فاذا نزع بالكلية كان المه وشدته اعظم ما يكون
والله اعلم واما علامة موت السعيد من الشقى فقد روى ان النبى
عليه الصلاة والسلام قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه
ودمعت عيناه وتبسمت شفتاه فذلك من رحمة الله قد نزلت به
وان احمر وجهه وازبد وغط غطيط المجنون فذلك من عذاب الله
نزل به وفى الخبر ان جابر بن زيد رحمه الله لما احتضر دخل عليه الحسن
البصرى فقال جابر يا ابا سعيد ما آية خروج نفس المؤمن فقال برد
يجده على كبده ونفس طامعة فقال جابر اللهم انى اجد بردا على كبدى
ونفسى طامعة اللهم حقق رجاءها وآمن محذورها ثم لم يتكلم بعدها
فيما قيل والله اعلم وفى بعض آثار اصحابنا ان نفس المؤمن تخرج
رشحا كالعرق وفى كتاب الغزالى ان نفس المؤمن تخرج من منخره
الايمن فى صورة نخلة خضراء وان نفس الكافر تخرج من منخره الايسر
فى صورة جرادة وفى بعض حديثهم عن النبى عليه السلام ان المؤمن
تنزل عليه الملائكة بيض الوجوه معهم كفن وحنوط من الجنة فى حديث
طويل تركته والله اعلم

الفصل الثانى فى ذكر القبر

وينبغي للانسان ان يذكر القبر وظلمته وضيقته ووحشته فان
في ذكر ذلك ما يحزن قلب المؤمن ويبكى عينيه ويروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله من عذاب القبر وروى
انه قال مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا اخرج
من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء ووضع لم يحب ان
يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه
لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه
وقيل له عليه السلام ان فلانا مات فقال مستريح او مستراح
منه اشار الى المستريح انه المؤمن والمستراح منه ايضا انه الفاجر
وروى عنه انه عليه السلام لما دفنت ابنته جلس عند القبر فتربد
وجهه ثم سرى عنه فساله بعض اصحابه عن ذلك فقال ذكرت
ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ان يفرج عنها وايم الله
لقد ضمت ضمة ثم رخي عنها وروى عن عائشة رضي الله عنها عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال انما فتنة القبر من اجلي فاذا سئلتم عني
فلا تشكوا قالت فقلت يا رسول الله فكيف اصنع وانا امراة ضعيفة
قال يثبت الله الذين امنوا الاية وقال بعض العلماء من اكثر ذكر
القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن اغفل ذكره وجده حفرة
من حفر النار وروى عن الربيع بن خيثم انه قد حفر في داره قبرا فكان
اذا وجد في قلبه قساوة اضطجع فيه ما شاء الله ثم يقول رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على نفسه يا ربيع
قد رجعتك فيقوم فيرى ذلك فيه وروى ان النبي عليه السلام
قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف بك يا عمر اذا دخلت
قبرك ودخل عليك فتانا القبر منكر ونكير فقال عمر وما هما يا رسول الله

قال ملكان اسودان ازرقان يطآن شعورهما ويبحثان الارض بانيابهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها اهل منى لم يطيقوها وهي اهون عليهما من هذا او رفع شيئا من الارض فقال عمر فكيف انا يومئذ يا رسول الله قال كهيئتك اليوم قال اذا اكفيهما يا رسول الله وروى عنه انه قال المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له فيه سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر اتدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا يلحسونه وينفخون في قبره الى يوم يبعثون قال الغزالي فلا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة تتشعب منها فروع معدودة وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي التي تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلسع لسع العقرب وارباب البصائر يدركون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها وبالله التوفيق

فصل

اعلم ان الناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة فالملحدون ظنوا ان الموت هو العدم وان موت الانسان كجفاف النبات وانه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب وزعمت اليهود والنصارى والفلاسفة فيما وجدت ان الاجساد لا تبعث اصلا وان الارواح هي التي تبعث وتستلذ وتتالم وزعمت المعتزلة والنكاث والحسنية فيما وجدت ان الاموات لا تتنعم ولا تتالم في القبور وانما الثواب والعقاب في الاخرة وزعم اصحاب الحديث والاشعرية ان الروح باقية اما

معذبة واما منعمة حتى تبعث الاجساد فتدخل فيها وانما الموت انما
هو تغير حالها وانقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها
والاعضاء عن استعمال الروح اياها الا انها تبطش باليد وتبصر
بالعين وتسمع بالاذن وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب وهو عبارة
ها هنا عن الروح التي تحزن وتفرح وتلذ وتتوجع وان هذه كلها
تتعطل بموت الجسد الى ان يعاد الروح اليه واختلفوا في كيفية
عذاب القبر فقيل السؤال للروح دون الجسد وقيل يكون الروح
في الجسد الى الصدر وقيل يكون الروح فيما بين الكفن والجسد وقيل
يمكن ان يعاد الى الجسد ويمكن ان يؤخر الى البعث والله تعالى اعلم
بما حكم على عباده قالوا ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام
الروح وادراكها ايات واخبار كثيرة قد ذكرنا طرفا منها فاما الايات
فمن ذلك قوله تعالى في الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون الاية
وفسر فيها ابن عباس فقال تجعل ارواحهم في حواصل طير خضر
تسرح في الجنة الحديث مشهور وقول النبي عليه السلام انما نسمة
المؤمن طائر تعلق في الجنة اى تتناول وقول الله تعالى في الكفار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله سنعذبهم مرتين الاية
ان الثاني عذاب القبر وروى ان النبي عليه السلام كلم قتلا بدر
فقيل يا رسول الله هم اموات فقال والذى نفسي بيده انهم لاسمع
لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على رد الجواب قالوا فكل من
امن بالله والوحى والملائكة فكيف لا يجوز هذا في الميت قالوا فكما ان
الملائكة لا تشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي
تلدغ في القبر ليست من حيات الدنيا وانما هي من جنس اخر يدرك
بحاسة اخرى قالوا ولان المؤلم من الحية السم ونفس السم ليس

هو الالم وانما الالم عذابك فى الاثر الذى يحصل فيك قالوا ويمكن
ان تكون الصفات المهلكات فى الانسان تنقلب مؤذيات كلدغ
الحيات من غير وجود الحيات كما ان العشق اذا مات المعشوق
انقلب صفة مؤذية محزنة للعاشق قالوا ومثل عذاب القبر والتنعم
فيه فى حق الميت مثل لدغ الحية فى حق النائم وتنعمه بوقاع جارية
فى نومه ولا ترى حية حوله ولا جارية فالعذاب والتنعم حاصلان
ولكنه غير مشاهدين فى حق اليقظان وهذا الذى قاله اصحاب
الحديث فى عذاب القبر ليس فى الشرع ما يبطله ولا فى العقل ما يحيله
وقد روى عن جابر بن زيد بثبوت عذاب القبر وانا اقول به
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو نجا احد من عذاب
القبر لنجا منه سعد بن معاذ ولقد ضغطه ضغطة اختلفت
منها اضلاعه وقال فى ابنته زينب ان الله قد خفف عنها ولقد
ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين وجلس عليه السلام
فى جنازة رجل فجعل ينظر فى القبر ثم قال يضغط المؤمن فى هذا
ضغطة تردى منها حمائله وفى حديث سؤال الملكين مشهور
تركته مخافة التطويل واختلف فى مستقر الارواح بعد الموت
فقيل ارواح المسلمين فى عليين وارواح الكفار فى سجين وقيل
ارواح المسلمين فى بئر يا الشام وارواح الكفار فى وادى برهوت باليمن
او بحضرموت وفى الحديث ما منكم من احد الا وهو يعرض على
مقعده بالغداة والعشى واظن انى وجدت فى بعض الاثار ان
الروح تحوم حول القبر والله اعلم وينشد

بينما الفتى فى لهوه وهناته   متبختر يختال فى لذاته
قد غره الامل الكذوب فهمه   فى كل ما يدنيه من شهواته

اذ جاءه ملك النفوس بسكرة . تركته ملقى الجسم بين نعاته
فتقطعت اسبابه وتخرمت . وتنكر المعروف من حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى . شق الجيوب عليه بعد وفاته

ولعبدة بن الطبيب

ولقد علمت بان قصري حفرة . غبراء يحملني اليها شرجع
وتركت في غبراء يكره وردها . تسفي على الريح حين اودع
ان الحوادث يخترمن وانما . عمر الفتى في اهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا . وليس بآكل ما يجمع
حتى اذا وفى الحمام لوقته . ولكل جنب لا ابالك مضجع

المرجع للتعين

وروى عن مجاهد ان اول من يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود انا بيت الوحشة انا بيت الغربة انا بيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وروى عن بعض الحكماء انه قال يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فدادا قال فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر يقول ارأيت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر اني اذا اعود عليه خضراء ويعود جسده نورا ويصعد بروحه الى رب العالمين وينشد

ان كنت تعلم ان الله يا عمر . يرى ويسمع ما تاتي وما تذر
وانت في غفلة من ذاك تركبها . نهاك عنه فاين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن . حثالة الناس تختفي وتستتر
فانظر لنفسك يا مسكين في مهل . ما دام ينفعك التفكر والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها . لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة   وفيهم لك يا مغتر معتبر

الفصل الثالث في اشراط الساعة

وهذا الفصل يحتوي على مقدمة وستة اقسام اما المقدمة فنذكر فيها علامات تدل على اشراط الساعة وذلك نحو ما روى عن النبي عليه السلام في مسائلة جبريل عليه السلام اياه وقد جاءه في صورة اعرابي فقال متى الساعة فقال النبي عليه السلام ما المسؤل عنها اعلم من السائل ولكن ساخبرك باشراطها اذا ولدت الامة ربها وربتها وتطاولت رعاة البهم في البنيان وقوله في حديث اخر لسائل ساله عن الساعة ما المسؤل عنها اعلم من السائل ولكن اشراطها عشرة يقرب فيها الاجل ويظرف فيها العاجز ويعجز فيها المنصف وتكون الصلاة منا والزكاة مغرما والامانة مغنما والاستطالة للفقراء وقوله لاتقوم الساعة حتى يسود كل قوم منافقوهم وحتى تلي رقاب الناس الحفاة العراة الجوع وان يكون سيد القوم لكع ابن لكع وتظهر اولاد البغية يعني اولاد الزنى ويعظم رب المال وتعلوا اصوات الفساق في المساجد ويظهر اهل المنكر على اهل الحق وقوله لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يفيض المال ويكثر وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه ويقال لا ارب لي فيه وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ويقول يا ليتني مكانه ونحو ما روى عن الراهب الذي كلم نضلة بن معاوية فقال اقرؤا عني السلام نبيكم وقولوا له

سدد وقارب فقد دنا الامر فاذا ظهرت فى امة محمد عليه السلام
عشر خصال فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء
بالنساء وانتسبوا الى غير انسابهم فلم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم
يوقر صغيرهم كبيرهم وتركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعلم
عالمهم العلم لينال به الدراهم والدنانير فكان المطر قيظا والولد غيظا
يعنى قليل ويشيدون البنيان واتبعوا الهوى وباعوا الدين
بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطعوا الارحام وباعوا الحكم وطولوا
المنارات وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد واظهروا الرشى
واكلوا الربا وصار الغنى عزا وركبت الفروج السروج فى امثالها مما
يطول به الكتاب تركته رغبة فى الاختصار وعنه عليه السلام
قال لا تقوم الساعة حتى تكون قبلها عشر خصال طلوع الشمس
من مغربها والدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج
وخروج الدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب والدخان ونار تحشر الناس والله اعلم

القسم الاول فى طلوع الشمس من مغربها

وقد زعم بعضهم انها اول اية خروجا والدابة احداهما قريبة
من الاخرى وقيل اولها الدجال والله اعلم وقال تعالى هل
ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة الى قوله تعالى او ياتى بعض
آيات ربك الاية قيل هو طلوع الشمس من مغربها وعن النبى
عليه السلام قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا طلعت فراها الناس امنوا جميعا حيث لا ينفع نفسا ايمانها
وعن ابن عمر قال سمعت النبى عليه السلام يقول ان الشمس اذا
غربت اتت تحت العرش فسجدت واستاذنت فى الرجوع فيؤذن لها

حتى اذا اراد الله ان يطلعها من مغربها استاذنت من تحت العرش في الرجوع فلا يرد عليها شيئا ثم تعود فتستاذن فلا يرد عليها شيئا فعلت انه لو اذن لها لم تدرك المشرق وقالت يا رب ما ابعد المشرق فمن لي بالناس حتى اذا كان الليل كالطوق استاذنت قيل لها اطلعي من مكانك ثم قرا يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية ويقال ان باب التوبة ينسد عند طلوعها والله اعلم *

القسم الثاني في الدجال

وقد روي ان النبي عليه السلام كان يتعوذ بالله من فتنة الدجال وعنه انه قال ان الدجال خارج وهو اعور عين اليمنى وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويقول للناس انا ربكم فمن قال انت ربي فقد فتن ومن قال ربي الله حتى يموت على ذلك عصم من فتنته وعن ابي سعيد عنه عليه السلام قال ان الدجال محرم عليه ان يدخل انقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي بالمدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق ويخرج اليه رجل وهو خير الناس او من خير الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال ارايتم ان قتلت هذا ثم احييته هل تشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت فيك اشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه قال بعض العلماء فبينما الناس في بلد اذ يسمعون الاقامة يريد الصلاة فتغشاهم غمامة فاذا بعيسى ابن مريم قد نزل *

القسم الثالث في نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام

وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات

امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى ابن مريم لانه
ليس نبى بينى وبينه وانه نازل لا محالة فاذا رايتموه فاعرفوه فانه
رجل مربوع الخلقة بين ممصرتين الحمرة والبياض سبط الراس
كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير
ويقاتل الناس على الاسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
حتى تقع الامانة فى الارض فيرتعى الاسد مع الابل والنمور مع
البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الغلمان بالحيات فلا يضر بعضهم
بعضا وفى حديث اخر يضع الجزية وتضع الحرب اوزارها فيملا
الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وفى كتاب النقاش
فى قوله تعالى وانه لعلم الساعة يقول نزول عيسى من السماء
السابعة علامة يقال ينزل على ثنية افيق وهو جبل بيت المقدس
وعن ابن عمر قال ينزل عيسى فاذا رآه الدجال ذاب كما تذوب
الشحمة فيقتله فتتفرق عنه اليهود فيقتلون حتى ان الحجر ليقول
يا عبد الله المسلم هذا يهودى تعال فاقتله والاخبار فى هذا
كثيرة تركتها مخافة التطويل

﴿ القسم الرابع ﴾

فى خروج ياجوج وماجوج قال الله تعالى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج الاية فتحت ارسلت قيل هما اخوان شقيقان
من ذرية يافث بن نوح عليه السلام قال الكلبى لا يموت الرجل
منهم حتى يولد له الف رجل من صلبه وعن كعب قال ياجوج
وماجوج ثلاثة اصناف فصنف امثال النخل الطوال نساؤهم
منهم وصنف اربعة اذرع طولا واربع عرضا وصنف يفترشون
آذانهم ويلتحفون الاخرى لهم خراطيم كخراطيم الكلاب فاذا
بلغ اجلهم انكسر السد الذى بناه ذو القرنين وقيل هما مائة الف امة

لاتشبه امة اخرى وعن قتادة هما اثنتان وعشرون قبيلة فسد
ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وكانت قبيلة منها غازية
وهم الاتراك وعن الاوزاعى قال هما امتان كل امة منها اربع
مائة الف وعن ابن عمر قال خلقهم ثلاث امم لايحصيهم الا الله
تعالى تاويل وتاريس ومنسك ويقال يحفر ياجوج وماجوج
السد فى كل يوم فاذا امسوا قالوا نجىء غدا نفتحه ولا يقولون
ان شاء الله فيجيؤن من الغد وقد اعاده الله كما كان فاذا اراد الله
فتحه قالوا نجىء ان شاء الله غدا نفتحه فيجيؤن فيفتحون ويخرجون
فيتحصن الناس منهم حتى ياتوا على دجلة والفرات فيشربون مافيهما
فيجىء اخرهم فيقولون قد كان ها هنا ماء مرة فيسلط الله عليهم
النغف فيقتلهم وفى حديث كعب قال فيفر الناس منهم فى
البرية والجبال فيقولون قد قهرنا اهل الارض فهلموا الى السماء
فيرمون بنشابهم اليها فترجع تقطر دما فيقولون قد فرغنا من
اهل الارض واهل السماء فيبعث الله عليهم اضعف خلقه وهو
النغف دودة تاخذهم فى رقابهم فتقتلهم حتى تنتن الارض من
جيفهم فيرسل الله اليهم الطير فتلقى جيفهم فى البحر ثم يرسل الله
السماء فتطهر الارض ثم تخرج الارض زهرتها وبركتها فترجع الناس
حتى ان الرمانة لتشبع اهل البيت فيبعث المسلمون جيشا فلا
يصلون اليهم ولا يرجعون الى اصحابهم حتى يبعث الله اليهم ريحا
طيبة يمانية من تحت العرش فتكفت روح كل مؤمن ثم لا اجد
مثل الساعة الا كرجل انتج مهرا فهو ينتظر متى يركبه فمن تكلف
من امر الساعة ما وراء هذا فهو متكلف وفى خبر اخر ان عيسى
عليه السلام اذا قتل الدجال اوحى الله اليه انى قد اخرجت

عبادالى لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى فى الطور فيبعث الله
ياجوج وماجوج كما قال وهم من كل حدب ينسلون الحديث كما
تقدم وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن
بعدخروج ياجوج وماجوج + القسم الخامس + فى الدابة
قال الله تعالى واذا وقع القول عليهم قيل معناه وجب الغضب
عليهم وقال النبى عليه السلام ذلك حين تركوا الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فوجب السخط عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
من كتاب عيون المعانى قيل ذات زغب ووبر وريش لها اربع قوائم
قال ابن الزبير راسها كراس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل
وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها
لون نمر وخاصرتها خاصرة فهد وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم
البعير وكل مفصل من مفاصلها اثنى عشر ذراعا تخرج ومعها عصا
موسى وخاتم سليمان فتختم وجه المؤمن بخاتم سليمان فيبيض
ويكتب سعد سعادة لايشقى ووجه الكافر بالعصا على عكس
المؤمن وعن على على صورة انسان مقاتل ذات جناحين طولها
مابين السماء والارض يرى راسها وعنقها من المشرق والمغرب
وتزلزل الارض ذلك اليوم ست ساعات فيصبحون وقد
جاءهم الدجال قوله تعالى من الارض اى من بعض اودية تهامة
وقيل من مكة وقيل من بحر سدوم وروى ان ابن عمر ضرب رجله
على الارض بالطائف وقال من هاهنا تخرج دابة الارض وقيل
بين الصفا والمروة وفى الحديث تخرج الدابة من اعظم المساجد
حرمة على الله بينما عيسى يطوف والمسلمون معه اذا الارض
تضطرب بحتهم تحرك القناديل فينشق الصفا عن دابة الارض

وعن ابن عباس قال الدابة هو الثعبان الذى كان فى البيت بين
ابى قبيس وبين بنيان البيت فارسل الله عقابا فاختطفه فطرحه
باصل حراء حيث خسف بالعماليق يقال لها اربع قوائم وزغب
وريش ولها جناحان واسمها افصا ولا يخرج منها غير راسها
فيبلغ السحاب وكلام الدابة من ايات القيامة وهو الوقت
الذى لا تقبل فيه توبة قال صاحب كتاب عيون المعانى الاقرب
الى العقل ان يكون انسيا فقيها مناظرا يناظر اهل البدع والكفر
فيجادلهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وذكروا
ان موسى عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يريه الدابة فخرجت
ثلاثة ايام ولياليها لا يرى طرفيها فراى منظرا كريها فقال
يارب ردها فرجعت وعن ابن عمر قال لا تقوم الساعة حتى يجتمع
اهل البيت على الاناء الواحد وهم يعرفون مؤمنهم وكافرهم
فذكر الدابة كما تقدم تمسح جبهة المؤمن نكتة بيضاء وجبهة
الكافر نكتة سوداء قال حتى انهم ليتبايعون فى اسواقهم
فيقول هذا كيف تبيع يا مؤمن ويقول الاخر كيف تبيع يا كافر
والله اعلم وفى بعض الكتب ان الدابة فصيل ناقة صالح
عليه السلام وفيها غير ما ذكرنا تركته حبا للاختصار القسم
السادس الخسوف وغير ذلك وعن النبى عليه الصلاة
والسلام قال كائن فيكم الخسف والمسخ والقذف قالوا وهم
يشهدون ان لا اله الا الله قال نعم اذا ظهرت فيهم الاربع
المغنيات والمعازف والخمور والحرير وفى الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام قال ليبيتن اقوام من امتى على معازف وشراب فيصبحون
ممسوخين قردة او قال وخنازير وعن حذيفة قال كيف بكم

اذا خرج احدكم من حجلته فمسخ خنزيرا فيرجع يطلب اهله فيفرون منه
وعن ابي بن كعب في قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم قال هي خلال اربع وهن واقعة لا محالة فمضت
ثنتان بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بخمس وعشرين سنة
قال البسوا شيعا وذاق بعضهم باس بعض واثنتان واقعتان
لا محالة الخسف والرجم ويقال لا تقوم الساعة حتى يرفع البيت
ويرفع القران من القلوب فترجع الناس الى المصاحف فاذا الورق
بيض فيرجعون الى اخبار الجاهلية واغانيهم فتقوم الساعة
ولا تقوم على مؤمن باجماع من الامة فيما وجدت والله اعلم
واما الدخان فقيل هو الجدب في زمان النبي عليه الصلاة
والسلام وقيل ينزل من السماء يوم القيامة فياخذ باسماع
المنافقين وياخذ المؤمنين منه كالزكام والله اعلم

فصل في قيام الساعة

قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر الاية اي سرعة
البصر قيل ان البصر يبلغ مسيرة خمس مائة عام الى السماء -
وعن النبي عليه السلام قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان
ثوبهما بينهما ليتبايعاه فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن
الساعة وهو يليط حوضه فلا يستقي فيه ولتقومن
الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها وعنه عليه
السلام قال كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن
واستمع الاذن متى يؤمر فينفخ وقال بعث الي حين
بعث الى صاحب الصور وقال بعثت انا والساعة كهاتين

فقرن بين اصبعيه كادت ان تسبقني فسبقتها وقد انفرد الله تعالى بعلم الساعة لا تاتيكم الا بغتة وزعم بعضهم ان الساعة في يوم الجمعة في شهر مارس وان الشمس اذا غابت ليلة الجمعة فكل دابة مصيخة باذنها الى قيام الساعة حتى يصبح الا الثقلين والله تعالى اعلم

صفة نفخ الصور

قال الله تعالى ونفخ في الصور من قرا بفتح الواو فجمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيى باذن الله وهو مروي عن الحسن وقتادة واكثر القول ان الصور قرن دليله ثم نفخ فيه اخرى فلم يقل فيها الا ان تكون الصور في القرن فاذا نفخ فيه فقد نفخ في الصور وعن مجاهد الصور قرن كقرن الثور وزعموا ان النبي عليه السلام قال الصور قرن من نور والذي بعثني بالحق لعظم دارة فيه كعرض السماء والارض ينفخ فيها ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث وفي رواية عن ابي بن كعب نفختان قال فيامر الله تعالى اسرافيل في النفخة الاولى فينفخ فيه فيفزع من في السموات ومن في الارض وهو قوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال ابن عباس هم الشهداء وقيل هم الانبياء وقال مقاتل هم الملائكة قال فتزلزل الارض وتذهل كل مرضعة عما ارضعت الى قوله شديد فيصير الولدان شيبا وتطير الشياطين هاربة وذلك قوله تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الاية ويقال نزلت هذه الاية في غزوة بني المصطلق ليلا فقراها عليهم النبي عليه السلام فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة وذلك حين قال لهم هل تدرون اي يوم هو قال ثم قال ذلك يوم يقول الله لادم عليه السلام ابعث بعث النار

من ذريتك فيقول كم يارب فيقول من كل الف تسع مائة وتسعة
وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فهنالك يشيب الصغير ويسكر
الكبير الحديث فلما نزلوا رأى الناس من بين باك حزين وبين متفكر
ساكت فقال لهم سددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا فى
شىء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس
فوالذى نفسى بيده ما انتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير او
كالرقمة فى ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء فى الثور الابيض وانى
لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله وقال انى
لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وانى لارجو ان تكونوا ثلثى اهل
الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتى ويدخل
الجنة منها سبعون الفا بغير حساب فقام عكاشة فقال ادع الله
ان يجعلنى منهم فقال انت منهم وقال آخر مثل ذلك فقال سبقك
بها عكاشة وبردت الدعوة وقوله ان زلزلة الساعة شىء عظيم
قيل اشراطها وقيل الرجفة عند البعث وعن ابى قال النفخة الاولى
ويقال ذلك قبل النفخة الاولى ينادى مناد من السماء يا ايها الناس
اتى امر الله فيسمع صوته جميع اهل الارض فيفزعون فزعا شديدا
ويموج بعضهم فى بعض فيشيب فيه الصغير ويسكر الكبير وتضع
الحوامل ما فى بطونها وتدع المراضع البنين من الفزع وعن ابى
ابن كعب قال ست ايات قبل يوم القيامة قال بينما الناس فى
اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فدكت الارض
واضطربت ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت
الدواب والطيور والوحوش وماج بعضهم فى بعض واذا الوحوش

حشرت قال اختلطت واذا العشار عطلت قال اهملها اهلها
واذا البحار سجرت قال الجن تاتيكم بالخبر فانطلقوا فاذا هي نار
تتاجج فبينما هم كذلك جاءتهم ريح فاهلكتهم وعن ابن عمران النبي
عليه السلام قال من اراد ان ينظر الى القيامة راى العين فليقرا
اذا الشمس كورت صفة النفخة الثانية قال الله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض يعني مات
من شدة الصوت والفزع الا من شاء الله قال كعب يعني جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ثم يموتون بعد وقيل الشهداء
وقيل رضوان ومالك والزبانية والحور والولدان قال يقول الله
للملائكة المستثنيين موتوا فيموتون فيقول لمن الملك اليوم فلا
يجيبه احد فيقول لله الواحد القهار وعن ابن عباس ينفخ في الصور
فيموت من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله سوى الملائكة
المتقدمة ثم يموتون ويموت ابليس فيمن يموت وقوله تعالى ان كانت
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون قيل في اسواقهم يتبايعون
وعن الحسن قال بين النفختين اربعون والله اعلم اعاما ام شهرا ام يوما
فاما النفخة الاولى فاماتت كل حي واما النفخة الاخرة فاحيت كل
ميت وعن الربيع بن انس قال قسم الله الماء الذي كان عرشه
عليه قبل ان يخلق السموات قسمين فجعل نصفه تحت العرش
وهو البحر المسجور ولا ينقص منه قطرة حتى ينفخ في الصور النفخة
الاولى فينزل الله منه بين النفختين مثل المني على الارض فينبت منه
اجسام من هو مبعوث من الجن والانس وذلك قوله كذلك نخرج
الموتى وجعل النصف الاخر تحت الارض السفلى والله اعلم بغيبه
واحكم صفة النفخة الثالثة قال الله تعالى ونفخ في

الصور فاذا هم من الاجداث الاية ففي كتاب النقاش قال هي النفخة الاخيرة قال وبين النفختين اربعون سنة قال ثم تمطر السماء اربعين يوما كمني الرجال ومن غيره فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبتون به في قبورهم كما ينبتون في بطون امهاتهم وفي حديث النبي عليه السلام حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت ثم يقول الله تعالى لتحيي حملة العرش فيامر اسرافيل فياخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحيي جبريل وميكائيل فيحييان بامر الله تعالى ثم يدعوا الله بالارواح فيؤتى بها فيجعلها في الصور ثم يامر اسرافيل فينفخ نفخة البعث وفي كتاب النقاش انه يقول ايتها العظام البالية وايتها العروق المتقطعة وايتها اللحوم المتمزقة وايتها الاشعار الساقطة اجتمعوا الانفخ فيكم ارواحكم ويجازيكم باعمالكم فيديم الملك الصوت فتجتمع الارواح كلها في القرن وطوله كطول السموات والارضين وعرضه كذلك ثم تخرج الارواح مثل النحل سود وبيض وشقي وسعيد فتهبط ارواح المؤمنين بيضا كامثال النحل من السماء العليا الى واد بدمشق يقال لها الجابية وهو خير واد في الارض وتخرج ارواح الكافرين من الارض السفلى سود مثل الذر الى واد بحضرموت يقال له برهوت وهو شر واد في الارض وكل روح اعرف بجسد صاحبها من احدكم الى منزله فياتون افواجا ثم ينزل اسرافيل من فوق السماء السابعة فيجلس على صخرة بيت المقدس وياخذ ارواح المؤمنين والكفار كالذر السود والبيض فيجعلهم في القرن ودائرة فم القرن مسيرة خمس مائة عام ما بين السماء والارض فتطير الارواح حتى تطبق ما بين السماء والارض مثل النحل فيذهب

كل روح فيقع فى جسد صاحبه فيخرجون من قبورهم فوجا فوجا
وفى قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد قيل هو اسرافيل يقول
ايتها العظام النخرة كما تقدم ثم قال من مكان قريب قال الحسن
واى شئ اقرب من انهم بينما هم فى بطنها اذ نودوا فاذا هم على
ظهرها وقيل من مكان قريب عن مقاتل من صخرة بيت المقدس
ويقال قربت من السماء بثمانية عشر ميلا ثم قال يوم تشقق الارض
عنهم فيخرجون من الاجداث سراعا الى اجابة الداعى والصوت
الذى سمعوا وقوله فاذا هم من الاجداث اى القبور الى ربهم ينسلون
يخرجون سراعا وعن مجاهد قال ان للكفار هجعة قبل يوم القيامة
فاذا صيح باهل القبور قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقيل
ان الكفار لا يعذبون فى القبور بين النفختين هذا ما وعد الرحمن اى
قال لهم المؤمنون وقيل الملائكة الذين يكتبون اعمالهم هذا
ما وعد الرحمن الاية (صفة المحشر واهواله واهله)
قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الاية قيل تبدل هذه
التى عليها بنوآدم ارضا بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل
عليها معصية وهى ارض الصراط ويقال عمق الصراط مسيرة
خمس مائة عام وتبدل السماء فلا تكون سماء وخرجوا من قبورهم
فى ارض مستوية ليس فيها جبل ولا بناء ولا نبت ولا يستترون
بشئ وعن ابن عباس يزاد فيها وينقص فتذهب اشجارها وجبالها
واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظى ارض بيضاء مثل
الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات
تذهب شمسها وقمرها ونجومها ويقال اذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر

واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ مارت السماء
من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها خمس مائة عام والملائكة قيام
على حافتها ثم تسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فصارت
وردة كالدهان فصارت كالمهل فكانت الجبال كالعهن واشتبك
الناس كالفراش وكانوا حفاة عراة ويقال اول من يكسى يوم
القيامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال النبي عليه السلام
يحشر الناس يومئذ ثلاثة اصناف مشاة وركبانا وعلى وجوههم
فقال رجل كيف يمشون على وجوههم قال الذى امشاهم على
ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وعنه عليه السلام قال
يحشر الانبياء على الدواب فيوافى المؤمنون من يوم هم الحشر ويقال
اذا كانت النفخة الاخرة خرجت الخلائق على وجه الارض من
قبورهم فاما المؤمنون فيسرعون الى الداعى واما المنافقون
والمشركون فيتثاقلون فيبعث الله عليهم نارا او دخانا تسوقهم
الى المحشر فذلك قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ❊
صفة العرق وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال
يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعون
ذراعا فيلجمهم ويبلغ آذانهم وعنه انه قال تدنوا الشمس من
الارض يوم القيامة فتعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبيه
ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم الى ركبتيه ومنهم الى فخذه
ومنهم الى خاصرته ومنهم الى فيه واشار بيده والجمه اياه ومنهم
من يغطيه عرقه فضرب بيده على راسه هكذا وذلك انه قيل
لا يبقى على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ويستظل به
من يشاء الله من عباده المقربين والمخلصين وعنه صلى الله عليه وسلم

تلى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال كيف بكم اذا
اجتمعتم كما تجتمع النبل فى الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم
ويقول لطول يوم القيامة على المؤمن مثل ما بين الظهر والعصر
وعنه عليه السلام انه قال والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن
حتى يكون اهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها وعن كعب
وقتادة قال يقوم الناس لرب العالمين ثلاثمائة عام وقوله تعالى
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قيل من سنين الدنيا
مقدار موقفهم حتى يفصل بين الخلائق ويوم القيامة يوم ممدود
ابدا لا غاية له وقيل لوهب يوم القيامة مقدار خمسين الف سنة
قياما لا ينطقون فقال ان المقدار ما بين السماء والارض الى
العرش مقدار خمسين الف سنة ولعل يوم القيامة يكون
يوما من ايام الدنيا على الله او اقل يقول ان ربك لسريع العقاب
وعن ابراهيم قال يصل اليهم من المكروه فى ذلك اليوم مقدار
ما يصل فى خمسين الف سنة والله اعلم

﴿ صفة الوقوف فى المحشر ﴾

قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ففى كتاب
النقاش قال وذلك ان الله يبعث الاجساد التى كانت فى الدنيا
من حيث كانت من بطون السباع وحواصل الطيور ومن
البحور وبطون الارض وظهورها الان جميع ذلك قد صار ترابا
واجزاء متبددة فيجمع ذلك كله حتى يصير جسدا واحدا فيدخل
كل روح فى جسده فيحشرون الى ارض تسمى الساهرة فيقوم
جميع الثقلين على ارجلهم مستديرين كالصفوف حول الكعبة
وحشر سائر الخلائق كل امة صفا الخيل صفا والبقر صفا وكذلك

سائرها وذلك قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
الى قوله يحشرون وقال فوربك لنحشرنهم والشياطين ومن غيره
قال بعضهم لا يحشر الا الثقلين لان غيرهم لا يجرى عليهم التكليف
في الدنيا ولا ثواب لهم ولا عقاب عليهم في العقبى وقال تعالى وجاء
ربك قال الحسن امره وقضاؤه والملك صفا صفا وذلك ان
السموات تنشق فينزل ملائكة كل سماء وتقوم على حدة وعن
ابن عباس قال اهل سماء الدنيا وحدهم اكثر من جميع اهل الارض
جنهم وانسهم بالضعف ثم اهل كل سماء اكثر من الذين تحتهم من
اهل السموات واهل الارض بالضعف لا من الجن ولا من الانس
ثم تفيض اهل السماء السابعة فينتشر اهلها على وجه الارض
فهم وحدهم اكثر من جميع اهل السموات واهل الارض جنهم وانسهم
وملائكتهم بالضعف قال فبينما هم كذلك اذ جئ بجهنم فيراها
الخلق كلهم يقال من مسيرة خمس مائة عام عليها سبعون الف
زمام على كل زمام سبعون الف ملك يحبسونها عن الخلائق
وجوههم كالجمر واعينهم كالبرق فاذا تكلم احد تناثر من فيه النار
بيد كل ملك مرزبة عليها سبعون الف رأس كامثال الجبال
وهي اخف في يده من الريش له رؤس كرؤس الافاعي واعينهم
زرق تريد أن تنقلب على الخلائق من غضب الله عز وجل قال هذا
كله قول الصحابة وفي كتاب الغزالي قال فيقول الجبار جل جلاله
عند ذلك يا جبريل ائت بجهنم فياتيها فيقول لها اجيبي خالقك
فلم يلبث ان طارت وزفرت الى الخلائق غضبا على من عصى الله
فيسمع للخلائق منها ذلك وانتفضت خزنتها متوثبين الى
الخلائق غضبا على من خالف امر الله فيتساقطوا جثيا على ركبهم

وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية الاية وسقط بعضهم على بعض
على الوجوه منكسين وينادى الظالمون بالويل والثبور وينادى
الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النار ثانية
فتساقطوا على وجوههم ثم زفرت ثالثة فتساقطوا على وجوههم
ايضا وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي فعند ذلك
تنهض قلوب الظالمين لدى الحناجر كاظمين وذهلت عقول
السعداء والاشقياء اجمعين ويقال اذا اجتمعت الخلائق
بيت المقدس زفرت جهنم فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل
الاظن انه لو جاء بعمل سبعين نبيا ما نجا فعند ذلك تاهت عقول
المرسلين فيقال لهم ماذا اجبتم في التوحيد قالوا لا علم لنا ثم ترجعت
عقولهم بعد ذلك فيشهدون على قومهم انهم قد بلغوا الرسالة
عن ربهم فذلك قوله تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الاية ﴿ صفة الحساب والمسائلة ﴾ وفي الخبر
عن النبي عليه الصلاة والسلام قال ينادى مناد يوم القيامة
سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون
ويسرحون الى الجنة ثم ينادى الثانية سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم
ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية فيسرحون الى
الجنة ثم ينادى الثالثة سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية قال فيسرحون الى الجنة
قال ثم يخرج عنق من النار لها لسان فصيح وعينان بصيرتان
فتشرف على الخلائق فتقول اني وكلت بثلاثة وكلت بكل جبار
عنيد فتلتقطهم لقط الطير حب السمسم فتخنس بهم في جهنم
ثم تقول اني وكلت بمن آذى الله ورسوله فتلتقطهم فتخنس بهم

في جهنم ثم تقول اني وكلت باصحاب التصاوير فتلقطهم الى جهنم فاذا اخذ هؤلاء نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب وذلك قوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين الاية ويقال ان اول من يدعى يوم القيامة للحساب اسرافيل فيقول له الله هل بلغت عهدي فيقول نعم يارب قد بلغت جبريل فيقال له هل بلغك اسرافيل عهدي فيقول نعم فيخلا عن اسرافيل فيقال لجبريل وما صنعت بعهدي فيقول قد بلغته الرسل فتدعى الرسل فيسالون ويقولون نعم قد بلغناه الامم فتدعى الامم فيسئلون فمكذب ومصدق فيقول الرسل لنا عليهم شهداء فيقول تعالى من وهو اعلم فيقولون امة محمد فتدعى الامة فيقال لهم اتشهدون بان الرسل بلغت الامم فيقولون نعم فيقول الامم يا ربنا كيف يشهدون علينا ولم يدركونا فيقول الله لهم ذلك فيقولون يا ربنا ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابك فقصصت علينا ان قد بلغوا وذلك قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الاية وقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد يحاسب يوم القيامة الا عذب قالت قلت يا رسول الله اليس قال فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض وليس احد يناقش الحساب الا عذب قيل النقش هو الاستقصاء ثم قال ابشروا فانه ما استقصى كريم قط وفي الحديث لا تزول قدم ابن ادم يوم القيامة حتى يسئل عن خمس

عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن ماذا عمل فيم علم وعن الحسن بن محمد قال يحاسب الله المسلمين بالمنة والفضل والكفار بالحجة والعدل

ولبعض الشعراء

تسربل ثوب الحلم واعرض عن الجهل . وبادر بتقوى الله ما دمت في المهل
تذكر غدا يوم الحساب وهوله . اذا جمع الله الخلائق للفصل
هنالك لا يجور يخاف وانما . يخاف هناك الخائفون من العدل

وقال بعض العلماء في قوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الاية قال هي الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء وثديي لك سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا بني لقد اثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا اماه اني اليوم عنك مشغول وينشد لابي يزيد

يا ويلتا من موقف ما به . اخوف من ان يعدل الحاكم
ابارز الله بعصيانه . وليس لي من دونه راحم
يا رب غفرانك عن مذنب . اسرف الا انه نادم

وعن ابن مسعود قال وددت ان حسناتي فضلت سيئاتي مثقال ذرة ولو اني وقفت بين الجنة والنار لا ادري الى ايهما اصير ثم قيل تمن لتمنيت ان اكون ترابا

صفة الصحف

وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الكتب يوم القيامة تحت العرش فاذا كان يوم القيامة بعث الله ريحا فتطيرها في الايمان والشمائل وقال تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه الاية وعن بعض السلف قال اول خط في الكتاب اقرا كتابك

الاية ويقال سيقرا يومئذ من لم يكن قارئا وقال بعض العلماء ثلاثة مواطن لا يسال فيها احد احدا اذا تطايرت الكتب حتى يعلم ايا خذ كتابه بيمينه ام بشماله واذا وضعت الموازين حتى يعلم ايثقل ميزانه ام يخف وعند الصراط حتى يعلم ايجوز ام لا وفى التفسير قال اذا كان الرجل فى الخير راسا يدعو اليه دعى باسمه واسم ابيه فيخرج له كتاب ابيض بخط ابيض فى باطنه الحسنات وفى ظاهره السيآت فيبدا بالسيآت فيقرأها فيشفق ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك وقد غفرت لك فيفرح ثم يقلب الكتاب فيقرا حسناته فلا يزداد الا فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ضوعفت لك ويوضع تاج على راسه ويكسى حلتين ويحلى منه كل مفصل ويطول ستين ذراعا وهى قامة آدم عليه السلام فيقال له انطلق الى اصحابك فبشرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا ادبر قال هاءم اقرؤا كتابيه الاية فيقول لاصحابه اما تعرفونني فيقولون غيرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا قال واذا كان فى الشر راسا يدعو اليه نودى باسمه واسم ابيه فيقوم الى حسابه فيخرج له كتاب اسود بخط اسود فى ظاهره الحسنات وفى باطنه السيآت فيبدا بالحسنات فيقراها فيفرح وظن انه سينجو فاذا بلغ فى اخره وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه ويقرا سيآته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا اسوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك

فيمكر وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران فيقال
له انطلق الى اصحابك فاخبرهم ان لكل انسان منهم مثل ذلك فاذا
ادبر فينطلق وهو يقول ياليتني لم اوت كتابيه الاية فينادي اصحابه
اما تعرفوني فيقولون ما ندري ولكن قد نرى ما بك من الحزن من
انت فيقول انا فلان ابن فلان ان لكل انسان منكم مثل هذا والله
اعلم **صفة الحوض** وعن النبي عليه السلام قال حوضي
مسيرة شهر ماءه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه
كنجوم السماء من شرب منه فلا يظما ابدا وفي حديث اخر قال
الا ان لكل نبي حوضا يدعوا اليه من عرفه من امته وانهم ليتباهون
من هو اكثر وارده ما بين جنبتي حوضي كما بين صنعاء وايلة فيه عدد
نجوم السماء آنيته ذهب وفضة شرابه ابيض من اللبن واحلى من
العسل وابرد من الثلج من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا
وقال ما بين منبري وحوضي روضة من رياض الجنة ومنبري على
حوضي **صفة الميزان** وعند علمائنا رحمهم الله ان
الميزان معناه فصل وتمييز للاعمال والنيات قال الله تعالى
والوزن يومئذ الحق وقالت الاشعرية واشياعها ان الميزان المذكور
في القران هو ميزان على الحقيقة له عمود وكفتان ورووا ان الحسنات
يؤتى بها في احسن صورة فتوضع في كفة وان السيات يؤتى بها
في اقبح صورة فتوضع في كفة اخرى وهذا عند اصحابنا باطل
لان الاعمال اعراض ولا يتصور وزن ما ليس صورة والله
تعالى اعلم **صفة الصراط** قال الله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم قالت الاشعرية ان الصراط احد من السيف وادق
من الشعر له كلاليب وحسكا وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا

وعلى جنبيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ولم يقل اصحابنا بهذا انما
الصراط المستقيم عندهم طريق الاسلام ولا ادري قول الله تعالى
صراط الجحيم اهي القناطر السبع المذكورة في تفسير قول الله تعالى
ان ربك لبالمرصاد ام لا وفي كتاب النقاش من فقهاء قومنا قال
حدثنا ايفع بن عبيدة وابو اليمان قال ان لجهنم سبع قناطر ثلاثة
دون الرب تعالى والله تعالى على الرابعة الوسطى والصراط احد
من السيف وادق من الشعر فيقول الله تعالى حين يبلغون القنطرة
الاولى قفوهم انهم مسئولون فيحاسبون على الصلاة فيهلك من
هلك وينجو من نجا ثم يحاسبون على القنطرة الثانية على الامانة
ثم يحاسبون على الثالثة وهي ادنى من الرب فيحاسبون على صلة الرحم
فيهلك من هلك وينجو من نجا فيمرون بالرب فيؤخذ بالنواصي والاقدام
وهذا منهم تصريح للتحديد تعالى الله ان يحده مكان قاتلهم الله انى
يؤفكون ما جاء في القصاص عن ابن مسعود عن النبي عليه مطلب
السلام قال اول ما يقضى بين الناس في الدماء وعنه انه قال من
كانت له عند اخيه مظلمة فليحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم
من قبل ان تؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ
من سياته فطرحت عليه وعنه صلى الله عليه وسلم قال ليحبسن
اهل الجنة بعد ان يجاوزوا الصراط ولم يدخلوا الجنة حتى يؤخذ
لبعضهم من بعض مظالمهم التي تظالموها في الدنيا فيدخلون الجنة
وليس في قلب بعضهم على بعض غل والله اعلم * في الشفاعة * مطلب
وهي حق نطق بها القران وذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه في امثال هذه الاي كثير والشفاعة عند اصحابنا

انما هي للمؤمنين دون اهل الكبائر لقوله عليه السلام لا ينال شفاعتي
سلطان ظلوم غشوم للناس ورجل لا يراقب الله في اليتيم وقال
صنفان من امتي لا تنالهما شفاعتي وهما ملعونان على لسان
سبعين نبيا القدرية والمرجئة وعند قومنا انها ثلاث شفاعات
فيما وجدت في كتبهم احدها شفاعة المحشر والثانية للسبق
الى الجنة والثالثة لاهل الكبائر الموحدين يخرجون بها من النار
عندهم واحاديث الشفاعة مستفيضة في الكتب وصفتها مشهورة
تركنا جميع ذلك مخافة التطويل وهي عند اصحابنا في الحساب
بعد طول مقام على ارجلهم وبعد ان بشر اصحاب الايمان
واخذ واكتبهم بايمانهم فشفع لهم حتى اراحهم الله من الموقف
وهي تشريف لمنازلهم وترفيع لدرجاتهم لان من اوجب له
القران الخلود في النار لا شفاعة له واختلف في اصحاب
الاعراف قيل هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم وقيل
قوم خرجوا الى الجهاد بغير اذن اباءهم واستشهدوا وقيل قوم
فيهم عجب وقيل ذراري المشركين ومعنى الاعراف جبل فيه
اشراف متفاوتة كعرف الديك وهو الحجاب الذي قال الله
تعالى وبينهما حجاب وهم اهل الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون والله اعلم صفة جهنم اعاذنا الله
منها قال الله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة
ابواب الاية قيل هي دركات جهنم بعضها اسفل من بعض
كل باب منها اشد حرا من الذي فوقه بسبعين جزءا بين كل بابين
مسيرة سبعين سنة اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم الجحيم ثم الهاوية ثم سقر وفي كتاب النقاش قال معنى جهنم

الواسعة الجوف قال وابواب النار كلها فيها قال واما السعير فهى ابدا تسعر وتزداد حرا واما لظى فانها تتلاظى عليهم حرا بعد حر اشد من الاول واما سقر فتفسيرها المهينة فيها الهوان من كل ضرب وتقول العرب سقرته بلسانى اى اهنته واما الجحيم فذات الجمر العظام فالجحيم الجمر وهو جمر اسود ليس لها نور واما الحطمة فلا يدخلها الكفار حتى تحطم كل عظم فى جسده ووجهه من ضيقها واما الهاوية فهى سجين وسميت الهاوية لان صاحبها تهوى به ابدا لا يبلغ اسفلها وعن النبى عليه السلام قال نار كم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت عليها بتسعة وتسعين جزءا كلهن مثل حرها وعن ابى هريرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ سمعنا وجبة فقال اتدرون ما هذه قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها وقال ايضا اوقدت النار الف سنة حتى احمرت فاوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعنه عليه السلام قال اشتكت النار الى ربها فقالت يارب اكل بعضى بعضا فاذن لى بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما تجدون من الحر واشد ما تجدون من الزمهرير وعنه عليه السلام قال ان اهون اهل النار عذابا رجل توضع فى اخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم وعن ابن مسعود فى قوله فسوف يلقون غيا قال نهر فى جهنم يسيل من صديد اهل النار وعن سعيد بن جبير فى قوله تعالى والشجرة الملعونة

فى القران قال الزقوم اذا جاع اهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا
منها فانسلخت وجوههم حتى لو ان مارا مر عليهم يعرفهم لعرف
جلود وجوههم فاذا اكلوا منها القى عليهم العطش استغاثوا فاغيثوا
بماء كالمهل والمهل الذى قد انتهى حره فاذا ادنوه من افواههم انضج
حره الوجوه ويصهر به ما فى بطونهم اراد الامعاء فيضربون
بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله فيدعون بالثبور
وعن ابى هريرة لو كان فى المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس
رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض اهل العلم فى قوله تعالى
تلفح وجوههم النار انها تلفحهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على
عظم الا القته على اعقابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لو ان دلوا من غساق جهنم القى فى الدنيا لنتن اهل الارض
فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش وقال تعالى لآكلون
من شجر من زقوم ثم بينها فقال انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم
الى قوله لشوبا من حميم وعن النبى عليه السلام قال لو ان قطرة
من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لفسد عن الناس معايشهم
فكيف من يكون طعامه ذلك وقال عليه السلام يلقى
على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع
فيستغيثون فيغاثون بطعام ذا غصة فيذكرون انهم يجيزون
الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع لهم
الحميم بكلاليب الحديد فاذا ادنت من وجوههم شوت وجوههم
قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الاية

فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون
فيقولون ادعوا ربكم لا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت
علينا شقوتنا الى قوله فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا
تكلمون فعند ذلك ايسوا من كل خير فاخذوا في الزفير والحسرة
والعويل وقال عليه السلام في قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد
يسيغه الاية قال يتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت
فروة راسه وقال عليه السلام في النار حيات كامثال اعناق
البخت تلسع اللسعة فيجد حمتها اربعين خريفا وقال ان فيها
العقارب كالبغال الموكفة يلسع اللسعة فيجد حمتها اربعين
خريفا وقال عليه السلام ضرس الكافر في النار مثل جبل
احد وغلظ جسده مسيرة ثلاثة ايام وان شفته السفلى
ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال
عليه السلام ان الكافر ليجر في سجين يوم القيامة قال الحسن في نسخة
في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال
تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم
عودوا فيعودون كما كانوا وعن النبي عليه السلام في قوله
تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسلا الاية قال ينشي الله
لاهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال لهم اي شيء تطلبونه
فيذكرون بها سحائب الدنيا فيقولون يا ربنا الشراب فتمطرهم
اغلالا وسلاسلا تزيد في سلاسلهم وحميما تلتهب عليهم
وفي كتاب النقاش في قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي
ثلاث شعب قال يقال لهم اذا زفرت جهنم زفرة يخرج عنق
من النار فيحيط باهلها ثم تزفر زفرة اخرى ويخرج عنها الخ

فيحيط بهم ثم ترفع ثالثة فيخرج عنها فيحيط بالاخرين فيصير لهم
سراديق من نار فيخرج دخان جهنم فوقهم فيظن اهل النار انه
ظل وانه سيمنعهم من النار فيساقون كلهم فيستظلون تحتها
فيجدونها اشد حرا من السرادق فذلك قوله انطلقوا الى ظل
ذى ثلاث شعب لانها تتقطع ثلاث قطع لا ظليل ولا يغنى
من اللهب لهب السرادق الذى احاط بهم وعن الحسن
فى قوله ان جهنم كانت مرصادا ويقال ترصد اهلها كما يرصد
الاسد الوحش نزلت فى الوليد بن المغيرة ثم ذكر كم يلبثون فى
النار فلم يوقت لهم فقال لابثين فيها احقابا اى ازمنة
لا يدرى كم عددها والاحقاب جمع حقب ويقال الحقب
ثمانون سنة كل سنة ثلاث مائة وستون يوما كل يوم منها
كالف سنة وانما ذكر الاحقاب لانها اعظم من الايام ودل على
انها احقاب بعد احقاب لا الى غاية وفى قوله تعالى ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت وفى كتاب النقاش قال
يقال يحرق فى [illegible] النار
وتاكله [illegible] نار
وفى كل مفصل منه سبعة الوان من العذاب لا [illegible] ولا يسمع
ولا يموت ابدا ولا [illegible] عليه غضبان
[illegible] ولا اقحم
[illegible] بكى النبى [illegible] بالله
[illegible] قال
[illegible] سفلها الى [illegible] مسيرة الف
[illegible] وهى جمرة واحدة عليها الفياض

والافاعى والعقارب تضرب احدهم الحية بفقارها فيتناثر لحمه
على قدميه قال فبكى المسلمون فانزل الله وما ادراك ما العقبة
يا محمد لا ينجو منها الا من اعتق رقبة او اطعم فى يوم ذى مسغبة
يتيما ذا مقربة الاية كلها وقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب
يعنى شدة العذاب وهو فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى
عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من جبل الكبريت يشتعل النار
فى الحجر وهو معلق فى عنقه فتشتعل فى وجهه لا يطيق دفعها
عنه من اجل الاغلال التى فى يديه وعنقه وفى قوله تعالى اذ
القلوب لدى الحناجر كاظمين قيل اذا عاينوا النار شخصت
ابصارهم واخذتهم رعدة من الخوف فشهقوا شهقة زالت
قلوبهم من اماكنها فتنتشب فى حلوقهم فلا هى تخرج ولا هى
ترجع ابدا وعن الضحاك قال يحشر الكافر وبصره
حديد ثم يزرق ثم يعمى والقلب يتقلب فى جوفه ويريد
ان يخرج فلا يستطيع فيثب فيقع فى الحنجرة فذلك قوله
اذ القلوب لدى الحناجر وعن محمد بن كعب قال لاهل النار
خمس دعوات يجيبهم الله تعالى فى اربع فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين الاية
فيجيبهم ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم ويقولون ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجيبهم ذوقوا بما نسيتم الاية
ويقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب الاية فيجيبهم اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ويقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا الاية فيجيبهم اولم نعمركم الاية ويقولون ربنا اخرجنا
منها الاية فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يتكلمون

بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب وعن زيد بن اسلم فى قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الاية قال جزعوا مائة سنة وصبروا مائة سنة فقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الاية قد ذكرنا طرفا من اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل انواعها لانهاية لها واعظم الامور على اهلها من شدة ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوات نعيم الجنة ورضا الله تعالى عنهم مع علمهم لانهم باعوا كل ذلك بشهوة خسيسة ودنيا حقيرة فى ايام قصيرة فنسال الله تعالى ونتضرع اليه ان ينجينا من غضبه وعذابه ومن فوات ثوابه والله ارحم الراحمين

صفة الجنة واصناف نعيمها

قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها الى قوله فنعم اجر العاملين وعن على بن ابى طالب انه قرا هذه الاية فقال اذا وصلوا الى باب من ابواب الجنة وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احدهما فيذهب ما فى بطونهم من اذى وباس فيتطهرون من الاخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير اشعارهم ولا تشعث رؤسهم ابدا ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم الاية قال ثم تتلقاهم الولدان فيقولون لاحدهم ابشر بما اعد الله لك من الكرامة قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به قالت انت رايته قال انا رايته باثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه

فاذا الجندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واصفر من كل لون ثم ينظر
الى سقفه فاذا هو مثل البرق فلولا ان الله عز وجل قدر الا يذهب
بصره لذهب ثم يطاطئ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة
ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكا فقال الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن الاية الحمد لله الذى هدانا لهذا الاية ثم ينادى
مناد يحيون فلا يموتون ابدا ويقيمون فلا يظعنون ابدا ويصحون
فلا يمرضون ابدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يُرى باطنها من ظاهرها
وظاهرها من باطنها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما
لا عين رات ولا اذن سمعت قال جابر قلت يا رسول الله لمن
هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام
وصلى بالليل والناس نيام قال قلت يا رسول الله ومن يطيق
ذلك قال امتي يطيقون ذلك وساخبركم عن ذلك فمن لقي
اخاه المسلم وسلم عليه او رد عليه السلام فقد افشى السلام
ومن اطعم اهله وعياله حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام
ومن صام شهر رمضان وثلاثة ايام من كل شهر فقد ادام
الصيام ومن صلى العشاء الاخيرة والغداة بجماعة فقد صلى
بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل
عليه السلام عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
قال قصر من اللؤلؤ في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير
على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من
الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون

لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة
يعنى من القوة ما ياتى على ذلك اجمع وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال جنة عدن قصر فى الجنة له عشرة الاف باب
على كل باب خمس وعشرون الفا من الحور العين وعن النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وترابها زعفران وطينها مسك وسئل ايضا عن تربة
الجنة قال درمكة بيضاء مسك خالص وقوله تعالى يهديهم ربهم
بايمانهم الاية ففى كتاب النقاش قال يهديهم [illegible] الى انزل [illegible]
ويثيبهم الجنة بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار يعنى [illegible]
قصورهم نور فى نور قصور الدر والياقوت وانهار تجرى من
تحت غرفهم فى جنة النعيم لا يكلفون فيها [illegible] ولا
تصيبهم مشقة ابدا دعواهم فيها سبحانك اللهم [illegible]
علم بين اهل الجنة وبين الخدم اذا ارادوا الطعام [illegible]
قالوا سبحانك اللهم فاذا المائدة وضعت ميلا فى [illegible]
اللؤلؤ ودخل عليهم الخدم من اربعة الاف باب معهم [illegible]
الذهب سبعون الف صحيفة فى كل صحفة لون من [illegible]
فى صاحبتها مثله كلما شبع القى عليه الف باب [illegible] كلما
شبع اتى بشربة تهضم ما قبلها اربعين عاما [illegible]
بالوان الثمار وتجىء الطير امثال البخت [illegible]
لون وظهورها وبطونها الوان [illegible] الوان [illegible]
حتى تقع بين يديه فى البيت فرش فى [illegible]
سرر موضونة الوضين مشبكة وسطها [illegible]
والزمرد الرطب اللين من الحرير قوائمه اللؤلؤ [illegible]

وفضة عليه من الفرش مقدار سبعين [illegible]
رجلا وقع من تلك الفرش لم يبلغ قراره [illegible]
فياكلون ويشربون والطير [illegible] ويقول [illegible]
رعيت في روضة كذا وكذا وشربت من [illegible]
وكذا فاذا اعجبه نعتها وقعت [illegible]
من الطير الوانا [illegible]
الجنة لانه ليس في الجنة من يموت [illegible]
يدي من عند الرب [illegible] وذلك انه [illegible]
فلا يصل اليه حتى يستاذن [illegible]
فيقول يا ولي الله [illegible] يقرا [illegible]
والشراب [illegible] الحمد لله رب [illegible]
واخر دعواهم [illegible]
اخرها [illegible]
الجنة والجنة كلها [illegible]
كل باب على [illegible]
التحف [illegible] النبي [illegible]
والسلام [illegible] ان في الجنة [illegible]
مائة عام لا يقطعها [illegible]
اليه اعرابي فقال [illegible] شجرة
مؤذية [illegible] الجنة [illegible]
هي قال السدر فان لها شوكا [illegible] قال الله تعالى في سدر
مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم
تنقسم الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون

يشبه الاخر وروى ان سلمان رحمه الله اخذ عودا صغيرا
فقال لجرير بن عبد الله يا جرير لو طلبت في الجنة عُوَيدا مثل هذا
لم تجده قال قلت فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب
واعلاها الثمر وقال تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وذكر
عن الحسن قال نخل الجنة جذوعها من ذهب وسعفها حلل
ورطبها مثل قلال هجر اشد بياضا من اللبن واحلى من عسل
والين من الزبد وعن ابن عباس قال جذوع نخل الجنة
ذهب احمر وكروبها زبرجد اخضر وشماريخها در ابيض
وسعفها الحلل ورطبها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
والين من الزبد ليس في شيء منها عجم طول التمرة اثنا عشر
ذراعا منضود من اعلاه الى اسفله امثال القلال لا يؤخذ
منه شيء الا اعاده الله كما كان وعن النبي عليه السلام
قال في حديث الاسراء ثم اعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر
بي في الجنة فاذا الرمانة من رمانها مثل الجلود المقتبة وعنه
عليه السلام قال في كل رمانة من رمان الدنيا حبة من رمان
الجنة قال الحسن احسبه قال لا ياكله المنافق [illegible]
يحلون فيها من اساور من ذهب الاية وعن ابي هريرة ان
النبي عليه السلام قال ان اول زمرة تلج الجنة [illegible] صورة
القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم [illegible] ضوء
النجوم في السماء لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون
فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك
ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما [illegible]
بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله [illegible]

وفي رواية اخرى على كل زوجة سبعون حلة وقال عليه السلام في
قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب الاية قال ان عليهم التيجان
ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال تعالى
حور مقصورات اى محبوسات فى الخيام وهى جمع خيمة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء
ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الاخرون
وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها اربعة الاف
مصراع من ذهب وقال عليه السلام فى قوله تعالى
وفرش مرفوعة قال ما بين الفرشين كما بين السماء والارض وعن
ابن مسعود فى قوله تعالى ومزاجه من تسنيم قال يمزج
لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء فى
قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة
يختم به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه
ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وعن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة لا يدخلونها كلهم
رجالهم ونساؤهم الا فى ثلاثة وثلاثين سنة على طول آدم
ستين ذراعا لا يبولون ولا يتمخطون والنساء عربا اترابا لا يحضن
ولا يلدن ولا يمخطن ولا يقضين حاجة يمشين بين يدى
وقال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على
الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها
خير من الدنيا وما فيها وقال فى قوله
تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها فى
خدها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين

مسيره مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له
في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليه بسبعين الف
صحفة من ذهب ويراح عليه بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد
طعم اخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار
سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وعن مجاهد قال ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وقال سعيد بن المسيب
ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من
فضة وسوار من لؤلؤ وعن ابي هريرة قال ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء
اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وقال عليه السلام لاصحابه الا هل مشمر الى
الجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر
مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة وزوجة حسناء جميلة في كثرة ونعيم في
مقام ابدا ونظرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله
قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحرض عليه وبالله العون والتوفيق
[illegible] سمعه بالجنة ما ينبه العاقل على التشوق اليها والتشمر لها والاطماع
في تحصيل [illegible] الجنة اذ فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والله تعالى اعلم واحكم وبه الحول والتوفيق وهو حسبنا ونعم
الوكيل ونعم [illegible] ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصل اللهم [illegible] على سيدنا
ومولانا سيدنا النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى جميع الانبياء والمرسلين ﷺ
[illegible] الشهر [illegible] ذلك [illegible] سالم [illegible]
[illegible] من كل ما زلت به القدم [illegible] به انتهى
[illegible] وسيره من كتب انما الفناه من كتب شتى [illegible] كتب
[illegible] عليه الصلاة والسلام اقبل الحق ممن جاءك به

حبيبا كان او بغيضا ورد الباطل على من جاءك به حبيبا كان او بغيضا فاستخرجت العلم النافع من كل كتاب ولم اعتبل بمؤلفه على خطاء كان او صواب ونقلت الحق المفهوم من بين الشوك والسموم اذ حجة الله على الانسان فهم الحق وعلمه من اى لغة سمعها ولسان وبالله التوفيق وانا استغفر الله من جميع اقوالى التى خالفت افعالى واستغفره من كل نعمة انعم بها على فتقويت بها على معصيته واستغفره من كل وعد وعدته من نفسى ثم لم اوف به واستغفره من كل علم وعمل اردت به وجهه فخالطه ما ليس له واستغفره من كل خطوة وخطرة ونظرة وحركة خالفت ما ليس لله فيه رضى او دعانا الى تصنع ورياء من كتابة الفناه او كلام او علم او امر او نهى اظهرناه ونحن نرجو بعده التوبة والاستغفار ان تشملنا رحمة الله وصفحه فيما صنفناه وقلناه لان رحمته واسعة وكرمه عميم وجوده على اصناف الخلق فائض وبالله التوفيق والهداية

م

قد تم طبع الجزء الثالث من كتاب قناطر الخيرات بالمطبعة البارونيه الكائنه بطيلون بمصر المحميه على ذمة ملتزمه حضرة الشاذ الشيخ محمد البارونى وشركاه كان الله فى عونهم بجاه خير الانبياء وقد وافق انتهاؤه فى جمادى الثانية سنة ١٣٠٧